

علقمة الفحل

حياته و شعره

دكتور

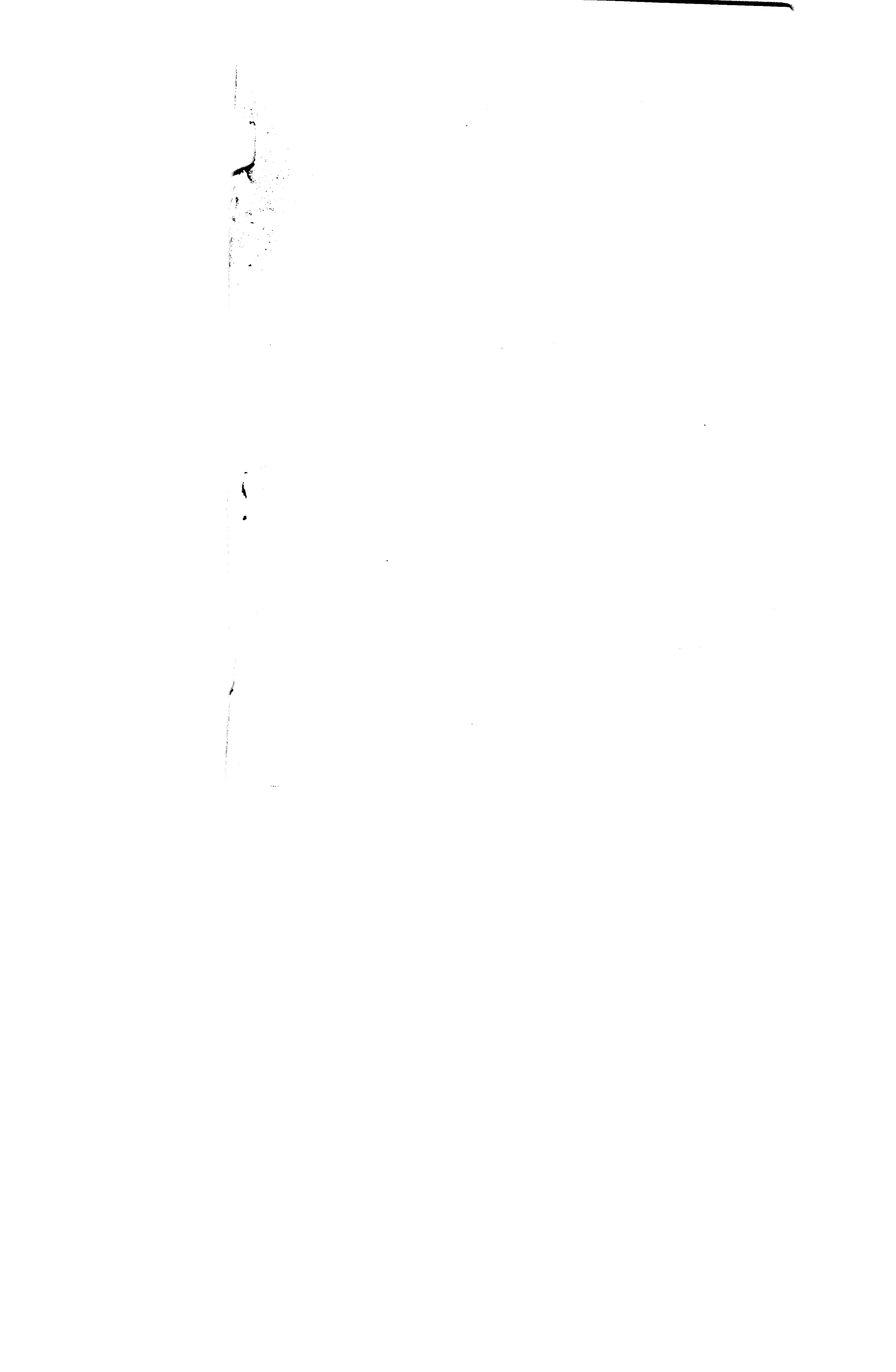
إبراهيم سعد قنديل

كلية التَّربية جامعة المنصورة

النَّاشر

المكتبة العلميَّة بالمنصورة

١٩٩٣ - ١٩٩٤



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من غرس ، وتعهَّد غرسه حتى أثمر

إلى من أعطى واتقى ، فأغدق عطاؤه

إلى مثال الحُنُوّ ، وأنموذج الطُّهر والسموّ

إليك يا أبي ، أهدى باكورة غرسك

داعيا ربي سبحانه أن يَمُدَّ فى عمرك

وأن يهبنى التوفيق والسداد لأُهديك

ثمرات وثمرات

المقدمـــة

كان الشعر الجاهلي ، ولا يزال عريقا أصيلا ، إذ عاش حياتـــه الطويلة الممتدة التي جاوزت حتى اليوم الخمسة عشر قرنا من الزمان .

ومنه استمدت أشعار الحقب المتلاحقة — ومازالت تستمد — كيانهـــا وأصالتها فعاشت معتمدة عليه ، من معينه ينهل شعراؤها كل وقـــت وحيـــن .

ومن كنت صغيرا ، وللشعر الجاهلي في نفسي المنزلة ، والمكانـة كنت أقرأه وأنا بعد صغير ، ولكنها كانت قراءة عابرة ، لم تكن قـراءة تدرس أو تحليل ، وظللت عاكفا عليه ، آتيه بين الحين والحين ، حتى وصلت بي الطريق إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية .

وفي هذا القسم بدأت عيني تتفتح على رؤية جديدة لهذا الشعـــر رؤية بصّرنا بها أساتذة وعلماء ، كانوا يقفون بنا في تحليلهم لهـــذا الشعر عند كل جليلة ، ودقيقة ، فعشت سنوات الدراسة الأربع أجد كـــل يوم رؤية جديدة ، وطعما متغيرا .

وحرصت كل الحرص على أن أنهل ، وأرتوى من علم هؤلاء الأساتـذة ومعارفهم ، حتى انتهت دراستي ومازال بي ظمأ لم تنطفئ غلته بعـــد .
وفي السنة التمهيدية للماجستير كانت الرؤية الفاحصة في دراسة هـــذا

الشعر قد زادت أيضا زيادة ، مؤتية أكلها المنشود ، والمرجو ، ثم وجدت نفسى على مشارف تسجيل بحثى للماجستير ، فوقر فى ذهنى منذ الوهلة الأولى أن يكون بحثى هذا فى شعر تلك الحقبة الزمنية القديمة والتى سبقت الاسلام بما يزيد على المائة والخمسين سنة .

وبعد بحث واستقصاء طويلين ، وجدت أن هناك من شعراء الجاهلية من لم ينالوا حظهم من الدراسة ، والبحث ، والتحليل ، ووجدت من بين أولئك المغمورين صاحب بحثى هذا " علقمة بن عبدة التميمى " ، الذى لقب ، واشتهر " بعلقمة الفحل " فاستقر الرأى أن يكون البحث فى هذا الشاعر المغمور .

ومنذ أن اخترت " علقمة " موضوعا لهذا البحث تذكرت قولا للأستاذ المرحوم / مصطفى صادق الرافعى يقول فيه : " الوجه فى إفراد شاعر أو كاتب من الماضين بالتأليف أن تصنع كأنك تعيده إلى الدنيا فى كتاب وكان إنسانا ، وترجعه درسًا ، وكان عمرًا ، وترده حكايةً ، وكان عملاً وتنقله بزمنه ، إلى زمنك ، وتعرضه بقومه على قومك ، حتى كأنَّه بعد أن خلقه الله خِلْقَةَ إيجاد ، يخلقه العقل خِلْقَةَ تفكير " (1)

لهذا كان لابد من أن يشمل هذا البحث بيئة الشاعر وحياته وشعره فقسمت البحث إلى أربعة فصول .

خصصت الفصل الأول منها لقبيلة الشاعر " قبيلة بنى تميم فى الجاهلية " تناولت فى هذا الفصل مواطن هذه القبيلة ، وأنسابها ، وما تميز به

(1) أمير الشعر فى العصر القديم : امرؤ القيس ، محمد صالح سمك ، تقديم الأستاذ / مصطفى صادق الرافعى ص ٩ .

أبناؤها ، وما تحلّوا به من صفات ، ثم تحدثت عن حياة تميم السياسية والاجتماعية والدينية . وختمت الفصل بأيام القبيلة مع غيرها ، وجاءت الأيام مرتبة بحسب ما كان لتميم على غيرها من القبائل الأخرى ، ثم ما كان عليها من أيام لم يحالفها النصر فيها ، فخسرتها أمام أعدائها ، ثم جاء ذكر لأيام متفرقات بعد ذلك .

وقد بدا لي من البحث أن تميمًا ، سكنت شرقي نجد ، وتربعت على تلك الرمال المترامية في هضبة نجد قبل أن يشرق على الجزيرة العربية نور الإسلام .

إلى جانب نجد سكنت تميم أيضا البحرين ، واليمامة ، وجاورت عددا غير قليل من قبائل العرب .

أمَّا عن نسب تميم فهي إحدى قبائل العرب الشمالية ، تنتهي بنسبها إلى مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان فهي " تميم بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر " .

واشتهر رجال هذه القبيلة بالكرم والجود والحكمة والبلاغة ، قال عنها معاوية بن أبي سفيان " لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشي الكلم " (1)

وقال عنها الجاحظ : سمعت مؤمل بن خاقان وقد ذكر في خطبته تميم بن مرّ فقال : إنّ تميما لها الشرف العَوْد ، والعز الأقعس ، والعدد

(1) البيان والتبيين جـ 1 ص 53 ، 54

الهيضل ، وهى فى الجاهلية القدام والذروة والسّنام وقد قال الشاعر :

فقلتُ لهُ وأنكر بعض شأني ... ألمْ تعرفْ رقابَ بنى تميمِ (١)

أمّا عن حياة هذه القبيلة الدينيةفقد تبين لى أنها عبدت الأصنام وقد تغشت المجوسية فى أكثرها .

ومن حياة تميم السياسية ظهر لى من البحث فيها أنها قبيلة من القبائل التى عرفت بالقوة ، والشجاعة حتى أن ملوك الحيرة — كما تبين لى من البحث — قد صالحوهم وجعلوا لهم الرّدافة ليكفوا عن أهل العراق الغارة". (٢)

ومن تميم من تولى قضاء المواسم وقضاء عكاظ .

أمّا أيام تميم مع غيرها من جيرانها فقد زادت وكثرت وكان لتميم الجانب الأكبر منها وقد تحدثت عن هذه الأيّام بالتفصيل فى مكانها من فصل القبيلة .

ثم كان الفصل الثانى فى الشاعر : تعرضت فيه لاسمه ، ونسبه ، ولقبه وأسرته ، ونشأته ، ومكانته ، وقيمة شعره فى كتب اللغة والأدب ، ثم تحدثت عن ملامح شخصيته كما ظهرت جلية واضحة ، وبخاصة فى أشعاره التى كثيرا ما ترسم خطوط وملامح هذه الشخصية ، ثم ختمت

---

(١) المرجع السابق ص ١١٨ .
(٢) المعارف : لابن قتيبة ص ٦٥١ .

الفصل بوفاة الشاعر .

وعلقمة نشأ فى بنى تميم ، بين جنبات إقليم نجد الذى يعتبر من أجمل أقاليم الجزيرة العربية ، وأصحها هواء وأطيبها نسيما ، فتأثرت نفسه بجو هذا الإقليم الجميل ، فصفت روحه ، وسمت ، وعذبت ألفاظه ورقت ، وعلت همته فأكبر نفسه ، وترفّع عما يشينها ، فلم نر له هجاء فى شعره ، ونحا بغزلة منحًى عفيفًا ، بعيدًا عن الصراحة والمجون ، على عكس من عاصره أو سبقه " كعبيد بن الأبرص " ، وامرئ القيس " .

وتمتع علقمة بين قومه بمكانة مرموقة ، ومنزلة عالية ، فهو الرجل الذى يفزع إليه قومه عند الشدائد ، والمحن ، فيختارونه شفيعهم عند " الحارث" بن أبى شمر الغسانى يستشفع عنده فى أسارى بنى تميم ويقدر " الحارث" وفادته ويلبى له طلبه ، فيطلق له سراح أخيه وأبناء قبيلته .

ثم جاء الفصل الثالث فى الدراسة الموضوعية لشعر علقمة ، وفيه استعرضت الأغراض الشعرية التى طرقها علقمة ، ورتبتها فى هذا الفصل حسب كثرة ما قال فيه الشاعر وقد تبين لى من البحث أن الوصف عند " علقمة " قد احتل حيزا كبيرا من شعره ، أبدع فيه الشاعر حتى عُدَّ من الشعراء الوصافين ، بل أصبح فى بعضه قدوة ومثالا كما فى وصف النعام مثلا ، فقد قال عنه ابن الأعرابى : " ما وصف أحد النعام إلاَّ احتاج إلى " علقمة بن عبدة " .

وصف " علقمة " الناقة ، والفرس ، والصحراء ، ووصف الطريق وأهوالها والرحلة الشاقة عبر طرق الصحراء المخيفة المروعة ، ووصف القتال وميادينه وآلاته ووصف كذلك إلى جانب ذلك كله - مجالس الخمر حيث نعم بصحبة قوم كرام مترفين ، يطربون على أنغام المزاهر في مجالس مترفة .

وطرق علقمة إلى جانب الوصف أغراضا أخرى متعددة ، قال في الفخر وفي المديح وفي الغزل ، وفي الحكمة . وقد تحدثت عن كل غرض من هذه الأغراض بالتفصيل موردا ما يؤيد حديثي باستشهادات من أشعار الشاعر .

ثم كان ختام البحث ، الفصل الرابع ، ولقد جاء هذا الفصل في الدراسة الفنية لشعر علقمة .

وتناولت في هذا الفصل - بالدراسة والتحليل - ألفاظ الشاعر وتراكيبه ، وما لهذه الألفاظ وتلك التراكيب من دلالات نفسية ، ثم تحدثت عن معانى الشاعر وأفكاره ومسايرتها للجو النفسي للشاعر ثم تحدثت عن معانى الشاعر وأفكاره ومسايرتها للجو النفسي للشاعر كذلك تحدثت عن صور الشاعر البيانية وألوان البديع عنده ، وقد ظهر من البحث أن التشبيه يستخدمه الشاعر بوفرة بارزة ، مستمدا دلالاته من بيئته وحياته ، وإلى جانب التشبيه فهناك ألوان التصوير الأخرى كالاستعارة والكناية تتعثر كل منهما في ثنايا أبياته موضحة معانيه وما يهدف إليه .

ثم تحدثت عن أوزان الشاعر وقوافيه وقد ظهر من البحث أن الشاعر نظم قصائده ومقطوعاته على خمسة بحور هي : الطويل والبسيط ، ثم

السّريع ، والمديد ، والوافر ، واستطاع الشاعر من خلال هذه الأوزان أن يحلّل عواطفه مع النَّفَس الهادئ الطويل لهذه البحور .

وختمت هذا الفصل بأثر الشاعر البيِّن فيمن تلاه من شعراء ، معظمهم قد حذا حذوه مقلدًا له ، مستعيرا منه ألفاظه ، وتراكيبه ، وصوره وتشبيهاته . لقد ظهر أثر الشاعر في كثيرين ، منهم على سبيل المثال لا الحصر (عنترة بن شدّاد ، وأوسُ بن حَجَر ، والأعشى ، والنابغة وجَرانُ العَوْد ، وزيدُ الخيل الطائي ، وعامر بن الطُّفَيْل) وغير هؤلاء كثير

وبعد : تبقى كلمة أخيرة أقولها بكل الصدق ، والأمانة ، وهي أنني لست أزعم أني أول من يكتب ، ولا آخر من يقول بل لا أدعي أنني أتيت بجديد خارق في هذه الدراسة وحسبي أني بذلت جهد طاقتي ولم أبخل على هذا البحث بجهد أو بوقت ، وكل ما أرجوه أن أكون قد وفقت في أن أضيف شيئا إلى الدراسات الأدبية ، في تاريخ أدبنا القديم .

وبعد :

.... فإنني أرى لزاما عليَّ أن أرد الفضل إلى أهله ، والفيض إلى نبعه ، فأتقدم بكل الشكر والعرفان لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ يسري محمد سلامة الذي أشرف على هذا البحث باذلاً في سبيل إتمامه كل عطاء ، باذلاً كل ذلك عن رضى وطيب نفس ، فاتحا لي قلبه وبيته ، آناء الليل ، وأطراف النهار ، محتملا كل عناء في سبيل أن يستوي عود هذا البحث ويشتد أزره رغم مروره بظروف صحية

غاية فى الشدة . فله منى الشكر الجزيل والدعاء الخالص لله أن يتم عليه نعمة الصحة ، والعافية ، جزاء وفاقا لما قدم وبذل .

أسأل الله ذلك إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

الفصل الأول

" قبيلة تميم في الجاهلية "

(١)

مواطن القبيلــة

اتسعت شبه جزيرة العرب اتساعا بينا ، وتباينت الحياة فيها على نحويـــن بداوة وحضارة ، والعرب أنفسهم انقسموا في حياتهم العصبية قسمين عظيمين : عرب الجنوب أو" القحطانيون" وعرب الشمال أو العدنانيون".

والقبيلة التي نحن بصدد دراستها في بحثنا هذا تنتمي إلى عرب الشمـــال، (العدنانيين) فهي كما اتفقت الروايات على ذلك " تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر [(١)]

يقول د. عمر فروخ " ولاريب أن عرب الجنوب كانوا أوسع حضارة من الناحية المادية على الأقل ، ونحن اليوم نعرف من تاريخهم السياسي والاجتماعي أكثر مما نعرف من تاريخ عرب الشمال في اتساع نطاق الحياة وفي امتداد الزمن ، فـــإن النقوش(اليمنية) التي أزاح المستشكشفون عنها التراب قد مكنتنا على قلتهـا من أن نعرف جوانب كثيرة من وجوه الحياة اليمنية . غير أن ملوك حمير لـــم تكن معتنيه بأرصاد الكواكب ولاباختبارحركاتها ولابإيثار شيء من علوم الفلسفة . أما عرب الشمال فلم يتركوا لنا شيئا مكتوبا في بدوهم ولاحضرهم ، وإذا كان ثمة شيء من ذلك فهو جمل يسيرة لاتفيدنا في استجلاء حقيقة أمرهم ، ثم إنـــــه لم يبلغنا عن أحد من ملوك العرب الشماليين في الجاهلية أنه اعتنى بشــــيء من علوم الفلك والفلسفة"[(٢)].

---

(١) المفضليات ـ ديوان العرب ـ ١ ـ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبدالســلام هارون ، دارالمعارف بمصر، الطبعة الخامسة ،ص٣٩٠.

(٢) تاريخ الفكرالعربي إلى أيام ابن خلدون د. عمرفروخ، دارالعلم للملايين ، بيرو ت ١٩٦٦ ص١٥٧.

وعن آباء مضر يحدثنا صاحب معجم ماستعجم فيقول : "ولد نزار بن معد أربعة : مضر وربيعة وإياد وأنمار ، وكان يكنى بابنه ربيعة ومنازلهم مكة، وأرض العرب يومئذ خاوية ، ليس بنجدها وتهامتها وحجازها وعروضها كبير أحد لإخراب بختنصر إيّاها وإجلاء أهلها إلا من اعتصم برؤوس الجبال والأنبال مواضع الممتنعة "(١)

وهذا عن أصل مضر الذى انحدر من نزار بن معد بن عدنان ، وعن حال الجزيرة العربية آنذاك . ثم يقسم البكرى الجزيرة العربية يومئذ فيقول:

" فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها على خمسة أقسام تهامة ، والحجاز ، ونجد ، والعروض ، واليمن ."(٢)

" ومعنى تهامة والغور واحد ، ومعنى حجاز وجلس واحد، وهكذا ذكرالزبير بن بكار عن عمه . وقال غيره : معنى حجاز وجلس ونجد واحد، وجبل السراة هو الحد بين تهامة ونجد "(٣)

" وطول السراة مابين ذات عرق إلى حد نجران اليمن وبيت المقدس في غربي طولها، وعرضها مابين البحر إلى الشرف فصار ماخلف هذا الجبل في غربه إلى أسياف البحرمن بلاد عك وكنانة إلى ذات عرق والجحفة وماوالاها وماقبها وغار من أرضها : الغور ، غورتهامة . وتهامة تجمع مع ذلك كله ، وغور الشام لايدخل في ذلك.

وصار مادون ذلك في شرقيه من الصحارى إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها : نجدا، ونجد تجمع ذلك كله وأعراض نجد هي : بيشة ، وترج ، والمراغة ، ورنية وصار الجبل نفسه وهو سراته ، وهوالحجاز وماحتجز به في شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فَيْد والجبلين إلىالمدينة ومن بلاد مذحج : تثليث

(١) معجم ماستعجم - للبكرى . تحقيق مصطفى السقا . الطبعة الأولى١٣٦٤هـ ١٩٤٥م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ج ١ ،ص٥.

(٢) المرجع السابق ج١ ، ص٧.

(٣) المرجع السابق ج١،ص٨.

ومادونها إلى ناحية فيد ذلك كله حجاز. وصارت بلاد اليمامة وماوالاها : العروض، وفيها نجد وغور لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ، ومسايل أودية فيها والعروض تجمع ذلك كله . وصار ماخلف تثليث وماقاربها إلى صنعاء وماوالاها من البلاد إلى حضرموت وعمان ومابينهما : اليمن وفيها التهائم والنجود . واليمن تجمع ذلك كله ، وذات عرق فصل مابين نجد وتهامة والحجاز".(١)

" وقال ابن الكلبي : الحجاز: ماحجز فيما بين اليمامة والعروض وفيما بين اليمن ونجد فصارت نجد مابين الحجاز إلى الشام إلى العذيب . والطائف من نجد والمدينة من نجد". (٢)

" وقال الحسن : إنّما سمي الحجاز حجازا لأنه حجز على الأنهار والأشجار وهو الجنان يوم القيامة".

وقال غيره : سمي حجازا لأنه احتجز بالجبال يقال : احتجزت المرأة إذا شدت ثيابها على وسطها وأبرزت عجيزتها وهي الحجزة ".

وقال الزبير بن بكار سألت سليمان بن عياش السعدى : لم سمي الحجاز حجازا ؟ فقال : لأنه حجز بين تهامة ونجد.

ونقل ابن دريد قال :إنما سمي الحجاز لأنه حجزبين نجد والسراة". (٣)

وقال الخليل :"سمي حجازا لأنه فصل بين الغور وبين الشام وبين تهامة ونجد".(٤)

على هذه الأقسام الخمسة كانت تشتمل شبه جزيرة العرب من ناحية التقسيم الجغرافي والقسم الذى يهمنا في بحثنا هذا من هذه الأقسام الخمسة هو" نجد"حيث إن نجدا كانت منازل بني تميم كما أجمعت جملة الروايات على ذلك.

---

(١) المرجع السابق ، حـ١، ص٩.
(٢) المرجع السابق، حـ١ ،ص١٠.
(٣) المرجع السابق ، حـ١ ، ص١١.
(٤) المرجع السابق ، حـ١ ، ص١٢.

يحدثنا الدكتور محمود طه أبوالعلا عن قبائل نجد فيقسمها كمايلي :

قبائل نجـــد :

(١) **قبيلة تميـــم** : وهي من أهم القبائل العربية في الجاهلية ، وهي من شعب مضر وتسكن شرقي نجد.

(٢) **قبيلة غطفان** : وهي من قيس عيلان من شعب مضر ، وتسكن غربي نجد.

(٣) **قبيلة حنيفة** : وهي من شعب ربيعة ، وتسكن اليمامة وماحولها .

(٤) **قبيلة ك ب** : وهي من شعب حمير، وتسكن شمال غربي نجد، وشمال الحجار

(٥) **قيبلة طيّء** : وتسكن جبلي أجا وسلمى.

(٦) **قبيلة هوازن** : وهي من شعب مضر وتسكن غربي ووسط نجد.

(٧) **قبيلة هذيل** : وهي من شعب مضر ، وتسكن جنوب غربي نجد بالقرب من منازل ثقيف في الحجاز.

(٨) **قبيلة أســد** : من شعب ربيعة وتسكن إلى الجنوب الشرقي من قبيلة طيء

(٩) **قبيلة بكر** : من شعب ربيعة ، وتسكن شمال شرقي نجد.[1]

والسؤال المطروح حاليا ، هو : ما الذى كان يدفع العرب في باديتهم إلى التنقل والارتحال ؟ ولايخفى على أحد طبيعة حياة هؤلاء البدو في هذه البلاد الصحراوية ، هذه الحياة التي كانت في معظمها تقوم على الرعي جريا وراء الماء ومنابت الكلأ ،؟ إلى جانب هذا كله يورد د. على الجندى أسبابا أخرى دفعت بهم إلى التنقل والارتحال ،إذا يقول :

" ولاشك أن هناك ظروفا مختلفة تضطر القوم إلى الهجرة والارتحال: فكثرة النسل تؤدى إلى ضيق المكان بأهله . وذلك يجعل القوم يحاولون توسيع الرقعة التي ينزلونها إما حواليها وفيما يتصل بها إن كان هناك مايسمح لهم بذلك.

---

(١) جغرافية شبه جزيرة العرب ، د. محمود طه أبوالعلا ، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٥، مطبعة لجنة البيان العربي . جـ١ ، ص١٤١ ، ١٤٢.

وإما بالبحث عن مكان أوسع في بقعة أخرى ، وقد يكون ذلك بارتحال الكل أو بعضهم تبعا لمقتضيات الأحوال كماحدث في بادئ الأمر عندما تكاثر أبناء القحطانيين والعدنانيين وسجلته كتب الأدب والتاريخ "(١)

ثم يضيف د. على الجندى سببا آخر للهجرة والارتحال ، فيقول :

" كما أن الحروب والشقاق والتناحر والتنافس كثيرا ماينجم عنها هجرات واحتلال وارتحال من ذلك مايحكيه أبوعبيدة في شرح النقائض عن عبس في حرب داحس والغبراء من أنهم بعد جفر الهباءة ظعنوا إلى كلب" بعراعر" ثم حدثت موقعة " عراعر" فحلوا على بني سعد وهم "بالفروق" إلى أن حدثت موقعة الفروق فسار بنو عبس حتى وقعوا باليمامة حيث أرادوا محالفة بني حنيفة ثم لحقوا ببني عامر بن صعصعة وجاوروهم حتى غزتهم بنو ذبيان وبنو أسد، ومن تبعهم من بني حنظلة يوم جبلة فتوجهوا نحو تغلب وأخيرا أشارعليهم قيس بالذهاب إلى قومهم ومصالحتهم ."(٢)

وأظن أن هذا السبب الأخير الذى أورده د. على الجندى ، والذى يتمثل فيما كان بين القبائل العربية من حروب وتناحر وشقاق . أظن أنه السبب الأقوى على الهجرة والارتحال . فهن تفوق قبائل مضر والتي من بينها بل من أكبرها قبيلة بني تميم والتي نحن بصدد دراستها في هذا البحث - عن تفوق قبائل مضر - يحدثنا البكرى فيقول :" فلم تزل مضر بن نزار بعد خروج ربيعة من تهامة مقيمة في منازلها من تهامة وماوالاها حتى تباينت قبائلهم وكثر عددهم وفصائلهم وضاقت بلادهم عنهم فطلبوا المتسع والمعاش وتتبعوا الكلأ والماء، وتنافسوا في المحال والمنازل وبغى بعضهم على بعض فاقتتلوا فضهرت "خندف"،

---

(١) تاريخ الأدب الجاهلي، د. علىالجندى ، مطبعة الجامعة العربية ، بيروت ص٥٥.

(٢) المرجع السابق ، ص٥٦.

على " قيس" وقال آخرون : إن غزية بن معاوية بن بكر بن هوازن" كان نديما لربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم" فشربا يوما فعدا ربيعة بن حنظلة على غزية فقتله فسألت قيس خندف الدية فاقتتلوا فهزمت قيس فتفرقت فقال فراس بن تميم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة بن خزيمة .

أقمنا على قيس عشية بارق ... ببيض حديثات الصقال بواتك
ضربناهم حتى تولوا وخليت ... منازل حيزت يوم ذاك لمالك

قال : فظعنت قيس من تهامة طالعين إلى بلاد نجد الاقبائل منهم فانحازت إلى أطراف الغور من تهامة فنزلت هوازن مابين غورتهامة إليما والى بيشة وبركا وناحية السراة والطائف وذى المجاز وحنين وأوطاس وماصاقبها من البلاد.

ثم تنافست أولاد مدركة وطابخة ابني إلياس بن مضر في المنازل ،وتضايقوا فيها ووقعت بينهم حرب فظهرت مدركة على طابخة فظعنت طابخة من تهامة وخرجوا إلى ظواهر نجد والحجاز".(1)

ويستطرد البكرى ليكمل منازل قبائل مضر الباقية فيقول : "وانحازت مزينة بن أد بن طابخة إلى جبال رضوى وقدس وآرة وماوالاها وصاقبها من أرض الحجاز.

وظهرت تميم بن عمروبن أد بن طابخة ، وضبة بن آد بن طابخة، وعكل بن أد إلى بلاد نجد وصحاريها فحلوا منازل بكر وتغلب التي كانوا ينزلونها في الحرب التي كانت بينهم ، ثم مضوا حتى خالطوا أطراف هجر ونزلوا مابين اليمامة وهجر ونفذت بنوسعد بن زيد مناة بن تميم إلى يبرين" وتلك الرمال حتى خالطوا "بنى عامر بن عبد القيس" في بلادهم قطر ووقعت طائفة منهم إلى عمان وصارت طائفة منهم إلى مايلي البصرة من أطراف البحرين".(2)

---

(1) معجم مااستعجم - للبكرى حـ1 ،ص87.
(2) المرجع السابق ، حـ1، ص88.

يؤيد ماسبق ، ماجاء في دائرة المعارف الإسلامية : " ومن الذين خالطوا عبدالقيس في منازلهم في البحرين بنوسعد بن زيد مناة بن تميم (وكانوا من أعدائهم)".[1]

ومن بطون بني سعد بنو دارم بن حنظلة والذين ينسب إليهم المنذر بن ساوى.[2]

ومما ذكره الطبرى أيضا في تاريخه: " أن عبدالقيس استقرت على أرض البحرين وكانت إلى حياة المدر أقرب منها الى حياة الوبر وأقامت المدن والقرى وعرفت الحصون والعيون ".[3]

وعن البحرين يحدثنا الهمذاني في مؤلفه " مختصر كتاب البلدان " فيقول: " القول في البحرين : قال أبوعبيدة : بين البحرين واليمامة مسيرة عشرة أيام وبين هجر (مدينة البحرين) وبين البصرة مسيرة خمسة عشر يوما على الإبل وهي الخط ، والقطيف والآرة ، وهجر ، والبينونة ، والزارة ، وجوانا ، والسابور ، وداوين ، والغابة ، وقصبة هجر الصفا ، والمشقر والشيعان ، والمسجد الجامع في المشقر . وبين الصفا والمشقر نهر يجرى يقال له : "العين. ومن قرى البحرين : الحوس ، والكثيب الأكبر ، والكثيب الأصغر ، وأرض نوح ، وذوالنار ، والمالحة ، والذرائب ، والبدى ، والخرصان ، والسهلة ، والحوجر ، والوجيز ، والطربال ، والمنسلخ ، والمزرى ، والمطلع ، والعرجاء والرميلة والبحرة،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية مجلد.١ص٧٤" النسخة العربية إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد/أحمد الشنتناوى/د. عبدالحميديونس.

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموى جـ١ ص٢٢٨ دارصادر بيروت ،١٩٥٥.

(٣) تاريخ الرسل والملوك - الطبرى (أبوجعفرمحمد بن جرير) ت ٣١٠ هـ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار المعارف ١٩٦٧م ، جـ ٢ ص٩٨٥.

والرجراجة ، والعرجة . فهذه قرى بني محارب بن عمرو بن وديعة. وقرى بني عامر بن الحارث بن أنسار بن عمرو بن وديعة أضعاف هذه.[١]

ونعود مرة أخرى إلى البكرى نكمل معه بقية منازل قبائل مضر.

وأقامت قبائل مدركة بن الياس بن مضر بتهامة وماوالاها من البلاد وما قبها فمارت مدركة بناحية عرفات ، وعرنة ، وبطن نعمان ، ورجيل ، وكبكب ، والبوباة. وجيرانهم فيها طوائف من أعجاز هوازن .

وكانت لهذيل جبال من جبال السراة ، ولهم صدور أوديتها وشعابها القريبة ومسايل تلك الشعاب والأودية على قبائل خزيمة بن مدركة في منازلها ، وجيران هذيل في جبالهم " فهم " ، "وعدوان" ابنا عمرو بن قيس عيلان.

ونزلت خزيمة بن مدركة أسفل من هذيل بن مدركة واستطالوا في تلك النهائم إلى أسياف البحر فسالت عليهم الأودية التي هذيل في صدورها وأعاليها ، وشعاب جبال السراة التي هذيل سكانها.[٢]

"ونزل نجدا من العرب بنوكعب بن ربيعة بن عامر ودارهم الفلج وماأحاط به من البادية ، نزلت تميم كلها بأسرها باليمامة وبها دارهم الآن حاضرتها لربيعة بن نزار وإخوتهم.

مما سبق يتضح لنا الدور الهام الذى كانت تلعبه الحروب كعامل أساسي وكدافع قوى على الهجرة ، والارتحال. إلّا أن الدكتور على الجندى يذكر إلى جانب كل ماتقدم أسبابا أخرى تدعو إلى الهجرة ، والارتحال فيقول : " وقد تحدث الهجرة بسبب ظروف اقتصادية كما حدث للقبائل اليمنية بعد سيل العرم، وانهيار سدّ مأرب.

---

(١) مختصر كتاب البلدان - لأبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه. طبع في مدينة ليدن المحروسة. بمطبع بريل ١٣٠٢ هـ ص٣٠
(٢) معجم مااستعجم - للبكرى - جـ١ - ص٨٨.

ثم إن بعض القبائل كانوا يتخذون لهم ديارا مختلفة تبعا لفصول السنة ، ففي الصيف ينزلون دارا وفي الشتاء أخرى وفي مثل هذا يقول طرفة :

حيثما قاظوا بنجد وشتوا ... بين ذات الحاذ من ثنيي وقر (١)

أسباب كثيرة وعوامل شتى دفعت البدو دفعا إلى الهجرة والارتحال ولكن أعظم هذه العوامل أثرا هو عامل الحروب والتناحر الذى كان سمة العصر الجاهلي فدخلت قبائل العرب في حروب لاتكاد تنقطع وكلما ظهرت قبيلة على أخرى تركت القبيلة المنهزمة ديارها لمن ظهرت عليها وساحت هي في الأرض تبحث لها عن مأوى جديد تأوى إليه إبقاء على حياة بنيها وأنعامها ، فتعددت لذلك منازل القبائل في الجاهلية . وكثير من الشعراء تحدث في أشعاره عن هذه المنازل والأماكن وأظهر هؤلاء الشعراء جميعا الأخنس بن شهاب التغلبي حيث عدد منازل أكثر قبائل العرب آنذاك ، يقول الأخنس في قصيدته البائية :

لكل أناس من معد عمارة ... عروض إليها يلجأون وجانب

العمارة / الحي العظيم يقوم بنفسه ، والعروض : الناحية

لكيز لها البحران والسيف كله ... وإن يأتها بأس من الهند كارب

البحران : البلاد المعروفة باسم البحرين ، والسيف : بكسر السين صفة البحر ، وكارب فاعل من الكرب .

تطاير عن أعجاز حوش كأنها ... جهام أراق ماءه فهو آئب

الحوش : إبل وحشية لم ترض . والجهام : السحاب الذى هراق ماءه، آئب: راجع

وبكر لها ظهر العراق وإن تشأ ... يحل دونها من اليمامة حاجب

حاجب : مانع " أى لها باليمامة من يمنع ضيمها يعني بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل لأنها موطنهم.

---

(١) تاريخ الأدب الجاهلي: د. علي الجندى،ص٥٦، والبيت وردفي مختار الشعر الجاهلي، شرح وتحقيق وضبط مصطفى السقا، الطبعة الرابعة،١٩٧١م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، بمصر ج ١ ، ص٣٢٥.

وصارتْ تميمٌ بين قُفٍ ورَملةٍ لها من حبال منتأى ومذاهب

القف : ماخشن من الأرض واجتمع . والحبال : حبال الرمل وهي معاظمها ، والمنتأى : مفتعل من النأى وهو البعد . أى لها بعد ومذاهب عن عدوها فلا يصل اليها.

وكلبٌ لها خبتٌ فرملة عالج إلى الحرة الرجلاء حيث تحارب

خبت : منازل بني كلب ، وعالج : رملة بالبادية ، والحرّة : الأرض تلبس الحجارة والرجلاء : الغليظة .

وغسّانُ حيٌّ عزهم في سواهم يجالد عنهم مقنب وكتائب

غسان : ملوك لم يكونوا كثيرا ، وكانت الروم توليهم وتقاتل عنهم ، فعزهم في غيرهم . ونقل ابن الأنبارى عن أحمد بن عبيد أنه رواها " سَواهِم " بفتح السين وكسرالهاء ، وقال : السّواهم : الخيل التي اسودت وتغيرت من كثرة التعب والسُّهمة : السواد ، والمقنب : بكسر الميم الجماعة من الخيل .

وبَهراء حيٌّ قد علمنا مكانهم لهم شرك حول الرّصافة لاحب

الشّرك : بنيات الطريق ، تتشعب عنه ، واحدتها شركة بفتحات ، والرصافة : ناحية حمص ، واللاحب : الطريق المنقاد.

وغارتْ إيادٌ في السّواد ودونها برازيق عجمٌ تبتغي من تضارب

غارت : دخلت ، والسواد : سواد العرق ، سمى سواد لكثرة نخله ، وبرازيق: مواكب وكتائب : جمع بَرزَق بفتح الباء والزاى أوبكسرهما ، كلمة فارسية معربة.

ولخمٌ ملوكُ النّاس يُجبى إليهم إذا قال منهم قائل فهو واجب

أي قد وجب ماقال لأنهم ملوك.

ونحنُ أناسٌ لاحجازَ بأرضنا مع الغيث مانلقى ومن هو غالب

أي نحن مصحرون لانخاف أحدا فنمتنع منه ، مانلقى : أي نلقى مع الغيث كلما وقع في بلد صرنا إليه وغلبنا عليه أهله.(١)

---

(١) المفضليات - ديوان العرب - ١ - ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦.

من كل ماتقدم يتبين لنا أن تميما نزلت بنجد وجاورت هناك قبائل عديدة، كما أوضحت من قبل جاورت قبائل مثل غطفان ، وحنيفة ، وكلب ، وطيء، وهوازن وهذيل ، وأسد ، وبكر.

ويسمى هذا الإقليم نجدا لارتفاع معظم أراضيه عما جاوره من أقاليم أخرى وبه الهضاب والأودية والحرار والدارات ، ونجد أجمل أقاليم الجزيرة العربية وأصحها هواء وأطيبها ريحا يبدو ذلك كله جليا من تغني الشعراء بجمال هذا الإقليم وبطيب هوائه ولنستمع إلى مجنون ليلى إذ يقول :(١)

أقولُ لصاحبي والعِيسُ تهوي	بنا بينَ المنيفةِ فالضِّمارِ
تمتّعْ من شَميمِ عَرارِ نَجْدٍ	فمَا بَعْدَ العشيّةِ مِنْ عَرارِ
ألا يا حبّذا نفحاتُ نَجْدٍ	وريّا روْضَة غِبَّ القطارِ
وأهلَكَ إذ يحُلُّ الحيُّ نجدا	وأنتَ على زمانك غيرُ زارِ
شهورٌ ينقضينَ ومَا شَعرْنا	بأنْصافٍ لهُنَّ ولا سِرارِ
فأمّا لَيْلُهنَّ فخيْرُ ليلٍ	وأطْولُ مايكونُ مِنَ النّهارِ

وإن كان هذا وصفا معنويا لهواء نجد وأمطارها فلم ينس قيس أن يصفها بالوصف المادي المحسوس . ولنستمع إليه في موضع آخر حيث يقول :(٢)

ألا ياحبّذا نجدٌ وطيبُ تُرابها	وأرواحُها إنْ كان نجدٌ على العهْدِ
ألا ياليتَ شِعْرِي عَنْ عُويْرضَتَيْ قُبا	بطول التّنائي هلْ تَغيّرتا بعْدِي (ب)
وعَنْ أُقْحُوان الرّمْلِ ماهُو فاعِلٌ	إذا هُوَ أمْسى ليْلَه بِثَرى جَعْدِ (ج)
وعَنْ جَارَتَيْنَا بالبَتيل إلى الحِمَى	على عَهْدِنا أم لمْ تَدُوما على عَهْدِ (د)

---

(١) ديوان مجنون ليلى : جمع وترتيب أبي بكر الوالبي تحقيق وشرح جلال الدين الحلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م ص٤٧.

(٢) المرجع السابق ص١٣و١٤.

(ب) عوارضة وقبا : جبلان لبني فزارة .

(ج) ثرى جعد : تراب ند. (د) جارتانا بالبتيل : جبل بنجد.

وعن علويات الرياح إذا جرت ... بريح الخزامى هل تهب إلى نجد (هـ)
وهل تنفض الريح أفنان لمتي ... على لاحق الإطلين مندلق الوخد (و)
وهل أسمعن الدهر أصوات هجمة ... تطالع من وهد خصيب إلى وهد (ز)

وكذلك يورد د. أحمد الحوفي أشعارا للصمة بن عبدالله يتحدث فيها عن جمال نجد فيقول مستشهدا بشعر الصمة :

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى ... وقل لنجد عندنا أن يودعا
بنفسي تلك الأرض ماأطيب الربا ... وماأحسن المصطاف والمتربعا

وهواء نجد في جملته معتدل جاف وإن مال إلى البرودة في بعض الجهات، واشتد حره في جهات أخرى على أن أكثر الرياح هبوبا على نجد الرياح الغربية وتهب على وسط الجزيرة وشماليها ريح شمالية باردة جدا تمدح العرب بالجود وقت هبوبها لأنه زمن القحط.(١)

من كل ماتقدم نستطيع أن نوجز في اليمامة صغيرة محددين الأماكن التي استقرت فيها تميم ، فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية :

" وزادت معرفتنا بتميم منذ القرن السادس الميلادى فإذا بها قبيلة عظيمة تنزل جانبا كبيرا من الساحل الشرقي لبلاد العرب : أي بلاد نجد بأسرها تقريبا وجزءا من البحرين وقسما من اليمامة ، وتمتد منازلهم جنوبا حتى فيافي الدهناء كما تمتد شمالا لشرق إلى ضفاف الفرات ويجاورهم في الشمال (أسد) وفي الجنوب الغربي (باهلة وغطفان) . وامتزجت تميم في منازلها ببطون بني عبدالقيس وحنيفة (وخاصة على الشاطيء الشرقي والجنوبي) كما امتزجت ببكر وتغلب في الشمال وكان التيميون بدوا خلصا فلم تكن لهم مدن بالمعنى الصحيح .

(هـ) علويات : جمع علوية نسبة إلى العالية، وهي مافوق أرض نجد إلى تهامة.
(ز) الهجمة : العدد الكثير من الإبل، والوهد : المكان المطمئن من الأرض.
(١) أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، د. أحمد الحوفي ص٢٤ - مطبعة نهضة مصر بالفجالة ،١٩٥٨.

وجاء في المصنفات أن التميميين كانوا يؤمون حجرا والإحساء والجوعاء، (وهي التي عرفها المؤلفون القدماء باسم "كره" Garra في المواسم والأسواق ولكنهم لم يكونوا أصحاب هذه المدن، وقيل : إنهم كانوا يستولون على المواضع أحيانا وتظل في حوزتهم زمانا ولنذكر أن المنذر بن ساوى صاحب حجر الذي فاوض النبي كان من بني داوم وهي بطن من تميم لا من عبد القيس كما جاء في بعض الروايات". (١)

وأظن أن معظم الرويات تجمع على ماجاء بدائرة المعارف الإسلامية من أن بني تميم سكنوا نجدا والبحرين وجاوروا ديار عبدالقيس وغيرهم من القبائل التي ذكرناها واستنبطناها من مصادرها المختلفة يقول عمر رضا كحالة" وهكذا امتدت منازل العبد بين من العراق شمالا حتى عمان جنوبا وهي المنطقة التي أطلق عليها اسم البحرين قديما رغم أنه من الصعب تحديد الرقعة الجغرافية للبحرين آنذاك لكن الجغرافيين القدامى من العرب أطلقوا اسم البحرين على هذه المنطقة".

ثم يورد الطبرى مايؤيد ذلك فيقول : "كانت ديار عبد القيس ومنازلها في الأصل بتهامة ثم خرجت إلى البحرين وبها خلق كثير من البكريين وتميم الأزد فزاحموهم في المواطن وقاسموهم في الأرض". (٣)

وهكذا وبعد هذه الإلمامة السريعة وبعد أن استطعنا تحديد منازل تميم كما جاء في الصفحة السابقة" من أنها قبيلة عظيمة تنزل جانبا كبيرا من الساحل

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية مجلد١٠ - ص٥٤، ٥٥.

(٢) جغرافية شبه جزيرة العرب - عمررضا كحالة - المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٤، ص٢٦١.

(٣) تاريخ الرسل والملوك(لأبي جعفر محمد بن جريرالطبرى ت ٣١٠هـ تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم. دارالمعارف بمصر، ١٩٦٧ ج٢، ص٥٥.
وانظرأيضا :ابن الأثير(الكامل في التاريخ)دارصادر بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٥ ج١ ص٣٩٢.

الشرقي لبلاد العرب أي بلاد نجد بأسرها تقريبا وجزءا من البحرين وقسما من اليمامة وتمتد منازلهم شمالا وتجاور عددا غير قليل من القبائل العربية في هذه المواطن منها : " أسد" في الشمال ، و" باهلة وغطفان " في الجنوب الغربي ، و" بنو عبدالقيس وحنيفة" - خاصة - على الشاطئ الشرقي والجنوبي وكذا " بكر وتغلب" في الشمال .

وبهذا التحديد العام قد حددنا مواطن ومنازل تميم على سبيل الذكر العام أما إذا أردنا معرفة أسماء المدن والقرى التي نزلوا بها فلنلجأ إلى شعر واحد منهم وليكن ذلك الشاعر الذى نحن بصدد دراسة حياته وشعره علقمة بن عبده التميمي".

فالمتصفح لأشعار علقمة يجد فيها ندرة ظاهرة في ذكر الأسماء والبلدان والمدن والقرى ، فهو يذكر مثلا" ثرمداء " في قوله :

وماأنتَ أمْ ماذِكْرُها رَبَعِيَّةً يَخُطُّ لها مِنْ ثَرمَداءَ قَلِيبُ (1)

وهو هنا يعاتب نفسه، وينكر عليها تتبعها لهذه المرأة وقد بعدت عنه وعن دياره وحلّت في غير قبيلته كما يقول " ربعية" أي من ربيعة بن مالك بن حنظلة .

" وثرمداء" كماجاء بالديوان وكماجاء فيمختار الشعرالجاهلي" ثرمداء" بفتح الثاء والميم وبضمهما : من منازل بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بنجد" (2)

كذلك من المواضع التي ذكرها علقمة في شعره:" الستار، وغرب " فهو يقول:

== وانظر القلقشندى(نهاية الأرب فيمعرفة أنساب العرب تحقيق علىالخاقاني مطبعة النجاح ، بغداد ١٩٥٨، ص٣٣٨.
وانظر معجم قبائل العرب(عمر رضا كحالة) المطبعة الهاشمية دمشق، ١٩٢٩ ، ج٢،ص٧٢٦.

(1) ديوان علقمة الفحل - تحقيق لطفيالصقال ودرية الخطيب. مراجعة د. فخر الدين قباوة بدارالكتاب العربي بحلب. الطبعة الأولى١٣٨٩هـ/١٩٦٩م،ص٣٥.

(2) مختارالشعرالجاهلي ج١، ص٤١٩.

لَيالي لاتبلى نصيحة بيننـــا   ليالِيَ حلوا بالسِّتار فغُـــرُّب (١)

وهذا البيت قد ورد بعد البيت الذي يقول فيه :

ذهبتَ من الهجرانِ في غيرِ مذهبِ   ولمْ يكُ حقا كل هذا التجنُّـــب

ليالِيَ لاتبلى نصيحةٌ بيننـــا   ليالِيَ حلوا بالسِّتار فغُـــرَّب

فهو يعاتب نفسه لأنه هجر هذه المرأة وقد أساء الظن بها فقد هجرته لالريبـــة، ولكن دلالاً وتجنبا ، ولم يك تجنيها حقا إذ أنه لم يفعل مايوجب التجنب ولكنها فعلت هذا زمن المتربع إذ كان حيّاهُما متجاورَيْن فكانوا يوالون النصائح بيـــن الحيَّيْن لتصفو المودة بينهما.

و" السِّتار " : موضع بعالية الحجاز ، و" غُرَّب " : موضع تلقاءه(٢)

وأيضا مـن المواضع التي جاءت في شعرعلقمة : "أُبْر" و" شُرْبُب " . يقـــول علقمة مخاطبا نفسه أيضا :

وما أنتَ أمْ ماذكرُها ربَعيَّـــة   تَحِل بإِبرٍ أوْ بأكنافِ شُرْبُـــب (٣)

فهو يوبخ نفسه على تماديه في حبها مع بعد دارها وحلولها بمحضرها.

و" إِبر " : جبل لغطفان غربي جبل طيء و" شُرْبُب " : جبل في ديار بني ربيعـــة بـن مالك بن تميم في شمال اليمامة.(٤)

وأيضا من المواضع التي ذكرها علقمة في شعره " بيشة " : يقول علقمة في وصـف محبوبته حين نهرها وزجرها :

فَفاءَتْ كما فاءَتْ مِن الأُدم مُغْزِل   ببِيشَة تَرعى في أراكٍ وحلَّـــبِ (٥)

يصورها وقد نظرت إليه حين رجعت كظبية ذات غزال تراقبه وهي ترعى في مكـــان مخصب فيه الأراك والحلَّب وذلك أتم لحسنها وجمالها.

---

(١) ديوان علقمة ، ص٧٩.

(٢) مختارالشعرالجاهلي، جـ١ ، ص٤٣٣.

(٣) ديوان علقمة ، ص٨١.

(٤) مختارالشعرالجاهلي، جـ١، ص٤٣٣ .

(٥) ديوان علقمة ، ص٨٤.

و"بيشة" : وادٍ يصب سيله من حجاز الطائف ثم ينصب مشرقا إلى اليمامة ويبعد عن مكة ممايلي اليمن بنحو خمس مراحل وبه من النخل كثير.(١)

وجاء في شعر علقمة أيضا من ذكر المواضع والأماكن "جُواثي" : يقول علقمة :

وَرُحْنا كأنّا مِنْ جُوَاثي عشيّـــةً نُعالي النِّعاجَ بيْنَ عِدْلٍ ومحْقَـبِ (٢)

يقول وقد عادوا من صيدهم كأننا لكثرة مامعنا تجار واردون من جواثي أوجؤاثي والأعدال جمع عدل وهي الغرائر التي تحمل فيها الأشياء على الجانبين فيعادل بعضها بعضا في الوزن والقدر.

وجواثي : بالواو وبالهمز : قرية بالبحرين ترفأ إليها السفن من الهند حاملة أنواعا شتى من البضائع الهندية وغيرها ينزلها تجار العرب ليحملوا منها كل مايحتاجون إليه.(٣)

وذكرها ياقوت في معجمه: إنها قرية بالبحرين (٤)

" فيها حصن باسمها وصفه البلاذري بأنه حصن البحرين ".(٥)

وجاء في القسم الثاني لشعر علقمة اسم موضع كانت لهم فيه وقعة هذا الموضع هو" حذنة"، يقول علقمة :

---

(١) مختار الشعر الجاهلي ، جـ١ ،ص٤٣٥.
(٢) ديوان علقمة ، ص٩٨.
(٣) مختار الشعر الجاهلي ، ص٤٤٠.
(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي ، جـ٥ ، ص١٣٤.
(٥) (البلاذري) أحمد بن يحيي بن جابر ت ٢٧٩ هـ - فتوح البلدان - تحقيق عبدالله أنيس الطباع وأخيه ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ١٩٥٧ ، ص٨٣.
وانظر صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار - لمحمد بن عبدالله النجدي بن بليهد . مطبعة السعادة المحمدية بالقاهرة ، ١٩٥١ جـ٣ ، ص٩١.

وقرّت لهم عيني بيوم حفنـــة   كأنهم تنبيح شـــاءٍ معنّــا (١)

و"حذنة" : بالضم موضع قرب اليمانة كانت فيه وقعة (٢)

هذا كل ماورد في شعرعلقمة من ذكر للأماكن والمواقع التي يغلب الظن أن تميما قبيلة الشاعر قد سكنتها ونزلت بها ولم يمنع عدم ذكرعلقمة من ذكـــر أماكن ومواضع أخرى في شعره ـ أقول لم يمنع ذلك أن تنزل تميم مواضع كثيــرة غيرالتي ذكرها علقمة في شعره فهناك أماكن عديدة أخرى . ذكرالبكرى فيمعجـــم ماستعجم أنها لتميم نحصرها فيما يلي :

أُمَـــي : بضم أوله وفتح ثانيه بعده ميم مفتوحة أيضا ثم ياء علىوزن "فُعلَـــى":
هكذا ذكره سيبويه في الأبنية ، وهو موضع من بلاد بني سعد (٣)

"الرّوحان" : من بلاد بني سعد أيضا . (٤)

"جبهم" : في ديار بني سعد أيضا . (٥)

"أُشَيّ" : بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الياء أخت الواو على لفظ التصغيـــر :
واد أوجيل في بلاد بني العدوية من بني تميم ، قال الرياشي: وأوطانهم ببطن الرية . وقال عمارة بن عقيل : أشي : وادى البراجم . وقال عمـــر بن شبه : بلد قريب من اليمامة ، قال عبده بن الطبيب السعدى :

والحيّ يوم أشي إذ ألمّ بهم   مرّ من الدهرإنّ الدهر مرار (٦)

"ترباع" : بكسر التاء وبالباء المعجمة بواحدة وعين مهملة : موضع في ديار بنـــي تميم من اليمامة . (٧)

---

(١) ديوان علقمة ، ص١٥٦.
(٢) مختار الشعرالجاهلي، ص٤٤٢.
(٣) معجم ماستعجم ، جـ١ ، ص١٢٧.
(٤) المرجع السابق، جـ١ ، ص١٢٧.
(٥) المرجع السابق ، جـ١ ،ص١٢٨.
(٦) المرجع السابق ،ص١٦١،١٦٠.
(٧) المرجع السابق ، ص٣٠٧.

الزُخْمُ : بضم أوله واسكان ثانيه . وأنشد الخليل في حرف الضاد :

لِمَن الديار بشط ذى الرخم فمدافع التربَاع فالزُخْم

وهذه مواضع في ديار بني تميم في اليمامة .(١)

ومن المواضع التي ذكرها الهمذاني في كتابه مختصر البلدان أنها لتميم، وبعد أن تحدث عن البحرين وعن الحزون والحرات والسروات تحدث عن البراق، وقال : والبُراق :

بُرقة منشد : ماء بين بني تميم وبين بني أسد .(٢)

تلك مواطن ومنازل وديار قبيلة تميم في الجاهلية وسنلحق إن شاء الله بهذا المبحث خرائط* توضح مواطن تميم بالنسبة لجيرانها من القبائل الأخرى، وأظن أن الصورة العامة لهذه المواطن وتلك المنازل سوف تتضح أكثر من خلال الحديث عن أيام القبيلة وغزواتها وحروبها وأحداثها في نهاية هذا الفصل إن شاء الله.

ولنفرغ الآن إلى الحديث عن أنساب قبيلة تميم والذى سأحاول فيه الكشف عنها لمعرفة أصولها وفروعها وصحة أنسابها.

---

(١) المرجع السابق ص٦٩٥.
(٢) مختصر كتاب البلدان ص٣٢.
* انظر الخرائط في ملاحق الرسالة.

- ٢ -

" أنساب القبيلــــة

قبيلة تميم احدى قبائل العرب الشمالية أو " العدنانية " تنتهي بنسبها إلــى مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وقد لاقت هذه القبيلة - كما لاقت القبائل الكبيرة الشهيرة غيرها - أقــــو ل قد لاقت اهتمام علماء الأنساب رواة الأخبار فأفاض كثير منهم في ذكر أنسابهـــــا وفصلوا الحديث عن أصولها وفروعها.

وعلى الرغم من كل هذا الاهتمام البالغ الا أن الباحث يجد من الصعوبـــــات البالغة الشيء الكثير فإنه لايستطيع الخلوص إلى الصورة الواضحة لأنساب هـــذه القبيلة أوغيرها من القبائل ، إلا إذا حاول أن يتتبع الروايات المختلفــــــة والأخبار المتنوعة ويتقصّاها جميعا ويقارن بينها بوعي كامل ودقة تامة .

والبدوى القديم كان يحرص على النسب حرصه على حياته إذ لاحياة له إلافي ظل قبيلة ينتمي إليها ، ويجد في ظلها الأمن والطمأنينة ، بل يجد الحياة نفسها بكل مقوماتها ، يقول د. جواد علي " وقد استدعى نظام القبائل وجوب العنايـــة بالأنساب للمفاخرة والمنافرة والتحالف بين القبائل والذب عن الأفراد والجماعات. والنسب هو الضامن والكفيل للحصول على حقوق المواطنة في المجتمع القبلـــي التي تقوم فيه القبيلة وفروعها مقام القومية والجنسية الآن "(١)

معنى هذا أن العرب اهتموا بأنسابهم اهتماما بالغا ، وكانوا بحكم بتكوينهم القبلي فيالجاهلية يعتبرون النسب من مقومات القبيلة إن لم يكن أول هـــــذه المقومات . وكان الشاعر منهم إذا مافخر بقومه فاخر بنسبه يقولد. جواد علـــي

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام . د. جواد علي ، مطبعة النقيض ببغداد ، ١٩٥٠ ، جـ١ ، ص٢٢١.

أيضا " وكان للنسب شأن خطير في حياة العرب ، وهو أمر ضروري جدا بالنسبة إلى النظام الذي كان سائدا يومئذ . وقد تخصص بمعرفته جماعة يقال لهم: " النسّابون" ، واحدهم نسّابة ويعرفونه أيضا بأصحاب الأنساب". (١)

ويقول د. يوسف خليف" ولعل فيما عبّر به العرب عن بعض أشكال جماعاتهم بالبطن والفخذ مايصور ذلك الإحساس الذي كان يحسه العربي بتلك الصلة الجسدية" التي تربطه بجماعته". (٢)

" ولايعتقد أن عمر بن الخطاب حين دون الأنساب وقسمها مجموعتين قد اختلق هذا التقسيم اختلاقا إنه بناه على حسب معرفته بها أولا لأنه كان عالما من علماء الأنساب أخذ علمه عن أبيه الخطاب ، وقبل أن يسجل أسماء القبائل استدعى النسّابين المشهورين في ذلك الوقت على رأسهم عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وهم من انتهى إليهم هذا العلم وروايته منذ الجاهلية". (٣)

هذه لمحة عن أهمية النسب بالنسبة للعرب في جاهليتهم وكيف أن النسب عندهم كان يمثل قضية من أهم قضايا حياتهم لايمكنهم الاستهانة بها إذ كانت عندهم كقضية الحياة إن لم تزد عنها.

وقبل أن نبدأ بدراسة نسب قبيلة تميم في الجاهلية نود أن نلقي بعض الضوء عن هذه الفترة التي سبقت الإسلام ، والتي تسمى بالفترة الجاهلية وعن حالتها الحضارية وعمّ أُخذت هذه اللفظة أهي من الجهل الذي ضد العلم أم غير ذلك؟

---

(١) المرجع السابق ، جـ١ ، ص٣٠٨.

(٢) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، د. يوسف خليف ، طبعة ٢، ١٩٦٦ص١٠٤

(٣) الطبقات الكبرى : لأبي عبدالله البصري الزهيري المعروف بابن سعد ت ٢٣٠هـ - دار بيروت / دار صادر ، ١٩٥٧ ، جـ٣ ، ص٢١٢.

ولاشك أن كثيرا من الباحثين قد تعرضوا لذلك وأوفوا هذا البحث حقه من الدراسة ولكني أرى أنه من الواجب عليّ وأنا أدرس شاعرا عاش في هذه الفترة حياته كلها.

أقول : انني أرى من واجبي التعرض لها بالدرس والتحليل .

يقول د. عمر فروخ " لقد كان للبادية حضارتها الخاصة بها ويبدوا أن هذه الحضارة البدوية لم تكن في مستواها أقل من الحضارات المعاصرة لها ، وكان الجانبان الروحي والأدبي من تلك الحضارة ساميين جدا.

إن اللغة التي وصلت إلينا من أولئك البدو كانت أتم اللغات السامية مفردات وصرفا ونحوا وبلاغة . وكان الأدب الذى وصل إلينا من الجاهلية أدبا انسانيا رفيعا وعزيزا جدا وكان في هذا الأدب الذى وصل إلينا مثل عليا وآراء في الحياة وجوانب من المعرفة وقواعد من السلوك الشخصي والجماعي تدل كلها على المستوى الذى وصل إليه أولئك البدو في حياتهم العامة والخاصة ، على أنه كان لهؤلاء البدو مساوئ كثيرة حملتهم عليها حياة الشظف القاسية التي خضعوا لها في بيئتهم تلك . إن معظم تلك المساوئ تبدو مجسمة لنا كثيرا لأننا نعيشها عادة ببيئتنا نحن وبحضارتنا نحن "(١) .

ولكي نقف على هذه المثل والمبادئ والقيم الروحية والأدبية من جانب وعلى تلكم المساوئ من جانب آخر ، يرى د. جواد علي أنه لابد من الرجوع إلى أصدق المصادر وأدقها جميعا . إلى القرآن الكريم ، يقول د. جواد علي :

" الحق أننا إذا أردنا الوقوف على أحوال الحياة الجاهلية وعلى تفكير الجاهليين،

---

(١) العرب في حضارتهم وثقافتهم . د. عمر فروخ ، دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨ ، ص٣٨ ، ٣٩.

في الحجاز وقوفا صريحا لاريب فيه ولاشبهة . فلابد لنا من الرجوع إلـــى القرآن الكريم ، ولابد من تقديمه على سائر المراجع العربية الإسلامية ، وهـــو فوقها بالطبع ولا أريد أن أدخله فيها لأنه كتاب مقدس . لم ينزل كتابا فـــي التاريخ أواللغة أوماشاكل ذلك ، ولكنه نزل كتابا عربيا لغته هي اللغـــة العربية التي كان يتكلم بها أهل الحجاز ، وقد خاطب قوما نتحدث عنهم فـــي هذا الكتاب فوصف حالتهم وتفكيرهم وعقائدهم ونصحهم وذكرهم بالأمم والشعـوب العربية الخالية " أ " وطلب منهم ترك ماهم عليه وتطرق إلى ذكر تجارتهـــم وسياساتهم وغير ذلك ، وقد مثلهم أناسا كانت لهم صلات بالعالم الخارجـــي ، واطلاع على أحوال من كان حولهم ، وفيه تقنين لكثير من الآراء التي نجدها فـــي المصادرالعربية الإسلامية ، فهو مرآة صادقة للعصر الجاهلي ، وهو كتاب صـــدق لاسبيل إلى الشك في صحة نصه.

صورالقرآن الكريم الجاهليين تصويرا صادقا ، وصفهم كماكانوا ورسم النحـــو الذى كانوا عليه قبيل نزول الوحي ، فذكر آراءهم ومذاهبهم في الحياة ، وتعـــرض لحياتهم الدينية على قدر ماكان لهذه الحياة من علاقة بمعارضتهم للقرآنوالإسلام وبين شدة تمسكهم بمثلهم وبعقائدهم تمسكا شديدا ، وتعرض لنواح من الحيـــاة الاقتصادية والسياسية عندهم وذكر تجارتهم مع العالم الخارجي ووقوفهم علـــى تيارات السياسة العالمية وانقسام الدول إلىمعسكرين . وفي كل ذلك دليل علـــى أن صورة الإخباريين التي رسموها للجاهلية لم تكن صورة صحيحة متقنة وأنمازعموه من عزلة شبه جزيرة العرب وجهل العرب وهمجيتهم في الجاهلية الجهلاء كـــان زعما لايؤيده القرآن الكريم الذى خالف كثيرا مما ذهبوا إليه "[(١)]

(أ) سورة هود ، ٩٥ . الحج ، ٤٢ . الشعراء ، ١٤١ . الحاقة ، ٤ ، ق ، ١٤. الدخان ٣٧ ، الفيل ، ١ . البروج ، ٤.

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام د. جواد علي جـ١ ص ٣٤

والدكتور جواد علي قد استمد معظم أحكامه هذه من الدكتور طه حسين في كتابه في الأدب الجاهلي ، إذ يتضح لنا أن لفظة الجاهلية ليست مأخوذة من لفظة الجهل التي هي نقيض العلم . وللدكتور عمر فروخ رأي نورده لنستدل به على أساس هذه اللفظة ، يقول : د. عمر فروخ " الجاهلية هي الزمن الذي مرّ قبل الدعوة الإسلامية أوقبل الهجرة على الأصح ، ذلك لأن الحكم السياسي والنفوذ الاجتماعي كانا لايزالان قبل الهجرة للمشركين من العرب والجاهلية اسم أطلقه القرآن على تلك الحقبة من الزمن . وورد لفظ الجاهلية في القرآن الكريم أربع مرات :

في سورة آل عمران " ٣ : ١٥٤ "

ثم في سورة المائدة " ٥ : ٤٩ - ٥٠

وفي سورة الاحزاب " ٣٣ :٣٣ "

وفي سورة الفتح " ٤٨ : ٢٦ "

مما تقدم ومما وصف الله به العرب قبل الإسلام من غير أن يطلق عليه لفظ الجهل هذا ندرك أن "الجاهلية" مشتقة من " الجهل" الذى هو ضد " الحلم" لا من " الجهل" الذى هو ضد" العلم".

فأهل الجاهلية إذن هم العرب الذين عاشوا قبل الإسلام في بوادى شبه جزيرة العرب وفي مدنها الباقية ، إذ كان يغلب عليهم التنازع والتقاتل والعداوة والثأر والتعاون على الإثم والعدوان وظلم بعضهم بعضا بتقديم مصلحة قبيله على قبيلة ، وتقديم مصلحة الفرد على القبيلة ، كلما وجد الفرد فرصة إلى ذلك كما كان يغلب على جماعات منهم أحياناً وأد الأولاد وشرب الخمر، ولعب الميسر، وأخذ الربا والإسراف في الكرم"(١)

وقبيلتنا التي نحن بصدد دراستها هنا هي تميم ، وتميم تنتمي في نسبها إلى مضر فهي" **تميم بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر**".(٢)

عن تميم يحدثنا ابن دريد في كتابه الاشتقاق فيقول :

" تميم" : واشتقاق تميم من الصلابة والشدة قال الشاعر " زهير بن أبي سلمى يصف فرسا له :

تَمِيمٌ فَلَوْنَاه فأكْمِل خَلْقُه ... فتَمَّ وعزّته يداه وكاهله

والتميمة : المعاذة : تعلق على الإنسان ويمكن أن يكون من هذا أيضا، وقد سمت العرب ، تميما وتماما ومتمما فأما" متمم" فهو المتمم للأيسار. ويقال امرأة حُبْلى مُتِم إذا تمّت أيامها وولدت لتم أى لتمام . وليل التِّمام : أطول ليلة في

---

(١) العرب في حضارتهم وثقافتهم د. عمر فروخ ، ص ٤٠ ، ٤١.

(٢) المفضليات - ديوان العرب ١ ص ٣٩.

السنة وبدرالتمام : إذا تم واستوى"(1) .

وعن آباء تميم وأبنائه يحدثنا ابن قتيبة في معارفه فيقول :

" ولد طانجة" : ثم ولد طانحة بن إلياس : أدّ بن طانجة فولد أدٌ :

مُرّ بن أدّ ، وعبد مناة بن أدّ ، وضبة بن أدّ ، ومزينة بن أدّ ، وخميس بن أدّ .

فأما عبد مناة بن أدّ فمنهم تميم بن عبد مناة وبطونها ، وعدي بن عبد مناة - منهم - ذو الرمة الشاعر . وعكل وبطونها وهؤلاء الثلاثة من الرباب وثور بن عبد مناه وهم رهط سفيان الثوري والربيع بن خثيم .

وأما ضبّة بن أدّ : فولده : سعد ، وسعيد ، وباسل .

فأما باسل فهو أبوالدّيلم ويذكر أن " قوس" باسل و"رحله" عند الديلم إلى هذه الغاية وقتل سعيد ولاعقب له.

وضبّة كلها ترجع الى سعد بن ضبّة وهي جمرة من جمرات العرب وهي الرّباب وولد سعيد الذي تنسب إليه ضبة بكر وثعلبة وصريم ومن بطونهم ، نصر، ومازن، وذهل ، وعائذة ، وتيم اللات ، واسمه حازم" ، وذبيان ، وعرف ، وشبيم.

فمن ذهل بجالة ، وتيم ، وصبيح ، وضبيعة ، وكعب ، وهؤلاء : بنو بجالة ومن كعب ضرار بن عمرو وهو بيت ضبة وهو القائل : من سرّه بنوه ساءته نفسه. وولد له ثلاثة عشر ذكرا . وبنو صياح - وهم معروفون بالصيد - وشقرة وهلال.

---

(1) الاشتقاق : لأبي بكر محمد بن الحر بن دريد "٢٢٣ - ٣٢١هـ " تحقيق عبدالسلام هارون ، مؤسسة الخانجي بمصر ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٨م.
وانظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٧ ، إذ يذكر أن " أصل العرب عند أغلب النسابين يرجع إلى ثلاثة رجال هم قحطان وعرفان وقضاعة أبناء إسماعيل ومنهم جاءت العرب " فالضحاك وإياد ونزار وقنص وعبيد الرماح أبناء معد بن عدنان ، وإياد ومضر وربيعة وأنمار أبناء نزار ، وقيس عيلان وإلياس أبني مضر . وعمرو (طابخة) ، وعامر (مدركة) ، وعمير (قمعة) ، أبناء الياس .

وأما مزينة بن أدّ : فهم مزينة مضر - منهم النعمان بن مقرن ومعقل بن يسار وبكر بن عبدالله المزني ، وزهير الشاعر.

وأما خُمَيْس بن أدّ : فهم قليل يكونون في البصرة : في بني عبدالله بن دارم ، وفي الكوفة : في بني مجاشع.

وأما مرّ بن أدّ : فولده : ثعلبة بن مرّ . وهم بنو ظاعِنَة - نسبوا إلى أمهم .

وبكر بن مرّ : وهم الشعيراء . وأراشة بن مرّ : ولحقوا باليمن فصاروا في حذام ولخم ويقال لهم جد يس . والغوث بن مرّ : فصاروا في اليمن ويقال لهم: بنو صدفة وتميم بن مرّ : وقبره بمرّان وولده : زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن تميم والحارث بن تميم " أمهم العوراء بنت ضبّة " فأما الحارث بن تميم " فمنهم شقرة".

وأما عمرو بن تميم : فولده : العنبر بن عمرو ، والرجيم بن عمرو ، وأسيد بن عمرو" رهط أبي حاضر الأسيدى ، وأكثم بن صيفي ، وأبي هالة" زوج خديجة"

والقليب بن عمرو، والحارث بن عمرو وهو الحبط . ويقال لولده : الحبطات ومالك بن عمرو ومنهم : مازن ، والحرماز ، وأبو عمرو بن العلاء من مازن .

وأما زيد مناة بن تميم فولده " سعد بن زيد مناة- وفيه العدد - وعامر بن زيد مناة" - وهم قليل - ، وامرؤالقيس بن زيد مناة - منهم عدى بن زيد الشاعر. ومن قبائلهم : بنو عصية .

ومالك بن زيد مناة" : منهم ربيعة الجوع : رهط علقمة بن عبدة الشاعر ، وعلقمة الخصي"(1) ، وعن مالك هذا يحدثنا ابن دريد أيضا ، فيقول :

" وأما مالك بن زيد مناة ففيه الشرف : فمن بني مالك بن حنظلة :"علقمة بن عبدة": شاعر قديم ، ومنهم حميد الراجز الأرقط ومنهم علقمة الخصي وهوأحد

---

(1) المعارف لابن قتيبة ، تحقيق د. ثروت عكاشة ، الطبعة الثانية : دارالمعارف، بمصر.

من شهد على قدامة بن مظعون بشرب الخمر عندعمر وقال له أتقبل شهادة خصي؟ فقال له عمر : أما شهادتك فنعم "(١).

وعن سر هذه الأسماء الكثيرة التي مرت بنا يحدثنا ابن دريد:

" ومنها أن الرجل كان يخرج من منزله ، وامرأته تمخض فيسمى ابنه بأول مايلقاه من ذلك نحو: ثعلب ، وثعلبة ، وضب وضبة ، وكلب ، وكليب وحمار وقرد وخنزير وجحش وكذلك أيضا تسمي (أي العرب) بأول مايسنح أويبرح لها من الطير نحو غراب وصرد وما أشبه ذلك.

أخبرنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام عن المسيب التميمي قال : خرج تميم بن مرّ وامرأته سلمى بنت كعب تمخض فإذا هو بواد قد انبثق عليه لم يشعر به فقال : اللبل والسيل (فرجع وقد ولدت غلاما فقال لأجعلنه لإلهي فسماه : زيد مناة . ثم خرج خرجة أخرى وهي تمخض فإذا هو بضبع تجر كاهل جزور، فقال :

أعني به رئية (أ) يأوى إلى ركن شديد ، فولدت عمرا . ثم خرج وهي تمخض فإذا هو بمكاء يغرد على عوسجة قد يبس نصفها وبقي نصفها فقال: لئن كنت قد أثريت وأسريت لقد أجحدت وأكديت (ب) ، فولدت غلاما فسماه الحارث وهم أقل تميم عددا "(٢).

وعن هذا النسب يحدثنا د. على الجندى مجملا نسب تميم ، فيقول :

---

(١) الاشتقاق لابن دريد ، ص٢١٨.

انظر الرسوم التوضيحية لأنساب قبيلة تميم في ملاحق الرسالة

(أ) أعثى : يعني الضبع من العثي وهو كثرة الشعر ، والرئية: الضعف والنحافة .

(ب) أكدى الرجل : أي قل خيره ، والمكدى من الرجال : الذى لايثوب له ماله ولاينمي.

(٢) الاشتقاق لابن دريد " المقدمة - ص ٦.

" قد تفرع من مضر فرعان عظيمان هما إلياس وقيس عيلان أما إلياس فأولاده ثلاثة هم : عامر " وهو مدركة " ، وعمرو " وهو طابخة " ، و"عمير " وهو قمعة " ، وأم الثلاثة خندف من قضاعة فنسبوا إليها [1]. وقد تفرع من خندف أولاد إلياس الفروع الآتية :

(١) خزاعة (٢) هذيل (٣) غفار (٤) قريش (٥) أسد بن خزيمة من مدركة بن إلياس (٦) الرباب (٧) مزينة (٨) تميم .

وتميم : هو تميم بن مرد بن أد بن طابخة بن إلياس وذرية تميم : الحارث وعمرو وزيد مناة ، فمن عمرو : الحكيم المشهور أكثم بن صيفي والقاضي يحي بن أكثم وأوس بن حجر الشاعر وقطرى بن الفجاءة والمازني النحوى والمقرئ أبوعمرو بن العلاء .

ومن زيد مناة الفروع الآتية :

(أ) سعد بن زيد مناة : ومنهم الراجز بن الراجز رؤبة بن العجاج وعبدة بن الطيب الشاعر وقيس بن عاصم المنقرى والسُّلَيْك بن سُلَكَة والزبرقان بن بدر وعوير بن شجنة الذى يقول فيه امرؤ القيس :

عويرٌ ومَنْ مِثْلُ العوير ورَهْطِه أبَرُّ بأيْمَانٍ وأوْفَى بجيران

وبنو أنف الناقة الذين منهم المخبّل الشاعر.

(ب) ربيعة بن مالك بن زيد مناة : منهم **علقمة بن عبدة** وأخوه شأس وحميد الأرقط الراجز .

(جـ) يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة . ومن يربوع الفروع الآتية :

(١) ثعلبة بن يربوع : ومنهم مالك ومتمم أبناء نويرة ، وداوود بن متمم والشاعر الكحيلة بن هبيرة.

---

(١) جمهرة أنساب العرب ، ص١٠.

(جـ) (٢) الحارث بن يربوع : ومنهم سليط وضباب

(٣) بنوكلب بن يربوع : ومنهم جرير الشاعر ومن ذريته شعراء : العنبرين يربوع ومنهم سجاج المتنبئة .

(٤) رباح بن يربوع : ومنهم الشاعر سحيم بن وثيل وهو القائل :

أَنَا ابنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَـا   مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِـي

والشاعر الأحوص بن عمرو بن عناب الردف بن هربي بن رباح بن يربوع.

(د) مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة : ومن ذرية مالك هذا : نهشل ومجاشع وعبدالله ومن نهشل الأسود بن يعفر الشاعر

ومن مجاشع : الأقرع بن حابس ، والفرزدق الشاعر والبعيث الشاعر.

ومن عبدالله : عدس : ومن ذريته : زرارة وأولاده عشرة منهم : أبوعكرشة حاجب ، وأبو نهشل لقيط ".(١)

من كل ماتقدم يتضح لنا أن تميما قبيلة عربية عظيمة النسب كثيرةالولد، تنتمي إلى مضر أي إلى عرب الشمال .

يحدثنا الدكتور عمر فروخ عن عرب الشمال فيقول :

" إن عرب الشمال كانوا أصفى أنسابا وإذا فرضنا اختلاطهم بمن جاورهم في الشام ، والعراق ، فإن هذا الاختلاط كان بين عرب وعرب ، أوبين عرب وساميين ثم إنّ الاختلاط بين عرب الشمال وبين الفرس والروم كان أمرا نادراجدا، أما عرب الجنوب فكان اختلاطهم بالأفريقيين خاصة وبالفرس والهند بارزا جدا. إن حياة عرب الشمال كانت في معظمها بدوية ، فلم ينزل

---

(١) تاريخ الأدب الجاهلي ، د. على الجندى ، ص ٤٢ ومايليها.

بينهم جوال أجنبية ، أما عرب الجنوب فكانت حياتهم أقرب إلى أن تكون حضرية ، لأن أرضهم على سيف البحر كانت أكثر خصبا . ولقد نزلت في الجنوب جوال زنجية ، وهندية ، وفارسية كثيرة مما أثر في الأنساب والحياة الاجتماعية معا ". (١)

هذا الذى يذكره د. فروخ ذكره ابن خلدون في مقدمته باللفظ الصريح إذ قال : إن الصريح من الأنساب إنما يوجد للمتوحشين في القفر ومن في معناهم وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن فلا ينزع إليهم أحد من الأمم يأنس بهم ويعيش معهم فيؤمن عليه من أجل ذلك - من اختلاط أنسابهم وفسادها - ولاتزال محفوظة صريحة ". (٢)

ذاك نسب بني تميم ، وتلك بطونها وفروعها ، حاولت استقصاءها من مظانها المختلفة وهي على مايبدو من قبائل العرب العظيمة في سيادتها وشرفها وكثرة عدد أبنائها الذين سادوا الجزيرة العربية وكانت لهم اليد الطولى في الشرف والسيادة والكرم والقوة والعفة والإباء ، مما ورد في أخبار هذه القبيلة ، وبما سنستشهد به مدللين على ذلك .

إنّ مما يؤيد ذلك خبرا يورده الآلوسي في بلوغ الأرب عن حاجب بن زرارة التميمي فيقول : " قد علمت العرب أنّا فرع دعامتها ، وقادة زحفها، قالوا: ولم ذاك ياأخا بني تميم ؟ قال : لأنا أكثر الناس عديدا ، وأنجبهم طرا وليدا ، وأعطاهم للجزيل ، وأحملهم للثقيل . ثم قال : شاعرهم فقال :

---

(١) العرب في حضارتهم وثقافتهم - د. عمرفروخ ، ص٤٣.
(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص١٢٩.

ولقد علمت أبناء خندف أننـــا	لنا العز قدماً في الخطوب الأوائل
وأنا كرام أهل مجدٍ وثـــروةٍ	وعز قديم ليس بالمتضائـــل
فكم فيهم من سيدٍ وابن سيـــدٍ	أغر نجيب ذي فعال ونائـــل
فسائل أبيت اللعن عنا فإننـــا	دعائم هذا الناس عند الجلائـــل (٣)

وهاهو الفرزدق الشاعر التميمي يفخر بالتميميين ، فيقول :

وإذا الربائع جاءني دفاعهـــا	موجاً كأنهم الجراد المرســـل

الربائع ثلاثة : ربيعة الكبرى وهم ربيعة بن مالك بن زيد مناة الذي يلقـــب ربيعة الجوع وهم رهط علقمة بن عبدة الشاعر . وربيعة الوسطى وهو ربيعـــة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة وهم رهط المغيرة بن حبناء الشاعر رهط أبـي بلاس مرداس بن أدية . وربيعة الصغرى وهو ربيعة بن مالك بن حنظلـــــة وهم رهط الحنتف بن الشجف وكل واحد من الربائع عم صاحبه .

والدفاع : دفاع السيل حين يكثر ويمتد شبه كثرة الرجال بالسيل حين يدفـــع (١)

ويقول أيضا الفرزدق مفتخرا :

وإذا البراجم بالقروم تخاطروا	حولي بأغلب عزة لاينـــزل

(ويروى) وإذا الربائع بالقروم تخاطرت ، والبراجم : من بني حنظلة بـــن مالك بن زيد وهم خمسة : قيس ، وغالب ، وعمرو ، وكلفة ، والظليـــم: تبرجموا على سائر إخوتهم يربوع بن حنظلة ، وربيعة بن حنظلة ومالك بـــن حنظلة . قالوا : نجتمع كبراجم الكف .

---

(١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . لمحمود شكرى الآلوسي البغـــدادى عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثرى . الطبعة الثالثة. مطابـع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٤٢ هـ ، جا ، ص٢٨٢ ، ٢٨٣.

(٢) نقائض جرير والفرزدق + لأبي عبيدة معمر بن المثنى . طبع في مدينـــة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ١٩٠٧ م ، جا ، ص١٨٦.

والبراجم رؤوس الأشاجع التي هي أصول الأصابع ، والقروم . تخاطروا كما تخطر الفحول بأذنابها إذ تهدد بعضها بعضا . والأغلب : الغليظ العنق.(١)

ويذكر الفرزدق الرباشع مرة أخرى في شعره معتزا بهم فيقول : هاجيا جريرا :

فياعَجَبي حتّى كليبٌ تَسُبُّني ... كأنّ أباها نهشلٌ أومُجاشِعُ

أتفخرُ أنْ دقّتْ كليبٌ بِنَهْشَلٍ ... ومامِنْ كُلَيْبٍ نهشلٌ والرباشعُ(أ)

ولكنْ هما عمّاي من آلِ مالِكٍ ... فأقْعِ فقد سُدّتْ عليك المطالعُ

فإنّك الا مااعتصمتَ بنَهْشَلٍ ... لمُستَضعفٌ يابْنَ المراغَةِقاشِعُ (٢)

وان اعتبرنا هذا فخرا من الفرزدق ، ومن يفخر بقومه ، فقد يصفهم بما ليس فيهم ويضفي عليهم ماهم محرومون في الحقيقة منه . أقول إذا اعتبرنا هذا من الفرزدق زائدا عن الحد المعتدل ، فانّ ابن قتيبة يورد لنا مايدل على قوة هذه القبيلة وشدة بأسها إذ يقول في معارفه :

" لم يكن في العرب أكثر غارة على ملوك الحيرة من " بني يربوع " من تميم " فصالحوهم أن يجعلوا لهم الردافة ويكفّوا عن أهل العراق الغارة . وكانت الردافة أن يجلس الملك ، ويجلس الردف عن يمينه ، فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس ، وإذا غزا الملك جلس الردف موضعه . وكان خليفته على الناس حتى ينصرف ، وإذا غارت كتيبة الملك أخذ الردف الرباع وكان جرير يذكر ذلك وهو من بني يربوع فيقول :

رَبَعْنا وأرْدَفْنا المُلوكَ فظلّلوا ... وطَابَ الأحَالِبُ الثّمامَ المُنَزَّعا

---

(١) المرجع سالسابق ، ص ١٨٦ ، ١٨٧.

(أ) وذلك أن يربوعا كانت حلفاء في بني نهشل في الجاهلية .

(٢) النقائض ، ص٦٩٩.

الأحاليب : جمع إحلابة ، وأحلابة ، وهو مازاد على السقاء من اللبن، إذا جاء به الراعي حين يورد إبله ، وفيه اللبن فما زاد على السقاء فهو أحلاب الحي وإحلابته ، والثمام المنزع هو الثمام ينزع من أصله فتبرد به أوطاب اللبن).

وكان أول من ردف فيهم " عتّاب بن هرمي بن رياح اليربوعي " ثم ابنه " عوف بن عتّاب" ثم ابنه " يزيد ابن عوف " على عهد " المنذر بن ماء السماء " فبعث المنذر بن ماء السماء جيشا إلى بني يربوع عليه" قابوس" و" حسّان" ابناه . ويقال : إنّ حسانا " أخاه طلب انتزاع الردافة منهم فحاربتهم بنو يربوع ، وكان ملتقاهم بـ" طخفة" فهزمت بنو يربوع جيش " المنذر" وأسروا ابنيه ، فبعث " المنذر" إليهم بألفي بعير فداء ابنيه وأقر الردافة فيهم . قال جرير :

وَيَوْمَ أَتَى قَابُوسُ لَمْ نُعْطِهِ المُنَى ... وَلَكِنْ صَدَعْنَا البَيْضَ حَتَّى تَهَزَّمَا (١)

وعن هذه المفاخر أيضا يحدثنا صاحب سبائك الذهب ويروى عن ابن الكلبي قوله ، قال كسرى للنعمان بن المنذر يوما : هل في العرب قبيلة تَشْرُف على قبيلة ؟ قال : نعم . قال فبأى شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال رابع .

ثم يقص قصة أمر كسرى للنعمان أن يجمع له رؤساء من عشائر القوم وأن يقعد له الحكام والعدول وقال : ليتكلم كل رجل منكم بمآثر قومه وليصدق فتحدث حذيفة بن بدر بن فزارة وتحدث الأشعث بن قيس وتحدث بسطام الشيباني . ثم قام حاجب بن زرارة التميمي فقال : قد علمت العرب

---

(١) المعارف - لابن قتيبة ، ص٦٥١.

أناَّ فرع دعامتها ....[1] الخ" الخبر الذى أوردناه منذ قليل . من كل ماتقدم

من كل ماتقدم تتضح لنا قوة هذه القبيلة التي اشتهرت بها بين قبائل العرب قاطبة بل التي هيأت لرجال كثيرين من بني تميم أسباب الحكم، فقد اشتهر رجال كثيرون بأنهم قادوا القبيلة وحكموا وسادوا ، يحدثنا عن هؤلاء جميعا ابن حبيب في كتابه المحبَّر . فيتحدث عن حكام العرب من القبائل جميعها ، ويذكر من تميم ربيعة بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم .

وكان يجلس على سرير من خشب في قبة من خشب فسمي ذا الأعواد. وله يقول الأسود بن يعفر :

ولقدْ عَلِمْتَ سِوَى الَّذى نَبَّأْتَنِي أنَّ السَّبيلَ سبيلُ ذى الأَعْوادِ

وكان أبوه مخاشن أيضا قبله حكما و" أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن و" ضمرة" بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم.

و"حاجب" بن زرارة بن عدس بن يزيد بن عبدالله بن دارم.و" الأقرع" بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم[2]

---

(١) سبائك الذهب (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب . لمحمد أمين البغدادى الشهير بالسويدى مكتبة المثنى ببغداد ، ص١٠٥.
وأنظر بقية خبر حاجب بن زرارة مع كسرى في صفحتي ٢٧، ٢٨.

(٢) المحبر : لأبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادى ت ٢٤٥ هـ .
رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكرى، تحقيق إيلزة ليختن شنيتر منشورات المكتب النجارى للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ، ص١٣٤.

وهكذا تجمع المصادر المختلفة على أن قبيلة تميم اشتهرت بالقوة في جاهليتها وإسلامها ، والقوة صفة من الصفات المحمودة في أي مجتمع وخصوصا مجتمعا كمجتمع القبيلة والعصبية في عصر كانت السيادة فيه لمن اجتمعت له القوة والمتعة والسيطرة والنفوذ.

وإن كان بنوتميم قد اشتهروا بقوتهم ونفوذهم فقد اشتهروا بصفة لاتقل عن هذه الصفة شيئا ، في مجتمع يقدس كل الصفات الحميدة ، ويرفع كل من يتصف بها إلى مكان التجلة والتعظيم . اشتهر بنوتميم إلى جانب القوةبالكرم والجودة ، تلك الصفة التي إن خلت من مجتمع فبئس هو من مجتمع!

يحدثنا ابن حبيب أيضا عن أجواد الجاهلية من مختلف القبائل فيقول:
" ومن بنـ تميم " مالك " بن حنظلة ، وكان يدعى لسخائه " غرفا " قال الأسود بن يعفر في ذلك :

فِي آلِ غَرْفٍ لَوْ بَغَيْتَ لِيَ الأَسَى   لوجدتُ فِيهِمْ أُسْوَةَ العُـدَّادِ

" والقعقاع " بن معبد بن زرارة بن عدس بن زيد وهو " تيارالفرات ، قال الفرزدق :

وَعَمّنْ بِحَاجِبَ وابْنَيْ عِقَالٍ   وبالقَعْقَاعِ تَيَّارِ الفُرَاتِ

و" صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع وهو الذي أحيا الموءودات ، فبعث الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وعنده مائة جارية وأربع جوار أخذهن من آبائهن لئلا يُوْءَدْنَ ، مع أحاديث له كثيرة ، وله يقول الفرزدق :

جَدِّي الَّذِي مَنَعَ الوائِدَاتِ   وأَحْيَا الوَئِيدَ فلَمْ يُوئَدِ

" وغالب " بن صعصعة بن ناجية وهوالذى أنهب ماله فيمعاقرته سحيم بن

وثيل الرياحي.[1]

هذا عن أجواد تميم في الجاهلية أما عن أجوادهم في الإسلام، فيحدثنا أيضا ابن حبيب ، فيقول :

" ومن بني تميم " محمد " بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة حمل ألف رجل انهزموا إليه من بكر بن وائل بأذربيجان على ألف فرس في غداة واحدة .

" وعتّاب " بن ورقاء الرياحي ، وكان جوادا ممدحًا ".[2]

كذلك أوتيت تميمُ الفصاحة والحكمة في نطقهم وخطبهم ، وذلك بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاته فقد جاء في البيان والتبيين للجاحظ :

" ولإياد وتميم في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته . وهو الذى رواه لقريش والعرب ، وهو الذى تحجب من حسنه وأظهر من تصويبه ، وهذا إسناد تعجز عنه الأماني ، وتنقطع دون الآمال ".[3]

كذلك يورد لنا الجاحظ خبرا آخر معللا على فصاحة التميميين وامتلاكهم عنان البلاغة وزمام البيان ، فيقول :

" وكذلك ليس لأحد في ذلك مثل الذى لبني تميم لأن النبي عليه السلام لما سأل عمروبن الأهتم عن الزبرقان بن بدر قال :" مانع لحوزته ، مطاع في أدنيه " فقال الزبرقان : أما إنه قد علم أكثر مما قال ولكنه حسدني شرفي فقال فقال عمرو: أما لئن قال ، فوالله ماعلمته إلا ضيق الصدر زمر المروءة ، لئيم

---

(1) المرجع السابق ،ص١٤١، ١٤٢.
(2) المرجع السابق ، ص١٥٤.
(3) البيان والتبيين - للجاحظ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٤٨ ج١ ،ص٥٢

الخال، حديث الغني" فلما رأى أنه قد خالف قوله الآخر قوله الأول ورأى الانكار في عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يارسول الله : رضيت فقلت أحسن ماعلمت وغضبت فقلت أقبح ماعلمت ، وماكذبت في الأولى ، ولقدصدقت في الآخرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : "إن من البيان لسحرا" فهاتان الخصلتان خصت بهما تميم وإياد دون جميع القبائل".(١)

" ودخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان فأشار له إلى الوساد فقال له : اجلس فجلس على الأرض . فقال له معاوية : ومامنعك ياأحنف من الجلوس على الوساد ؟ فقال : ياأمير المؤمنين : إن فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقرى ولده أن قال : لاتغش السلطان حتى يملك ، ولا تقطعه حتى ينساك ، ولاتجلس له على فراش ولاوساد ، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أورجلين ، فإنه عسى أن يأتي من هو أحق منك بذلك المجلس فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصانا عليك . حسبي بهذا المجلس ياأميرالمؤمنين لعله أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس مني . فقال معاوية : "لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشي الكلم".(٢)

" وسمعت مؤمل بن خاقان وذكر في خطبته تميم بن مرّ فقال "إن تميما لها الشرف العَوْدُ والعزُّ الأَقْيَسُ ، والعدد الهَيْضَل ، وهي في الجاهلية القُدَّامُ والذروة والسنام ، وقد قال الشاعر:

فقلتُ لهُ وأَنْكَر بعضَ شأني ... أَلَمْ تَعرِفْ رِقَابَ بَنِي تَمِيمِ (٣)

وعن هذه الحكمة وتلك البلاغة التي تأخذ بالعقول يروى الهمذاني صاحب كتاب "مختصر كتاب البلدان " خبرًا لرجل من تميم أوتى حكمة بالغة يقول :

---

(١) المرجع السابق ، ص٥٣

(٢) المرجع السابق، ص٥٣، ٥٤.

(٣) المرجع السابق ، ص١١٨ . والعَوْدُ : أي القديم ، والأقيس : أي الثابت والهيضل : أي الكثير.

" ومرّ رجل من بني تميم برجل منهم في بلاده ، وهو يغرس فسيلا ، فقال : ياشيخ ، كم تعد ؟ قال : قد جاوزت الستين . فقال : مثلك يعمل ماأرى ؟فأنشأ الشيخ يقول :

اغرسْ فسيلا مناساة فيوشك أن ... ترى فسيلك إن عمرّت عيدانا
فالعِرقُ يسّرى إذا مانام صاحبهُ ... وليّس يَسْرِى إذا ماكانَ يقْظانا

أغرسُ فسيلةً وآكل ثمرها واذا احتجت فللولد . قال : إنك لبعيد الأمل. قال : أي والله إنّي لبعيد الامل خائف لقرب الأجل ولست ممن يفرط في عمران دار ولايدرى لعله سيطول مقامه فيها ، ومنها يتزود إلىالدار التي لايدرى متى يصير إليها ولو أن من كان قبلنا أخذوا بمثل رأيك ماخلف والد لولده شيئا ولا ورث ميتّا حيٌ . فقال المحدث ثم مررت بعد ذلك بذلك الموضع فرأيت نخلا عاليا وآخر دونه ، وإذا فتيان ، وأحداث فقلت : من غرس هذا النخل ؟ قالوا : ذلك الشيخ ، فأتيته فسلمت عليه ثم قلت : أفتعرفني ؟ فتأملني ثم قال : أحسبك صاحبنا المعنف لي على غرسي ، ماترى ؟ قلت : أنا والله هو ، ثم أنشدته ببيتيه فعاتبني وجعل يحدثني وقال : إن الله فاعل مايشاء فلا يكون خوفك ماحقا لرجائك ، ولايأسك غالبا لطمعك ،واذاالفتيان بنوه وبنو بنيه "(١)

هذه البلاغة وتلك الحكمة أهّلت بني تميم أن يحتلوا مكان الصدارة والإمامة في الجزيرة العربية . يحدثنا صاحب المحبر عن أئمة العرب فيقول :
" وكان من اجتمع له الموسم وقضاء عكاظ من بني تميم ، وكان ذلك يكون في أفخاذهم كلها . ويكون الرجلان يليان هذا من الأمرين جميعا ، عكاظ على حده .

---

(١) مختصر كتاب البلدان ـ للهمذاني ، ص١٦٠ ، ١٦١.

حده والمواسم على حده .

فكان من اجتمع له الموسم والقضاء " سعد" بن زيد مناة بن تميم" ثم تولى بعدذلك " حنظلة "بن زيد مناة بن تميم " ثم تولاه " ذويب " بن كعب بن عمرو بن تميم ثم " مازن" بن مالك بن عمرو بن تميم ثم " ثعلبة " بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيدمناة ، ثم " معاوية " بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم ، ثم " الأضبط" بن قريع بن عوف بن كعب بن جروة بن أسيد. ثم " سفيان" بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة. فكان سفيان هذا آخر تميمي اجتمع له الموسم والقضاء بعكاظ فمات سفيان فافترق الأمر فلم يجتمع الموسم والقضاء لأحد منهم حتى جاء الإسلام فكان " محمد" بن سفيان بن مجاشع يقضي بعكاظ فصار ميراثا لهم . فكان آخر من قضى بينهم الذى وصل إلى الاسلام " الأقرع" بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان وأجاز بالموسم بعد" الأصلصل" بن أوس العلاق بن شباب بن لأى من بني عوافة بن سعد بن زيد مناة فكان آخر من أفاض بهم "كرب" بن صفوان بن جناب بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة . وله يقول : أوس بن صفراء القريعي :

وَلَايَرِيمُونَ في التَّعْرِيفِ مَوْقِفَهُمْ   حَتَّى يُقَالَ أَجِيزُوا آلَ صَفْوانَا (١)

وعُرفت تميمٌ بأنها ذخر العربية الفصحى في الشعر والبلاغه ، وقد ظهر من بينهم طائفة من أشعر الجاهليين . أمثال : أوْس بن حَجر ، وسلامة بن جندل وسُلَيك بن سُلَكة ، وعَبدة بن الطبيب ، وعدى بن زيد ، ومالك ومتمم ابني نويرة ونبغ منهم في العصر الأموى إلى جانب جرير والفرزدق : البعيث ، وكُثيِّر، وثابت قطنة ، وأوس بن مغراء ، والعجاج ، ورؤبة ، وغيرهم "(٢).

---

(١) المحبر لابن حبيب - من ص١٨١ - الى صفحة ١٨٣.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد العاشر ، ص٥٨

ومما يدل على قدر الشعر عندهم بكاء سيد بني مازن مخارق بن شهاب، حين أتاه محرز بن المكعبر العنبرى الشاعر ، فقال : إن بني يربوع قد أغاروا على إبلي ، فاسع لي فيها ، فقال : وكيف وأنت جار وردان بن مخرمة: فلما ولّى عنه محرز محزونا بكى مخارق حتى بل لحيته فقالت له ابنته : مايبكيك فقال : وكيف لا أبكي واستغاثني شاعر من شعراء العرب فلم أغثه ؟ والله لئن هجاني ليفضحنني قوله ، ولئن كف عني ليقتلنني شكره . ثم نهض فصاح في بني مازن فردت عليه إبله"(1)

وقال الراجز:(2)

إنّ تميمًا أُعْطِيَت تمامـا ... وأُعطِيَت مآثرا عظامـا

وعددا وحسبا قُمْقامـا ... وباذخا من عزّها قُدّامـا

في الدّهْر أعيا النّاس أنْ يُرامـا ... إذا رأيتَ منهُمُ الأجْسامـا

والدلّ والشيمة والكلامـا ... وأذرُعا وقصْرا وهامـا

عرفت أن لم يخلقوا طغامـا ... ولمْ يكنْ أبوهم مقامـا

لمْ تر فيمنْ يأكلُ الطّعامـا ... أقلّ منهمْ سقطا وذامـا

هذه هي تميم كما بدت لي من خلال روايات كثيرة مختلفة - القبيلة القوية صاحبة المنعة. والسلطان والنفوذ. والتي اشتهر رجالها بالكرم والجود، وهو من أعظم الخلال في صحراء قاحلة كصحراء شبه الجزيرة العربية ، مترامية أطرافها ليس فيها مايرشد الضال إلى سواء السبيل .

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ ، ج٣ ، ص٤١ (2) المرجع السابق ، ص٢١٢.

القمقام : العدد الكثير ، والقَصَر : بالتحريك - جمع قصرة ، وهي أصل العنق.

والهام : جمع هامة وهي الرأس ، والطغام: بفتح الطاء ، أرزال الناس وأوغادهم والذام : العيب .

كذلك اشتهر التميميون بالحكمة والبلاغة ، كما وضح في مختلف الروايات والتي أجمعت على ذلك ، فهم أصحاب بلاغة وأصحاب بيان وأرباب شعراشتهروا به ونبغوا فيه بل كانوا لغيرهم قدوة ومثالا يحتذى ويقتفى أثره في هذا المضمار.

وبعد أن طفنا بحياة تميم هذا الطواف ، وظهرت لنا منه حياتها الاجتماعية الاجتماعية متمثلة في قوتها وسيادتها ومنعتها ، وظهرت لنا كذلك حياتها الثقافية متمثلة في حكمتها وبلاغتها ، وأشعارها ، وعدد شعرائها، وشهرتهم التي طبقت الآفاق .

- أقول بعد هذا الطواف بقي لنا أن نعرف شيئا مهما عن حياة هذه القبيلة يتصل بالحياة العقدية أوبمعتقدات هذه القبيلة ، فكيف كانت حياتهاالدينية؟ هذا ماسوف نراه إن شاء الله فيما بقي لنا من دراسة لحيوات هذه القبيلة المختلفة : من حياة اجتماعية إلى حياة ثقافية ثم إلى حياة دينية .

أمّا عن حياتها السياسية ، أوبمعنى آخر علاقاتها مع جيرانها ، وأيامها وحروبها معهم ، فهذا ماسنتحدث عنه بعد حديثنا إن شاء الله عن الحياة الدينية ، وهذا ماسوف يختتم به هذا الفصل إن شاء الله مع توضيح لأيام قبيلتنا وحروبها مع غيرها . وهل كانت لها أم عليها ؟ وأسباب هذه الأيام وملابساتها.

فلنفرغ الآن إلى الحديث عن حياة تميم الدينية ، ومعتقداتهم ومعبوداتهم.

(الحياة الدينية لبني تميم في الجاهلية)

كان العرب في جاهليتهم فرقا متعددة ، وكان منهم الموحدون المقـــرون بخالقهم المصدقون بالبعث والنشور ، الموقنون بثواب الخالق وعقابه . ومنهم من أقر بوجودالخالق وأقر بالبعث والنشور وعكف على عبادة الأصنام فقدسوهـا وقصدوها وحجوا إليها مع اعترافهم بوجودالله ، وقد وصفهم الله سبحانـــــه وتعالى في كتابه العزيز ، ذلكم الكتاب الذى لايأتيه الباطل من بين يديـــــه ولامن خلفه - وصفهم سبحانه بقوله :

وماَنَعْبُدُهم إلاّ ليقرّبونا إلى اللّه زُلْفَـــــــــى (١)

ومنهم من أنكر البعث والنشور واستبعدوه معتمدين على عقولهم القاصرة وإدراكهم القليل وجاء ذكرهم في كتاب الله أيضا إذ قالوا :

" أإذا مِتنا وكنّا ترابا ، ذلك رجعُ بعيـــد ".(٢)

تحدث المسعودي عن ديانات العرب في جاهليتهم فقال في مروج الذهـــب كانت العرب في جاهليتهم فرقا : منهم الموحد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور ، موقنا بأن الله يثيب المطيع ويعاقب العاصي ومنهم من دعا إلـــى الله عزوجل ونبه أقوامه على آياته في الفترة " كقس بن ساعدة الإيادى " ،"ورئاب الشني "،"وبحيرا الراهب " وكان من عبد القيس . وكان من العرب من أقـــر بالخالق وأثبت حدوث العالم وأقر بالبعث والإعادة وأنكر الرسل وعكف علـــى عبادة الأصنام وهم الذين حكى الله عزوجل قولهم

ومانعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زُلْفَـــى".

وهذا الصنف هم الذين حجوا إلى الأصنام وقصدوها ، ونحروا لها البـــدن ونسكوا لها النسائك وأحلوا لها وحرموا.

---

(١) سورة الزمر ، آية ٣ (٢) سورة ق ، آية ٣

ومنهم من أقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث ومال إلى قول أهل الدهـــر وهؤلاء الذين حكى الله تعالى إلحادهم ، وخبر عن كفرهم بقوله تعالـــــــى :

"وقالوا ماهي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلاّ الدهــــر"

فرد الله عليهم بقوله

" مالهم بذلك من علم إنْ هم إلاّ يظنـــــــــــون "

ومنهم من مال إلى اليهودية والنصرانية ومنهم المارعلى عنجهيته الراكب لهمجيته ، وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويظنون ويزعمون أنهـــا بنات الله ، فكانوا يعبدونها لتشفع لهم إلى الله ، وهم الذين أخبر الله عزوجل عنهم بقوله تعالى

"ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهـــــون "

وقوله تعالى

" أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثـــى تلك إذاً قسمة ضيـــزى"

من حديث المسعودى اتضح لنا الصورة العقدية والحالة الدينية التي عاش العرب في جاهليتهم يتخبطون في ظلام دامس لاتجمعهم عقيدة ولايضيء قلوبهم وأفئدتهم نور إيمان يحيون بملة الحياة الروحية التي تربطهم بربهم وخالقهم والى جانب ماذكره المسعودى يحدثنا ابن قتيبة مقسما قبائل العرب إلى ديانات مختلفة فينسب إحداها إلى اليهودية ، وينسب الأخرى إلى النصرانيـــة وينسب غيرها إلى المجوسية ، يقول ابن قتيبة :" كانت النصرانية في" ربيعة و" غسان" وبعض قضاعة ، وكانت اليهودية في" حِمْير" و" بني كنانة" و"بني الحارث بن كعب " و"كندة" وكانت المجوسية في" تميم" منهم زرارة" بن عدس

التميمي ، وابنه " حاجب " بن زرارة ، وكان تزوج ابنته ثم ندم، ومنهم " الأقرع بن حابس " . وكان مجوسيا و" وكيع" بن حسان وكان مجوسيا ، وكان الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة وكان بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية إلها من " حَيْس " فعبدوه دهرا طويلا ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه فقال رجل من بني تميم :

أكلتْ ربَّها حنيفةُ مِنْ جُـــو ... عٍ قديمٍ بها ومن إعـــواز

وقال آخر:

أكلتْ حنيفةُ ربَّهـــا ... زمنَ التقحُّم والمَجاعـــة
لَمْ يحذروا مِنْ ربِّهـــم ... سُوءَ العَواقبِ والقَباعـــة(١)

وتكاد جميع الروايا تتفق على أحوال العرب في جاهليتها ويورد الآلوسي في بلوغ الأرب خبر زواج بن زرارة التميمي من ابنته والذى مرّ بنا على لسان ابن قتيبة منذ قليل ، فيقول :

كانت العرب في جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها ، كانوا لاينكحون الأمهات ولاالبنات ولاالخالات ولاالعمَّات ، إلا مايحكي أن حاجب بنْ زرارة وهو سيد بني تميم فزوَّج ابنته وقد سماها " خنتوس" باسم بنت كسرى فقالَ فيها حين نكحها مرتجزا :

يالَيْتَ شِعْري عَنْكِ خُنْتُـــوسُ ... إذا أتاها الخبرُ المرْسُـوسُ
أتسْحبُ الذَّيْلَيْنِ أمْ تَميـــسُ ... لابَلْ تَميسُ إنَّها عَـــرُوسُ (٢)

وإذا كانت العرب تحرم زواج الأمهات والخالات والعمات والبنات قبل نزول القرآن فقد اشتهرت تميم بعدم تحريمها كما روى عن حاجب بن زرارة في أكثر

---

(١) المعارف لابن قتيبة ، ص٦٢١.
(٢) بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، للالوسي ، جـ٢ ، ص٥٢.

من رواية ، فهاهو أوس بن حَجر يتحدث عن بني تميم ، فيقول :

والفارسية فيهمْ غيرُ منكَـــرةٍ فكلّهم لأبيه ضَيْزَنٌ سَلِـــفُ (1)

والضيزن : الرجل الذي يأتي أمّه وخالته .

وكذلك يحدثنا اليعقوبي أيضا في تاريخه عن ديانات العرب مقسما العرب إلى فريقين مختلفين دينيا فريق كان يعرف "بالحُمْس" وفريق كان يعــــرف "بالحِلَّة" ويربط اختلاف ديانات العرب في الجاهلية بسبب يبدو معقولا إلـــى حد ماهو مجاوراتهم لأهل ملل مختلفة وانتقالهم وانتجاعهم إلى بلدان كثيــرة يقول اليعقوبي :

" وكانت أديان العرب مختلفة بالمجاورات لأهل الملل والانتقال إلـــى البلدان والانتجاعات .

فكانت قريش وعامة ولد " معدّ " بن عدنان على بعض دين إبراهيم يحجـــون البيت ويقيمون المناسك ويقرون الضيف ويعظمون الأشهر الحرم وينكـــرون الفواحش والتقاطع والتظالم ، ويعاقبون على الجرائم ، فلم يزالوا على ذلـــك ماكانوا ولاة البيت .

وكان آخر من قام بولاية البيت الحرام من ولد معدّ ثعلبة" بن إياد بن نـزار بن معدّ ، فلما خرجت إياد وليت خزاعة حجابة البيت فغيروا ماكان عليـــه الأمر في المناسك حتى كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب ، وخرج عمرو لحي واسمه لحي ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر إلى أرض الشام وبها قوم مـــن العمالقة يعبدون الأصنام فجاء فيهم بالصنم " هُبَل " ثم " إساف ونائلة" فكانـت العرب إذا حجت البيت فرأت تلك الاصنام سألت قريشا وخزاعة فيقولـــون : " نعبدها لتقربنا إلى الله زُلفى " فلما رأت العرب ذلك اتخذت أصنامـــا

---

(1) ديوان أوس بن حجر ـ تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر بيـــروت سنة ١٩٦٠.

فجعلت كل قبيلة لها صنما يصلون لها تقربا إلى الله . وكان لربيعة وإياد " ذو الكعبات " وكانت تلبية بني أسد " لبّيك اللهم لبّيك ، يارب أقبلت بنو أسد أهل الوفاء والجَلَد إليك " ، وكانت تختلف تلبية كل قبيلة وكانت العرب في أديانهم على صنفين :

" الحُمْس " و " الحِلّة " .

فأما الحُمْس " فقريش " كلها ، وأما الحِلّة " فخزاعة " لنزولها مكة ومجاورتها قريشا وكانوا يشددون على دينهم في أنفسهم فإذا نسكوا لم يسلئوا سمنا ولم يدخروا لبنا ولم يحولوا بن مرضعة ورضاعها حتى تعافه ولم يمسّوا النساء ولا الطيب ، وأما الحِلّة وهي " تميم وضبّة ومُزَيْنة والرَّباب وقَيْس عيلان كلها بإخلاء عدوان وثقيف وعامر بن صعصعة وربيعة ونزار كلها وقضاعة وحضر موت وعك وقبائل من الأزد لايحرمون الصيد في النسك ويلبسون كل الثياب وكانوا ينزعون الثياب التي عليهم ويطوفون عراة في الغالب .

وهاتان الشريعتان اللتان كانت العرب عليهما ثم دخل قوم من العرب في دين اليهود ، ودخل آخرون في النصرانية ، وتزندق منهم قوم فقالوا بالثنوية فأمّا من تهوّد منهم " فاليمن " بأسرها وأمّا من تنصّر من أحياء العرب فقوم من قريش من بني أسد بن عبدالعُزّى ، منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبدالعُزّى ، وورقة بن نوفل بن أسد.

ومن بني تميم بنو امرىء القيس بن زيد مناة ، ومن ربيعة بنو تغلب ومن اليمن " طيىء " ومذحج ، وبهراء ، وسليح ، وتنوخ، وغسان ، ولخم " وتزندق حُجْر بن عمرالكندي "[1]

(1) تاريخ اليعقوبي - أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الاخباري ت ٢٩٢ هـ. من منشورات المكتبة المرتضوية في النجف مطبعة الغري النجف ١٣٥٨هـ . جـ١ من ص٢١١ إلى ص٢١٤.

ويتفق ابن قتيبة مع اليعقوبي في حديثه عن تقسيم العرب في ديانتهم إلى متشددين ومتحللين من التشدد ، أو إلى " حمس " و" حلة " ، ويذكر ابن قتيبة حلفاء قريش والذين عرفوا باسم " الأحابيش "، يقول عنهم ابن قتيبة " الأحابيش " هم " بنو المصطلق " و" الحيابن سعد بن عمر " و" بنو الهون بن خزيمة " ، اجتمعوا بذنب " حبشي " وهو جبل بأسفل مكة ، وتحالفوا بالله " إنا ليد على غيرنا ، ماسجى ليل ، ووضح نهار، ومارسا " حبشى " مكانه فسموا (أحابيش) باسم الجبل ، وقال حماد الراوية :

سموا " أحابيش " لاجتماعهم، والتجمع في كلام العرب هو " التحبش " .

ثم يكمل ابن قتيبة حديثه عن الحمس فيقول : " هم قريش ومن دان بدينهم من كنانة ، وإنما التحمس : التشدد في الدين ، وكانوا لايستظلون أيام " منى " ولايدخلون البيوت من أبوابها وهم محرومون " ويقفون با(المشعر) ولايأتون " عرفة "ولايلتقطون الحلة ، وقد ذكر ابن هشام وهو يتحدث عن " الحمس " أنهم كانوا يلقون ثيابهم وحللهم إذا فرغوا من الطواف فلايمسها أحد ولايلتقطها "(١)

وهنا يبدوا أن هناك خلافا بسيطا بين ابن هشام واليعقوبي إذ يذكر اليعقوبي أنهم كانوا يلقون عنهم ثيابهم ويطوفون عراة . في حين يذكر ابن هشام أنهم كانوا يخلعونها بعد الطواف .

وهكذا تبدوا حياة الجاهليين الدينية لاتفاق بينها ، فمنهم المجوسي والزنادقة " والزنديق " كمايقول الآلوسي في بلوغ الأرب " هومن قال بالنور

---

(١) المعارف لابن قتيبة ، ص٦١٦.

والظلمة ، أوهو من لايؤمن بالآخرة والربوبية ".[1]

كذلك كان منهم الى جانب المجوس ، والزندقة اليهود والنصارى . والقرآن الكريم يذكرهذه العبادات في آيات متعددة ، ذكر أنهم عبدوا أصناما في قولـــه **(وإذ قال ابراهيم لأبيــه آزر أتتخذ أصناما آلهـــة ....")**[2]

كذلك عبدوا الشمس ، وقد جاء على لسان هدهد سليمان قوله لرسول اللـــه سليمان :

(قال أحطت بما لم تحط به ، وجئتك من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امـــرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجـــــدون للشمس من دون الله وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل فهـــم لايهتدون)[3]

كذلك يذكر القرآن أن قوم موسى عبدوا العجل في غيبته .

أمّا عن الأصنام التي عبدها الجاهليون فكثيرة ، تذكرها لنا روايات مختلفـة يقسمها الرواة بحسب القبائل التي كانت تتخذها آلهة من دون الرحمن .

فهاهو/ابن الكلبي في كتابه " الأصنام " يعدد لنا هذه الأصنام بأسمائهـــا وحالاتها وهيئاتها المختلفة فيقول :

" وكان أول من اتخذ تلك الأصنام من ولد إسماعيل ، وغيرهم من النــــاس وسمّوها بأسمائها على مابقي فيهم من ذكرها حين فارقوا دين إسماعيل " هذيل بن مدركة " ، اتخذوا " سُوَاعًا " : فكان لهم برهاط من أرض ينبع . وينبـــع: عرض من أعراض المدينة " أي قرية من قراها " وكانت سدنته بنولحيان".

---

(١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ص ١٩٧.
(٢) سورة الانعام ، الآية ٧٤.
(٣) سورة النمل ، الآيات من ٢٢ ـ ٢٤.

واتخذت كلب : وَدًا : بدومة الجندل .

واتخذت مذحج ، وأهل جرش : يغوث : وقال الشاعر:

حيّاك ودٌ ! فإنّا لايحلّ لنـا لهْو النّساء وإنّ الدّين قد عزما

وقال الآخر:

وسَارَ بِنَا يغوثُ إلى مـرادٍ فناجزناهم قبل الصبـاح

واتخذت خَيْوان : يَعُوق : فكان بقرية لهم يقال لها : خيوان ، من صنعـاء على ليلتين مما يلي مكة .

واتخذت حِمْيَر : نَسْرًا : فعبدوه بأرض يقال لها : بَلْخ ، وكان لحمير أيضـا بيت بصنعاء يقال له : " ريام " : يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح.

هذه الأصنام الخمسة التي كانت معبودات لقوم نوح ، فذكرها الله عز وجـل في كتابه فيما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم يقول :

" قال نوح ربِّ إنّهم عصوني واتّبعوا من لم يزده ماله وولده إلاّ خسارا ومكـروا مكرا كبارا ، وقالوا لاتذرُنّ آلهتكم ولاتذرُنّ وَدًا ولاسُوَاعًا ولايغوثَ ويعـوقَ ونسرًا وقد أضلوا كثيرا ولاتزد الظالمين إلا ضلالا ....)[(1)]

هذا حديث ابن الكلبي عن أقدم أصنام عرفتها الجاهلية قبل أن يصنع عمرو بن لحي صنيعه بجلب الأصنام ليضعها في الكعبة وينادى العرب لعبادتهـا والتقرب إليها.

وبعد هذا يكمل ابن الكلبي حديثه عن أصنام العرب التي تلت هذه الأصنام الخمسة ، التي عرفها الجاهليون والتي ذكرها الله سبحانه وتعالى فيكتابـه العزيز.

(١) كتاب الاصنام عن أبي المنذرهشام بن محمد بن السائب الكلبي - تحقيـق الاستاذ/أحمدزكي. نسخة مصورة عن طبعة دارالكتب سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤مالدار القومية للطباعة والنشر /القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م من ص٩ الى ص١٣. وانظر أيضا سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ص٤ ،١٠٣ ،١٠٤.

العزى .

يقول ابن الكلبي : " فلما صنع هذا عمرو بن لحي دانت العرب للأصنام وعبدوها ، فكان أقدمها كلها " مناة " وقد كانت العرب تسمي " عبدمناة " و " زيد " زيد مناة ".(٢)

وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المثلل " بقديد " بين المدينة ومكة . وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله . وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة ، وماقاربها من المواضع يعظمونه ، ويذبحون له ويهدون له . ولم يكن أحد أشد إعظاما له من الأوس . والخزرج . يقول عبدالعُزّى بن وديعة المزني :

إنّي حلفتُ يمينَ صِدْقٍ بَرَّةً   بِمَنَاةَ عندَ مَحلِّ آلِ الخَزرجِ

ومناة هذه التي ذكرها الله عز وجل فقال : "ومناة الثالثة الأخرى ". وكانت لهذيل وخزاعة ".(٢)

ومن شدة تعلق الجاهليين بأصنامهم ترى الحارث بن أبي شمر الغساني يهدي " مناة " هذه سيفيه العظيمين واللذين مدحهما به علقمة بن عبدة " شاعرنا وصاحب بحثنا هذا بقوله :

مُظاهرُ سِرْبالَيْ حَديدٍ عَلَيْهِما   عَقيلا سُيوفٍ مِخْذَمٌ ورَسُوبُ

يذكر لنا ابن الكلبي أن " مناة " تلك ظلت متقلدة سيفي الحارث حتى جاء الإسلام ، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بن أبي طالب فهدم الأصنام وأخذ ما كان لها وكان فيما أخذ هذان السيفان، وذهب بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهداهما الرسول لعلي " كرم الله وجهه ".

---

(١) أنظر الاشتقاق- لابن دريد،المقدمةص٦ (فقد سمي تميم بن مرابنة زيد مناة) وقد مر بنا هذا الخبر ص٤

(٢) كتاب الأصنام - لابن الكلبي ، ص١٣ ، ١٤.

ويذكر ابن الكلبي ذلك ويقول : " ويقال إن ذا الفقار سيف على أحدهما "(١).
وكان للعرب غير مناة تلك أصنام أخرى منها " اللّات ".
يقول ابن الكلبي " ثم اتخذوا " اللّات " واللّات : بالطّائف وهي أحدث من " مناة " وكانت صخرة مربعة ، وكان سدنتها من " ثقيف " بنو عتاب بن مالك وكانوا قد بنوا عليها بناء ، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، وبها كانت العرب تسمي " زيد اللّات " و " تيم اللّات ".

وقد ذكرها الله سبحانه أيضا كما ذكر ماقبلها من أصنام في كتابه العزيز فقال سبحانه (**أفرأيتم اللّات والعزى**).

ولها يقول عمرو بن الجعيد :

وإنّي وتَركِي وصْلَ كأسٍ لكالّذي ... تبرّأ مِنْ لاتٍ وكان يَدِينُها

ويقول المتلمس في هجائه عمرو بن المنذر:

أطْرَدْتَني حَذَرَ الهِجَاء، ولا ... واللّات والأنصاب لاتئل(٢)

فلم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار ، وفي ذلك يقول شداد بن عارض الجشمي حين هدمت وحرقت ينهي ثقيفا عن العود إليها والغضب لها :

لاتَنْصُرُوا اللّاتَ إنّ اللهَ مُهلِكُهَا ... وكيفَ نَصْرُكُمْ مَنْ لَيسَ يَنْتَصِرُ
إنّ التي حُرِقَتْ بالنّارِ فاشْتَعَلَتْ ... ولَمْ تُقاتِلْ لَدَى أحْجَارِهَا هَدَرُ
إنّ الرسولَ متَى ينزِلْ بِسَاحَتِكُمْ ... يَظْعَنْ وليْسَ بِهَا مِنْ أهْلِهَا بَشَرُ

---

(١) كتاب الأصنام لابن الكلبي ، ص١٥.
(٢) لاتئل : أي لاتنجو .

وقال أوس بن حجر :

وباللّات والعزّى ومن دان دينهـــا   وبالله إن الله منهن أكبـــر (١)

ولم تكن مناة واللّات هما وحدهما الصنمان اللذان عبدهما الجاهليون ، وإنّما عبدوا أيضا إلى جانبهم ، وبعدهم صنما آخر هو " العُزّى " هي أحدث من اللّات ومناة ، كما يقول ابن الكلبي ". (٢)

وكما قلنا وأسلفنا مدللين أن العرب من اعتزازها بهذه الأصنام التـي يعبدونها إمّا لذاتها وامّا لتقربهم إلى اللّه زُلفى كما يدعون - أقول - نظـرا لاعتزازهم بها أسمَوا أبناءهم بأسمائها كما نعتز نحن المسلمين - فنسمـي أبناءنا " عبدالله ، وعبدالرحمن " إلى آخر عبيد أسماء الله الحسنى - يدلـل ابن الكلبي على ذلك فيقول :

" فوجدت تميم بن مرّ سمى ابنه " زيد مناة " بن تميم بن مرّ بن أدّ بـن طابخة و" عبدمناة " بن أدّ ، وباسم " اللّات " سمى ثعلبه بن عكاية ابنـه " تميم اللّات " ، و" تميم اللّات " بن رفيدة بن ثور ، و" زيد اللّات " بـن رفيدة بن ثور بن وبرة بن مرّ بن أد بن طابخة ، و" تيم اللّات " بن النمـر بن قاسط ، و" عبدالعُزّى " بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ".(٣)

والعُزّى : هذه ذكرها أيضا ابن حبيب وهو بصدد حديثه عن أصنام القبائـل أيضا يقول ابن حبيب في مُحبَّره : " وكانت هذه الأصنام كلها في بلاد العـرب تعبد مع الله عز وجل ولا إله إلا هو ، وكانت العُزّى : شجرة بنخلة عندهـا وثن تعبدها " غطفان " سدنتها من بني صرمة بن مرّة . وكانت قريش تعظمهـا وكانت غنى وباهلة تعبدها معهم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدًا بن الوليد فقطع الشجرة وهدم البيت وكسر الوثن.

---

(١) كتاب الأصنام لابن الكلبي ،ص١٦، ١٧   (٢) المرجع السابق، ص١٧.

(٣) المرجع السابق ، ص١٨.

وكان " اللات " بالطائف لثقيف على صخرة وكانوا يسترون ذلك البيت ويضاهون به الكعبة وكان له حجبة وكسوة وكان يحرمون واديه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فهدماه ، وكان سدنته آل أبي العاص من بني يسار بن مالك بن ثقيف .

وكان " جهار " : لهوازن : بعكاظ ، وكان سدنتها آل عوف النصريون ، وكانت محارب معهم فيه وكانت في سفح أطحل ، وكان " سواع " بعمان تعبده بنو كنانة وهذيل ، وزينة ، وعمرو بن قيس بن عيلان ، وكان سدنته بني شاهلة من هذيل .

وكان " شمس " لبني تميم : وكان له بيت ، وكانت تعبده بنو أدٍ كلها ضبة وتميم وعدى وعكل وثور ، وكان سدنته من بني أوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم . فكسره هند بن أبي هالة وصفوان بن أسيد بن الحلاحل بن أوس بن مخاشن .(1)

من كل ماتقدم من روايات تكاد تجمع على حالة العرب في الجاهلية دينيا وعلى اختلافهم فرقا مختلفة تدين كل فرقة منها بدين وتعبد إما صنما أوكوكبا أونارا أوغيرذلك - أقول من كل ماسبق نستطيع أن نستخلص ديانة قبيلتنا والتي ندرسها في بحثنا هذا ونقول يظهرمن كل هذه الروايات مجتمعة أن تميمًا كانت مجوسية تعبد الأصنام فهاهو ذا تميم بن مرّ نفسه كما يورد ابن دريد ذلك عندما يولد له غلام يقول "لأجعلنه لإلهي" ويسميه زيدمناة.(2)

---

(1) المحبر : لابن حبيب ص ٣١٥ ، ٣١٦.
وانظر : دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد العاشر ، ص٥٥.
(2) الاشتقاق : لابن دريد ، المقدمة ص٦.

إذن " مناة " تلك هي إلهه الذي يعبده والذي يقدسه محبة وإخلاصا وتفانيا في حبه فيسمى ابنه باسمه وها هو ذا ابن حبيب يذكر أن " شمس " صنم لتميم تعبده بنو أد كلها".(١)

وإن كنا قد استخلصنا ذلك من روايات جاءت على ألسنة ابن الكلبي وابن دريد وابن حبيب وغيرهما كثير. فهذا هو البلاذري في فتوح البلدان يذكر ذلك ويؤكده ، يذكر أن تميما دانت بالمجوسية أو " الأسبذية " كما سميت ، يقول البلاذري :

" أما الديانة الأسبذية " والتي عرفت أكثر في بني تميم فأغلب الظن أنها ذات " المجوسية " إذ لم ترد معلومات مفيدة حول هذه الديانة وتعاليمها ".(٢)

لكن هذا الرأي يناقشه د. جواد علي ، يقول : " وتعاليم المجوسية تدين بالنور والظلمة والخير والشر ، فالخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة، وهم يعبدون النار ".(٣)

ويقول : " ولاعلاقة بين المجوسية والأسبذية لأن الأسبذية تعني الفرسان وأن المنذر ابن ساوى كان أسبذيا أي بدرجة " فارس " وهي من درجات الشرف والرفعة في الجيش الساماني ".(٤)

ويذكر دكتور جواد علي خبرا آخر لتسمية أسبذ هذه فيقول :

" ويذكر أبوعبيدة أن " أسبذ " قائد فارسي لكسرى على البحرين ".(٥)

(١) المحبر : لابن حبيب ، ص٣١٥ ، ٣١٦.

(٢) فتوح البلدان : لأحمد بن يحيي بن جابر المعروف بالبلاذى ت ٢٧٩ هـ تحقيق عبدالله أنيس الطباع وأخيه . دار النشر للجامعيين بيروت ، ١٩٥٧م ، ص٨٠.

(٣) المفصل في تاريخ العرب د. جواد على جـ٢ ، ص٦٩٤.

(٤) المرجع السابق ، جـ٦ ، ص٦٩٤.

(٥) المرجع السابق ، جـ٦، ص٦٩٤.

هذا في حين أن " البلاذري " يخبرنا في تحليله لاشتقاق لفظة الأسبذية تلك فيقول : " وقد اشتقت اسمها من الأسب " وهو الحصان وأطلق عليها عبادة " الخيل "، ويقال إنه دان بها عبدالله بن دارم من تميم وفي بعض المصادر أن المنذر بن ساوى كان أسبذيا ".(١)

أما صاحب جمهرة أنساب العرب فيذكر في معرض حديثه عن هذه الديانة " أن أسبذ " قرية في هجر ".(٢)

ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف الظاهرى فقط في اشتقاق هذه " اللفظة " فإنني أرى أن لو أمعنا النظر قليلا لوجدنا أنه ليس هناك أى اختلاف حول هذه التسمية أياكانت مأخوذة من الحصان أومن الفروسية أومشتقة من اسم القائد الكسروي " أسبذ " الذى ولاه كسرى على البحرين ، أو من اسم القرية التي في " هجر " فربما سميت القرية باسم هذا القائد ، والفروسية بطبيعة الحال مأخوذة من الفرس ، فكل الروايات تكاد تكون متفقة في هذه التسمية ، وكل الروايات لم تختلف في أن تميما دانت بهذه الديانة والتي هي نفس المجوسية . تلك المجوسية التي يذكر دكتور جواد علي أنها " تسربت إلى اليمن واليمامة وعمان ، وفي الأخبار أنها تفشت في بني تميم جيران عبد القيس ".(١)

وهذا هو صاحب الطبقات الكبرى(ابن سعد) يحدثنا في شيء من الاقتضاب عن المجوسية ، فيقول :

---

(١) فتوح البلدان - للبلاذري، ص٨٠ (٢) جمهرة أنساب العرب ، ص٢٣٢.
(٣) المفصل في تاريخ العرب - دكتور جواد علي جـ٦ ، ص٦٩٣.
وانظر معجم قبائل العرب عمر رضا كحالة دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٦٨ ، جـ١ ، ص١٣٢.

"ومن المعلوم أن هذه الديانة تتعارض وأخلاق العرب وعاداتهم ولذا فإن اتباعها قليلون ، وكان المجوس كاليهود يؤدون الجزية "(١).

هكذا كانت تميم في الجاهلية ، كماكانت معظم قبائل العرب يعبدون الأصنام ويقدسونها ويقربون لها القرابين ، وإن كان منهم من كان يعتقد في الله اعتقادا راسخا وكما يقول دكتور عمر فروخ " ويبدو أن إيمان الجاهليين بالله كان وطيدا "(٢)

ويستشهد بأشعار شعرائهم التي تؤكد ثقتهم ويقينهم بوجود إله قادر فيستشهد بقول عبيد بن الأبرص في معلقته :

مَن يسألِ النّاسَ يَحرِموهُ ... وسائلُ اللّهِ لا يَخيبُ

ويستشهد بقول لبيد :

فاقنعْ بما قسَمَ المليكُ فإنّما ... قسَمَ الخلائقَ بيننا علّامُها

وكذلك قول زهير :

فلا تَكتُمُنَّ اللهَ مافي نفوسِكُم ... ليخفى ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلمِ

يُؤخَّرْ فيوضَعْ في كِتابٍ فيُدَّخَرْ ... ليومِ الحِسابِ أو يُعجَّلْ فيُنقَمِ

وكذلك طرفه إذ يقول :

ألا أيُّهذا اللائمي أحضُرَ الوغى ... وأن أشهدَ اللذاتِ هل أنتَ مُخلِدي؟

فإنْ كنتَ لاتَستطيعُ دفْعَ منيّتي ... فدعْني أُبادرْها بما ملَكتْ يدي

ولو شاءَ ربّي كنتُ قيسَ بنَ خالدٍ ... ولو شاءَ ربّي كنتُ عمْرَو بنَ مرثَدِ

---

(١) كتاب الطبقات الكبرى - لمحمد بن سعد ت ٢٣٠ هـ ، دار صادر بيروت، ١٩٥٧ ، جـ٢ ، ص١٩.

(٢) تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون - د. عمر فروخ . دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٦٦ ، ص١٥٨.

ومن إيمانهم بالموت وأنه حقيقة لامراء فيها ، حقيقة لاتقبل الجدل ولا النقاش قول زهير بن أبي سلمى :

ومَنْ هابَ أسبابَ المنايا ينلنــــه وإن يرق أسبابَ السماء بسلــــم

رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ من تُصِبْ تُمِتْهُ ومن تخطئ يعمّرْ فيهـــرم

ومن الجاهليين من كان يؤمن لابالموت فحسب .. بل بالموت والحشر كزهيــر مثلا في أبياته التي يذكر فيها يوم الحساب ، وكشاعر آخر جاهلي يورده دكتور عمر فروخ هو " خزيمة " بن الأشيم ، يوصي ابنه إنْ مات أن يدفن معه راحلتــه حتى لايحشر على قدميه يوم القيامة بل يحشر على هذه الراحلة يقول هـــذا الشاعر وقد حضره الموت :

ياسعدُ إمّا أهلكن فإنَّنـــــي أوصيك - إنّ أخا الوصاةِ الأقـــربُ

لاتتركنّ أباك يعثُرُ راجــــلاً في الحشرِ يُصرعُ لليدين ويُنكــبْ

واحْمِلْ أباك على بعيرٍ صالــحٍ وتقِي الخطيّة) إنّه هو أقــــربُ

ولعلّ لي فيما تركتُ مطيّــــةً في الحشر أركبها إذا قيل اركبوا

هذه هي الحالة الدينية لقبيلة بني تميم في الجاهلية حياة عبادة الأصنــــام والاعتقاد فيها حتى بعد أن جاءت الديانات السماوية كاليهودية والنصرانيـــة، كانت تميم لم تزل على ديانتها القديمة لم تتهوّد ولم تتنصّر وظلت هكـــذا حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم :

جاء في دائرة المعارف الإسلامية " ويقال إن عبادة " شمس " كانت شائعـــة بين القبائل التي انحدرت من أدّ أي تميم وضبّة وعكل وعدى وثور وكانـــت سدانته في بني أوس بن مخاشن التميمي وكان قرب منازل تميم من منـــازل بكر وتغلب النصرانيين داعيًا إلى انتشار النصرانية بينهم ولكنها لم تصـادف قبولاكبيرا إلا من بعض عبّاد الحيرة فقد تنصروا وأشهرهم "عدى بن زيـــد "

على أن هؤلاء كانوا قد هجروا أوطانهم وغيروا أسلوب معاشهم تغييرا تامـــا، وقطعوا مابينهم وبين سائر القبيلة من أسباب .(١)

نقول ظلت تميم مجوسية عابدة للأصنام حتى جاء الإسلام ومنّ الله عليهـا بدخول أبنائها فيه ومرت بنا روايات لوفود بعض رجال تميم على رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم كالزبرقان بن بدر التميمي الذى مر الحديث عنـــــه وعن عمرو بن الأهتم يوم قال الرسول صلى الله عليه وسلم متعجبا، "إنّ مـــن البيان لسحرا".(٢)

كذلك خبر الأحنف بن قيس التميمي يوم أن قدم على معاوية بن أبـــي سفيان وكان له معه حديث عجب له معاوية وقال معلقا " لقد أوتيت تميــم الحكمة مع رقة حواشي الكلم".(٣)

هذه إلمامة طفنا فيها وتعرفنا خلالها على حالة قبيلة تميم الدينية فـــي الجاهلية وتعرضنا فيها لرويات عديدة أثبتناها جميعها متوافقها وعـــدم اختلافها لنزداد يقينا بهذه الحياة .

والآن وبعد أن فرغنا من استعراض الحياة الدينية لتميم ، سوف نبـــدأ إن شاء الله دراسة حياتها السياسية وعلاقاتها بجيرانها وحروبها وأيامهـــا معهم سواء كانت هذه الأيام لها أم عليها فلنفرغ لذلك الآن.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد العاشر ، ص٥٥.
(٢) انظر البيان والتبيين للجاحظ ، جـ١ ، ص٥٣.
(٣) المرجع السابق ، جـ١ ، ص٥٣.

حياة قبيلة تميم السياسية وأيامها

مما مرّ بنا اتضح أن قبيلة تميم عدنانية شمالية ، فهي ليست من عــرب الجنوب الذين عاشوا حياة الحضارة فترة طويلة ممثلة في ملوك اليمن ومملكة سبأ وغيرها ، فتميم إذن قبيلة - كسائر القبائل الشمالية - بدوية تقوم حياتها على النظام القبلي ، فالقبيلة هي الوحدة السياسية عند العربي الجاهلي ولمعرفة النظام السياسي للقبيلة وأعرافها وأنظمتها سنحاول البحث جاهدين ماوسعنا الجهد لنتعرف على كل هذا خلال هذه الصفحات التي تسبق ذكر أيام قبيلة تميم مع غيرها من القبائل الأخرى .

يجمع المؤرخون على أن القبيلة لم تكن النواة الأولى لتشكيل المجتمع بل كانت تسبقها " الأسرة " التي كانت تقوم أساسا على القرابة ووحدة الدم والخضوع لسلطان أب واحد يهيمن عليها ، وقد تتوسع هذه الأسرة لتضم إليها بعض الأحلاف والعبيد فتسرى عليهم نظمها وأعرافها . وتتجمع تلك الأسر لتكون مايعرف وقتذاك " بالحي " أو " القوم " ، فإذا ماوحّدت صلات كصلات القربى أو الدم بين هذه الأحياء أوالأقوام كونت " القبيلة ".

والقبيلة العربية كانت كما يذهب المؤرخون طبقات فيذكر البغدادي مثلا في خزانته أن طبقات القبيلة هي : الشعب ، القبيلة ، والعمارة ، والبطن والفخذ ، والفصيلة ".

فالشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن تجمع الأفخاذ ، والفخذ يجمع الفصائل ".[1]

ومما عرف عن البدوى تمسكه الشديدبنسبه‌كما نتمسك نحن اليوم بجنسيتنا

---

(١) خزانة الأدب للبغدادي، ج٣ ، ص٦٧٠.

وكما كان البدوي يتمسك بقبيلته ، فإننا نرى من جانب آخر أن القبيلة هي الأخرى تتمسك بكل فرد من أفرادها يؤيد ذلك ماجاء على لسان د. علي الجندي " والقبيلة تظل متمسكة بكل فرد من أفرادها تحافظ عليه وترعاه وتنتصف له مادام يسير وفق قانونها وحسب نصائحها ، ووفق رغبتها، وإرادتها ، فإذا مابدر منه سلوك لاترضاه ، أو اعتاد أمورا لاتوافق عليها خلعته من جماعتها ، ونفته من مجلسها وطردته من بينها ، وفي ذلك يقول طرفة :

وَمازالَ تَشْرابي الخُمُورَ ولَذَّتي ... وَبَيْعي وإِنْفاقي طَريفي ومُتْلَدي
إِلى أنْ تَحاشَتْني العَشِيرَةُ كُلُّها ... وأُفْرِدْتُ إِفْرادَ البَعِيرِ المُعَبَّدِ (١)

ومن هؤلاء الذين تطردهم قبائلهم تكونت جماعات عرفوا بالصعاليك عاشوا على السلب والنهب وقطع الطرق لكسب الرزق. (٢)

هكذا كان تمسك الفرد بقبيلته وتمسك القبيلة بأفرادها ماكانوا متبعين لنظمها عاملين على رفع مكانتها ولعلنا نستريح أيضا إلى ماذكره د. شوقي ضيف في هذا الصدد إذ يقول : إن البدو كانوا يرون في النسب والانتساب إلى القبيلة مانراه نحن الآن في الوطن ". (٣)

(١) تاريخ الأدب الجاهلي د. علي الجندي ، ص٧٣ ، وجاء في زهر الآداب للحصري ج١ ، ص٢٠ ، ٢١.
حديث عن تمسك العرب فيما أسموه بجمرات العرب .
وخزانة الأدب للبغدادي ج٣ ، ص٦٧٠. والبيتان في مختار الشعر الجاهلي ج١ ، ص٢١٦
(٢) تاريخ الأدب الجاهلي د. علي الجندي ، ص٧٣.
(٣) تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ، طبعة دار المعارف ص٥٧ ، الطبعة الثانية .

وقد كان لكل قبيلة من هذه القبائل نظام سياسي أساسه مجموعة من العادات والأعراف المتوازنة والتقاليد المتبعة التي تتفق عليها القبيلة فيما بينها فإذا ماحافظ كل فرد على هذه النظم وهذه القوانين - بلغة العصر الحديث - كان ذلك البر مظهراً من مظاهر تماسك القبيلة وتلاحمها.

إذن لابد من وجود جماعة من الأفراد على رأسهم كبير توكل إليهم جميعا مهمة الحفاظ على القبيلة ونظمها وأعرافها.

فكانوا يختارون من بين هؤلاء فردا ينصبونه سيدا عليهم أوماكانوا يسمونه " شيخ القبيلة " مهمته أن يحتل مكان الصدارة بين قوم مساوين له في المكانة وكانت مهمته أن يعمل على تنفيذ رغبات أهل قبيلته .

هذا الرجل يتميز بمكانة عظيمة وقوة شخصية تمكنانه من أن يفرض رأى الأغلبية على الأقلية ، فهو بعبارة أوضح منفذ كما يقول د. على الجندى مزود بسلطة إيحائية وعليه بعد استشارة القدماء والذوات أن يقود جماعته إلى المعارك وأن يستقبل الوفود، وأن يشرف على مفاوضات الصلح والمحالفات وإشهار الحرب وإضافة الضيوف ، واتخاذ التدابير في سني القحط . وتحديد حركات الظعون.(١)

وماجاء في حيوات العرب للدكتور عبدالمحسن سلّام يوافق ماجاء على لسان د. على الجندى تماما.(٢)

فكان اهتمام القبيلة باختيار شيخها هذا بالغا . يورد د. على الجندي:

---

(١) تاريخ الأدب الجاهلي ، د. على الجندى ، ص٧٤.

(٢) حيوات العرب د. عبدالمحسن عاطف سلام ، ص١٩٠.

أبياتا للقيط الإيادى يوصي قومه باختيار رئيسهم أومن سيولونه أمرهم، يقول لقيط في هذه الأبيات :

وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لامترفا إن رخاء العيش ساعده ... ولا إذا عض مكروه به خشعا
لايطعم النوم الا حيث يبعثه ... هم يكاد سناه يقصم الضلعا
مسهد النوم تعنيه أموركم ... يروم منها الى الأعداء مطلعا
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره ... يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته ... مستحكم الرأى لاقحما ولاضرعا [1]
وليس يشغله مال يثمره ... عنكم ولاولد يبغي له الرفعا [2]

ويفصل لنا د. شوقي ضيف في صفات رئيس القبيلة تفصيلا يتفق مع كل من أجمعوا على هذه الصفات [3]

إذن على عاتق هذا الرجل الذى شاءت له الأقدار أن يتزعم قبيلته - نقول على عاتقه تقع مسئوليات جسام مادية ومعنويه لذلك كانت القبيلة تخصص له مالا محمودا ينفقه في مثل هذه الحالات يقول د. علي الجندى، وكانوا إذا غنموا أموالا أخذ الرئيس مايعده لما قد يطرأ ولما يتحمل من النفقات وذلك هو : المرباع والصفي والنشيطة والفضول [4]. لكل هذا بدا تعصب البدوى

(١) القحم : الشيخ الهرم، الضرع: الرجل الضعيف.
(٢) تاريخ الأدب الجاهلي د. علي الجندى ص٧٥.
(٣) تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ، ص٦١ ، وكذلك الدعوة إلى الإسلام لتوماس ارنولد ترجمة د. حسن إبراهيم . مطبعة شيكش، ص٣٧.
(٤) تاريخ الأدب الجاهلي د. علي الجندى، ص٧٥ (المرباع : ربع الغنيمة والصفي مايصطفيه لنفسه قبل القسمة ، والنشيطة : ما أصاب في طريقه قبل الغزو والفضول : مالاتصح قسمته على عدد الغزاة من بواقي القسمة كالبعير والفرس. ينظر في ذلك الكامل في التاريخ لابن الأثير ، جـ١ ، ص٢٧٥.

لقبيلته عظيما وظهر ولاؤه لها جليا واضحا ووضح اعتزازه بالانتساب اليها وضوحا لامجال للظنة فيه . فمآثر قبيلته هي ألحانه التي لايفتأ يكررها بين آن وآن ، وكما يقول ابن رشيق :

" وقد عزف الشعراء أجمل ألحانهم على هذا الوتر حتى إن كثيرين منهم قد عرفوا بعصبيتهم لقبائلهم ، فكان يقال : فارس القبيلة فلان ، وجوادها فلان، وشاعرها فلان "(١)

والبيئة القاحلة التي عاشت فيها قبائل العرب كانت تدفعهم إلى الاحتكاك ببعضهم في هذه الصحراء المحدودة الموارد والتي لاتتوافر فيها أسباب العيش كما ينبغي فهي ليست بذات زرع لسد حاجة قاطنيها والبدوى بعد هذا وذاك من أكثر الناس عشقا لحريته يعمل ما استطاع على البقاء وحفظ نسله فهو يقيم في المكان ما أقام فيه الماء والكلأ فإن نضب الماء ونفد الكلأ، فلا مندوحة إذن من الترحال وفي الترحال اصطدام وقتال ، فالحياة أولا وقبل كل شيء . وكما يقول د. شوقي ضيف . هكذا كان عيش البدوى بسيطا مقصورا على ماهو ضرورى لحفظ الحياة وهو عيش بالضنك والشظف والكفاح المرير ضد الطبيعة ومخاطر الصحراء ولذلك فقد كان الفقر بينهم أوفر حظا وأوسع دائرة لايكاد يفلت منه إلا السادة الذين يملكون مئات الإبل "(٢)

وهكذا كانت حياة ذلك البدوى البسيط تقوم أساسا على تتبع مساقط الماء

---

(١) العمدة : لابن رشيق ، جـ١ ، ص١٩٢ ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد الطبعة الرابعة ١٩٧٢.

(٢) تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي - د. شوقي ضيف ، ص٨١.

وارتياد مواطن الكلأ ، فهم يقيمون على مياههم زمن الحر واشتداد القيظ لايبرحونها إلا لحرب أو لغزو وها هو ذا المرزوقي يصف لنا ذلك فيقول: لايزالون يتتبعون مواقع الغيث ويتحولون في معاشب الأرض ويشربون ماء السماء ويجتزئون بالرطب عن الورد ، وهم في سلوة من العيش . يرمي بهم النوى المرامي ضمن شعب يلتئم إلى شعب ومن جمع يلتئم مع جمع ومزار تقرب بعد بُعد ومطاف يسهل عقب وعر ومواعيد بين الأحبة أنجزت وعقود من حبال جوار ووصال أوثقت حتى إذا تحرك - الحفيف - وهو أول الحر ، يتصدعون عن مباديهم ويتفرقون عن مقارهم فكم قلب لفراق الأحبه جزع ، ودفع لوداعهم همع وأنس لبينهم يقطع ووجد ببعدهم يتجدد وكل هذا أتت به الأشعار"(١)

من هذا الذى ذكره المرزوقي يبدو البدوى ذا قلب يخفق بالحب والسلام يتمنى أن يحيا الحياة الهادئة الوديعة ، ولكن من أين له ذلك والطبيعة له بالمرصاد بقسوتها وجفافها ، فكثرت بينهم الحروب إمّا للثأر والوتر وإما لحفظ الحياة عندما تجدب عليهم الطبيعة باخلة بخيراتها منذرة بويلاتها وحروبها فالغزو إذن ليس لمجرد التسلية أو العبث أو فرض السلطان وإنما هو وسيلة للرزق وكما يقول د. شوقي ضيف في هذا " فإنه لاتكاد هناك عشيرة أو أسرة إلاّ وهي واترة موتورة"(٢)

من أجل هذه الحياة القاسية اشترطت القبيلة في رئيسها شروطا تكفلها الحها بة والقوة والمنعة من أجل هذا لم يكونوا يؤمنون بمبدأ الوراثة في الرئاسة والسيادة وإنما من تتوفر فيه صفات معينة استحق هذا المنصب ، وقد

---

(١) الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ، جـ٢ ، ص١٢٧ ، ١٢٨.
(٢) العصر الجاهلي ، د. شوقي ضيف ، ص٧٨.

تحدث د. جواد علي مفصلا هذه الصفات التي يجب أن تتوافر في رئيس القبيلة أوشيخها.(١)

والى المعاني السابقة يشير أحد شعراء بني عامر وهو عامر بن الطفيل أحد سادات بني عامر ، إذ يقول :

وإنّي وإنْ كنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ وفي السِّرِّ منْهَا والصَّريحِ المُهذَّبِ
فَمَا سوَّدتْني عامرٌ عنْ وراثةٍ أبَى اللّهُ أنْ أسْمُوبأُمٍ ولا أبِ
ولكنَّني أحْمي حِمَاهَا وأتّقِي أذاها وأرْمِي مَنْ رَمَاها بِمِقْنَبِ(٢)

وإنْ كان هذا حال العلاقة بين أفراد القبيلة بعضهم ببعض وبينهم وبين سيدهم أوشيخهم أورئيسهم ، فإنّه كان هناك نوع آخر من التحالف لايقتصر على أفراد القبيلة الواحدة ، وإنما كان هذا النوع من التحالف بين القبائل بعضها بعضا . تدفعهم إلى ذلك تلك الظروف نفسها التي أوردناها وتحدثنا عنها. تلك الظروف التي كثرت فيها دواعي النزاع والقتال والاحتكام إلى السيوف والرماح.

فكثيراً مانرى قبيلة تلجأ إلى التحالف مع غيرها من القبائل القوية فتهابها القبائل الأخرى . وهذه الأحلاف بين قبائل العرب تشبه إلى حد كبيرماتسميه اليوم بالمعاهدات السياسية إذ بمجرد أن تدخل قبيلة صغيرة في حلف مع أخرى كبيرة أصبح على هذه الأخيرة ضرورة نصرتها وحمايتها ولها مالها من حقوق .

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي ، جـ٤ ، ص٢١٥.
(٢) ديوان عامر بن الطفيل تحقيق تشارلز لايل ط ليدن ١٩١٣ ، ص٨٦.

يعلق الدكتور أحمد الحوفى ذلك بقوله "كانوا ينتسبون إلى الأعز لحماية الحمية و إباء الدنية ، و سكون النفس إلى نفيس الكثرة و العصبية " (١)

" و قد تتحالف القبيلتان القويتان أو القبائل القوية للاشتراك فى الغارة أو العدوان كحلف ذبيان و أسد و حلف أسد و طيء و حلف عبس و بنى عامر ضد ضد تميم و ذبيان " (٢)

و لكن هل كانت العلاقات بين القبائل بعضها بعضا كعلاقات أفراد القبيلة بعضهم ببعض أظن أن ذلك بعيد إذ أن علاقات أفراد القبيلة الواحدة إنما تربطهم روابط الدم و النسب و القربى و إظهار روابط غاية فى القوة و التماسك

أما أفراد القبائل الأخرى بعضهم ببعض فكما رأينا تربطهم روابط مادية بحتة كل منهم يبغى مصلحته ربما على أكتاف الآخرين فأقدام هذه العلاقات غير راسخة إنما هى على أرض هشة سرعان ما تتزلزل تحتها هذه الأرض و سرعان ما تزول و ينقلب الأحلاف أعداء كما كانوا سيرتهم الأولى .

و الخلاصة كما يقول الدكتور "حسن إبراهيم حسن" إن روح الوئام كانت سائدة بين أفراد القبيلة الواحدة مفقودة تماما بين القبائل المختلفة . (٣)

و ما أظن أن الحياة السياسية لقبيلة من القبائل تختلف عن بقية قبائل الجزيرة العربية آنذاك . فهذا الذى أوضحناه إنما هو نظام سياسى ساد الجزيرة كلها و تعارف عليه العرب البداة جميعهم . فما كان لقبيلة أن تشذ إذن عن أخواتها بنظام آخر يختلف فى سياسته و علاماته عن ذلك النظام السائد حينذاك .

---

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلى ٥ د. أحمد الحوفى ص ٢٠١

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٣ صـ ٣٠٧

(٣) تاريخ الإسلام السياسى د. حسن إبراهيم حسن جـ ١ صـ ٦٦ الطبعه الرابعة ١٩٥٧ .

وقبيلة تميم بن مُر" التى نتناولها بالدراسة فى هذا البحث و خاصة فى هذا الفصل من القبائل العربية الضاربة فى القوم و التى عرفت كما مرّ بنا بالقوة و الشجاعة حتى إن ملوك الحيرة كما عرفنا صالحوهم و جعلوا لهم الردافة ليكفوا عن أهل العراق الغارة " (١)

كما أن منهم من تولّى قضاء المواسم و قضاء عكاظ و قد مرّ بنا ذلك فى حديثنا عن أنسابهم و عن حياتهم الاجتماعية (٢)

هذه نبذة عن حياة "تميم" السياسة كقبيلة عربية من قبائل شبه جزيرة العرب .

عاشت فترة طويلة فى الجاهلية إلى أن جاء الإسلام و فتح به الله على أولئك الضالين على غير هدى يتخبطون فى ظلماتهم يعمهون .

و من خلال استعراضنا لحياة القبائل العربية بعامة و لقبيلة "تميم" بخاصة فإننا نستطيع أن نحدد بعض الخصائص و المميزات السياسية التى ميّزت هذه الحقبة من الزمن التى سبقت الإسلام . تتلخص هذه الخصائص و المميزات فيما يلى :-

أولا: عاش المجتمع الجاهلى متكوناً من قبائل عديدة ، تستقل كل قبيلة بشؤونها استقلالاً يكاد يكون كاملا و تدين أفرادها بالولاء و الطاعة لزعيم أو رئيس أو شيخ يؤمرونه عليهم و يجب أن تتوفر فى هذا الشيخ صفات خاصة محددة. هذا الشيخ لا يحكم بسلطة مطلقة و إنما هو منفذ لرغبات أبناء قبيلته .

---

(١) المعارف : لابن قتيبة ص ٦٥١

(٢) جاء ذلك فى هذا البحث ص ٣٤ و ما بعدها .

ثانيا: تخضع القبيلة العربية فى الجاهلية لمجموعة من النظم و التقاليد المتعارف عليها بين أبنائها تسلكهم هذه العادات و هذه التقاليد فى نظام سياسى و اجتماعى محدد المعالم هو دستورهم المقدس و الدائم و الذى لا يخرج عليه أحد فإنْ شَذّ عنه أحد حرمته القبيلة من رعايتها و من الاعتراف به فأصبح صعلوكا لا مأوى له الا أن يكون قاطع طريق .

ثالثا: امتازت القبيلة العربية القديمة بإيثار الافراد لقبائلهم على أنفسهم فكانت الفردية تتلاشى أمام مصلحة المجموعة .

رابعا: كثيرا ما كانت تقوم الأحلاف بين القبائل بعضها بعضا إمّا لجوارها أو لصلات قُربى تجمعها أو لمصلحة كل قبيلة من وراء هذه الأحلاف .

خامسا: مما يميز قبيلة تميم عن غيرها من القبائل العربية كثرة عددها و قوتها و رهبة ملوك الحيرة منها حتى ميزوهم بالردافة كما ذكرنا و قد مرت بنا قصة كسرى مع النعمان إذ أمره كسرى أن يجمع له رؤساء من عشائر القوم و أن يقعد له الحكام العدول . و قال ليتكلم كل رجل هنكم بمآثر قومه و ليصدق فكان من المتكلمين فى هذا المقام "حاجب بن زرارة التميمى فقال" قد علمت العرب أنا فرع دعامتها .. إلى آخر ذلك الخبر . (١)

هذه إلمامة صغيرة عن حياة هذه القبائل السياسية و ما تميزت به و دوافع الحروب و الغزوات عندهم و أهمها دافع الحفاظ على الحياة بارتياد مواطن الكلأ و منابع المياه أو لرد الغارات و أخذ الثأر .

أقول بعد هذا كله يجدر أن أنتقل إلى الحديث عن أيام "بنى تميم" مع غيرها من القبائل العربية و التى جاورت تميما فى المنازل و المياه .

---

(١) سبائك الذهب ص ١٠٥

من اصل المصدر

إلا أن الدكتور الحوفى يورد سببا آخر بالإضافة إلى هذه الأسباب التى أجمع عليها كل الباحثين و الكتاب . يقول د. الحوفى فى ذلك : "و قد تشتعل الحرب لتنازعهم على الشرف و الرياسة لأنهم قوم كلفون بالصدارة و الزعامة كما حدث بين هشام و أمية بمكة ، و بين عبس و ذبيان من قيس ، و بين بكر من ربيعة و بين دارم و يربوع من تميم (١)

هكذا يتقاتلون بعضهم بعضا إذا نضب ماء أحدهم و نفد الكلأ فى منازلهم لينزل جارا لقبيلة أخرى يشاركها فى مائها و كلئها ، كل هذا من أجل الحياة

لكن هناك سبب آخر يبدو غريبا بالنسبة لأخلاق العربى الكريم يتمثل هذا السبب فى السلب و النهب ، ليس من الغريب أن تتقاتل القبيلتان لتنزل إحداهما إلى جوار الأخرى فى مراعيها و مساقيها و أما أن تسطو قبيلة على قبيلة لتنهب أموالها و تسلبها فهذا ما يتنافى مع الأخلاق العربية المعروفة و المعهودة فى أولئك البدو آنذاك .

لكن الدكتور الحوفى يورد هذا الخبر فيقول : "على أن بعض الحروب كان مبعثها السلب و الغارة لأن قلة الخيرات علقت أرزاقهم برماحهم و جعلت معاشهم فى أيدى بعضهم و إنا لنجد هذا واضحا فى قول القطامى الشاعر المخضرم إذ يتحدث عن الخيل و الفرسان و عن ديدنهم فى الغارة و السلب :

وَ كُنَّ إِذا أَغَرْنَ عَلَى جَنَابٍ	وَ أَعْوَزَهُنَّ نَهْبٌ حَيْثُ كَانَا
أَغَرْنَ مِنَ الضِّبَابِ عَلَى حُلُولٍ	وَ ضَبَّةَ إِنَّهُ مَنْ حَانَ حَانَا
وَ أَحْيَانًا عَلَى بَكْرٍ أَخِينَا	إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا (٢)

و لن كان

(١) أغانى الطبيعة فى الشعر الجاهلى د.أحمد الحوفى صـ ١٧٣
و جاء فى المعارف لابن قتيبه صـ ٦٥١ ما يدل على هيبة قبيلة تميم و حرصها على الرياسةو حصولها على الردافة من ملوك الحيرة

(٢) أغانى الطبيعة فى الشعر الجاهلى د. أحمد الحوفى صـ ١٧٣ (الضباب: يشتمل على ضبة و غيرها ، و الحلول : المقيمون فى مكان واحد ، من حان حان : أى من جاءه أوان غزونا أهلكناه .

و إن كان هذا يحدث من عربى بدوى على أخيه فإنني أرى أنه لا يحدث إلا من صعاليك ضربوا عرض الحائط بقيم و مبادىء و قوانين قبائلهم و طردتهم القبائل من ديارها .

هذه أسباب كثيرة كانت تؤدى إلى انتقال الحروب و العداوات بين قبائل الجزيرة بعضها بعضا . و كما أوردنا من ذي قبل أن من هذه الأسباب أن تهيج الحرب نصرا لغريب و لكن الملفت للنظر أنها قد تهيج و تشتعل نصرا لهذا الغريب حتى لو كان ظالما أو مظلوما لأن شعارهم انصر أخاك ظالما أو مظلوما و الذى يتخلى عن نصرة أخية و قريبه يعير و يعاب " (١)

و يستدل الدكتور الحوفى على ذلك بقوله : " و قد عير قريط بن أنيف قومه و تنقصهم لأن بعض بنى شيبان أغاروا على إبله فاستنجد قومه فلم ينجدوه فلجأ إلى بنى مازن تميم فأنجدوه :

لو كنتُ مِنْ مازنٍ لمْ تَستَبِحْ إبلي ... بَنُو الشَّقيقةِ مِنْ ذُهلِ بنِ شَيبانا

إذنْ لقامَ بنَصرِي مَعشَرٌ خُشُنٌ ... عِنْدَ الحَفيظةِ إنْ ذُو لُوثةٍ لانَا

قَومٌ إذا الشرُّ أبدَى ناجِذَيهِ لَهُم ... طارُوا إليهِ زَرافاتٍ وَوُحدانَا

لا يَسألونَ أخاهُمْ حِينَ يَندُبُهُمْ ... في النائباتِ علَى ما قالَ بُرهانَا

لَكنَّ قَومِي و إنْ كانُوا ذَوِي عَدَدٍ ... لَيسُوا مِنَ الشرِّ في شَيءٍ وإنْ هَانَا

كأنَّ ربَّكَ لمْ يَخلُقْ لخَشيَتِهِ ... سِواهُمْ مِنْ جَميعِ النَّاسِ إنْسانَا

يَجزُونَ مِنْ ظُلمِ أهلِ الظُّلمِ مَغفِرةً ... و مِنْ إساءةِ أهلِ السُّوءِ إحسانَا

فلَيتَ لي بِهِمُ قَومًا إذا رَكِبُوا ... شَدُّوا الإغارةَ فُرسانًا و رُكبانَا (٢)

---

(١) أغانى الطبيعة الدكتورأحمد الحوفى ص ١٧٤ و كذا العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٣ ص ٣٠٧ .)

(٢) أغانى الطبيعة فى الشعر الجاهلي - د. أحمد الحوفى ص ١٧٤ .

لكنني أرى مع احترامي لأستاذنا الحوفي : أن مبدأ (أنصر أخاك ظالمـــا أو مظلوما) حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما سأله الصحابة كيف ننصره ظالما يارسول الله ، قال صلوات الله وسلامه عليه : ننصحه بترك الظلم[1] وإن كان هذا المبدأ معمولا به في الجاهلية فما أراه إلا أن يكون كما أراد رسولنا صلوات الله وسلامه عليه .

من هذه الحروب وهذه الغارات نتج لنا رصيد ضخم من أيام القبائل بعضها مع بعض حفلت به كتب التاريخ والأدب سجلته لتضيء لنا به صفحة من صفحات تاريخ هذه القبائل في حقبة زمنية سبقت الإسلام.

وأكثر أيام هذه القبائل مع بعضها كانت تسمى بأسماء الأماكن التي كانت تقع فيها أو بالقرب منها. كانت هذه الأيام تبدأ في الغالب الأعم بين عدد من الأفراد يتنازعون على حد من الحدود أو لخلاف على قطعة من المرعى أو نزاع على موقع ماء وسرعان ماينهض قوم كل طرف لنصرة أفراده فتشتعل نار الحرب بين البطون أو القبائل بأكملها.

ولم تكن هذه الحروب تتوقف إلا بعد تدخل أشراف من القوم محايدين أو تتوقف بدعوة عقلاء الأقوام المتحاربة وحكمائهم إلى الصلح كماحدث في حروب داحس والغبراء فتدفع الديات ويفدى الأسرى فتتغير الأحوال وتتبدل الأوضاع.

لقد اتخذت أيام العرب بكل مافيها من أحداث وثائق تاريخية تفخر بها القبائل إذا تعرضت لمنافرة أو هجاء .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الشعب ، مطابع الشعب ١٣٧٨هـ (كتاب الإكراه جـ٩ ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، وأيضا (كتاب المظالم والغضب) جـ٣ ، ص١٦٨ (والحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه).

ولعلنا نجد هذا واضحا كل الوضوح في أكثر الشعر الجاهلي وفي بعـــــض الشعر الإسلامي كالنقائض مثلا .

والقبيلة التي نحن بصدد دراسة أيامها وحروبها هنا وهي قبيلة تميـــم قبيلة كبيرة عظيمة العدد ، انتشرت ببطونها العديدة في بقاع مختلفة ومتعددة من أقاليم الجزيرة العربية وجاورت عددا غير قليل من القبائل العربية الأخـــر مثل " عبد القيس " ، و"عامر بن صعصعة " ، و" غطفان " و"حنيفة"، و"كلـــب و"طيء"، و"هوازن" ، و"هذيل" ، و" أسد" ، و" بكر" .

كل هذا كان له أثر كبير وجلي في قيام حروب كثيرة ومستمرة بينها وبيـــن تلك القبائل وأيام تميم كثيرة ومتعددة يطول الحديث عنها ويصعب ترتيبهـــا زمنيا ، فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية :" ومن العسير أن نرتب أيـــام تميم ترتيبا زمنيا في ضوء هذا الحشد من التفاصيل المشوشة والتي ترددت بها الروايات المختلفة .[1]"

لكن أكثر هذه الأيام وضوحًا وكثرةً ماكان بين تميم وجيرانها " بكربن وائل وبطنها " عامر بن صعصعة ".

تقول دائرة المعارف الإسلامية :" ويمكن أن نستخلص من هذه الروايات ک الحقيقتين التاليتين : الأولى : التنافس المستمر بين تميم وجيرانها " بكـــر بن وائل " وبينها وبين بطنها " عامر بن صعصعة " خاصة .

والثانية : صلاتها بملوك فارس الذين أخضعوا بكرا وتغلبا" ثم حاولـــوا بسط سلطانهم على" تميم" التي كانت تهدد دائما أسباب اتصالهم من البـــر بالساحل الشرقي لأفريقية واليمن .[2]

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد العاشر ، ص٥٦.
(٢) المرجع السابق ، مجلد ١٠ ، ص٥٦.

إذن فتميم هي القبيلة المرهوبة الجانب والتي هددت فارس ذاتها في وقت كانت فيه فارس كأقوى ماتكون دولة في هذا العصر كله نرى ملوك فارس يعملون على اجتذاب القبائل البدوية إليهم بالمنح والعطايا.

وقد ذكرت الروايات خبر إحدى هذه المنح والتي تعرف " بالردافة " وهي طائفة من المزايا العسكرية والمالية أعطيت لبني يربوع في عهدالمنذر.(1)

فسنحاول الآن الحديث عن أشهر أيام " تميم" مع " بكر" وغيرها وسوف نقسم هذه الأيام لازمنيا بل سنورد ما لتميم أولا ثم ماعليها بعد ذلك.

الأيام التي كانت لتميم علي غيرها):

اليوم الأول : يوم " ثَيْتَل "(2) وثَيْتَل : ماء على عشر مراحل من البصرة ويسمى يوم "النباح" وهو موضع قريب من ثيتل ".

وخرج فيه قيس بن عاصم وسلامه بن ظرب التميمي ، فغزوا بكر بن وائل عند " النباح" ثم عند " ثيتل" فانهزمت بكر وأسر منها "حمران بن عمرو" وجثامة الذهلي" وأصابت تميم غنائم كثيرة ويقول في ذلك ربيعة بن تميم ":

فلَا يُبْعِدَنّكَ اللهُ قَيْسَ بنَ عَاصِمٍ ... فأَنْتَ لناعزٌ عَزِيزٌ ومَعْقِلُ
وأَنْتَ الّذِي حَرّبْتَ بَكْرَ بْنَ وائِلٍ ... وقَدْعَضَلَتْ(3) مِنْهَا النّبَاحُ وثَيْتَلُ

---

(1) المرجع السابق ، مجلد١ ، ص٥٦، ٥٧.

(2) نقائض جريرالفرزدق." طبعة أوربا "،ص١٠٢٣ ، أيام العرب فيالجاهلية لمحمد جادالمولى ورفاقه ص١٧٥ ، مجمع الامثال للميداني ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد. دارالفكر+ الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م، جـ١، ص٤٤١ العقد الفريد ، لابن عبد ربه شرح أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الابيارى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠، جـ٥ من ص١٨٥ - ١٨٧

(3) عضلت : أى ضاقت بهم الأرض.

وقال مرة بن قيس بن عاصم :

أنا الذي شق المزاد وقد رأى بثيتل أحباء اللهازم (١) حضرا

فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم فلم يجدوا إلا الأسنة مصدرا

سقاهم بها الذيفان (٢) قيس بن عاصم وكان إذا ما أورد الأمر أصدرا

إلى آخر أبيات كل من الشاعرين السابقين والتي يفخرون فيها بشجاعة تميم وعزها على بكر بن وائل .

اليوم الثاني : يوم جدود (٣) وجدود : موضع في بلاد بني تميم قريب من حزن بني يربوع ، فيه الماء الذي يقال له : الكلاب .

وخرج فيه الحارث بن شريك وهو من " بكر " وقد جمع بني شيبان و " ذهلا " ، و " اللهازم " وهم بالغدر ببني " سليط " بن يربوع (من تميم) وكانت بينهما موادعة ، حتى إذا أتي بلادهم حال " عتيبة بن الحارث " ومعه " بنوجعفربن ثعلبة " بينه وبين الماء ، و " عتيبة " يومئذ رئيس بني يربوع . فطلب منهم الحارث بن " شريك " البكرى أن يأخذوا ما معه من تمر ويخلوا سبيله ، وذكرهم بما بينهم من عهود الموادعة وبعد أن خلوا سبيله وسارتاركا إياهم أغار على بني يربوع بن الحارث " بجدود، فاستغاثوا بجيرانهم " بنيكليب بن يربوع " . فركب " بنو يربوع " فلحقوا بكر بن وائل وهم يقيلون في ظل شجرة فما شعر الحارث بن شريك إلا بالأهتم بن سمي بن سنان بن منقر.فنادى الحارث يا آل وائل ، ونادى الأهتم يا آل سعد ، وشدكل منهما على صاحبه

---

(١) اللهازم :: بطن من بكر.

(٢) الذيفان : السم الناقع .

(٣) النقائض ص١٢٤،٣٣٦، مجمع الامثال،ص٤٣٩، أيامالعرب فيالجاهلية ،ص١٧٨.



متزوجا قبلها بامرأة من بني يربوع تدعى بنت النطف تركها في قومها. وكان لزوجته البكرية أخ يدعى " أبجر " بن جابر، فأتى أخته يوما يزورها. ثم حدث بينه وبين زوج أخته اليربوعي التميمي كلام قال بعده لزوج أخته: إنّي لأرجو أن أغزو قومك وآتيك بابنة النطف (يريد زوجته الأولى اليربوعية) وتخوف " عميرة " من ذلك لكن " أبجرا " أعلمه أنه إنما يمازح.

ولم تمض مدة حتى خرج " أبجر " فيمن تبعه من اللهازم "، و" الحارث بن شريك" في بني شيبان، و معهم " عميرة بن طارق ،ووكل" بعميرة" أخاه حرقص بن جابر، لكن " عميرة " ادّعى أنه ذاهب إلى زوجته أخت أبجر ليحملها معه ، وقطع الصحارى الواسعة ليخبر بني اليربوع فاستعدوا والتقوا بالبكريين عند أسفل ذى طلوح ، وكانت لهم الغلبة يومذاك.

اليوم الخامس : يوم الإياد[1]: وإياد : موضع بالحزن لبني يربوع بين الكوفة وفيد ، كانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس يجيرونهم ويجهزونهم فأقبلوا يوما من عند عامل " عين التمر " في ثلاثمائة فارس يتوقعون انحدار بني يربوع في الحزن . ثم بعثوا رئيسهم فعاد يخبرهم أن هناك أقواما من بني زبيد" وبني عتيبة وسائر الناس . ونصح حكماء " بني بكر" بن وائل قبائلهم بالعودة فلا قبل لهم بتميم ، لكنهم رفضوا والتقى الجمعان فانهزمت " بكر وقتلت تميم جماعة من فرسان بكر، وأسر جماعة منهم هانيء بن قبيصة ففدى نفسه ونجا وانتصرت تميم ممثلة في " بنييربوع " على بكر(من ربيعة) وقد ق

(١) النقائض : ص٥٨ ، أيام العرب في الجاهلية ، ص١٩١.

متمم بن نويرة في أسيد بن حناءة :

لعَمْرِي لنِعْمَ الحيُّ اسمعَ غُـــدْوةً ... أسَيْدٌ وقد جَدَّ الصُراخ المُصَـــدَّقُ

فأسْمَعَ فتيانًا كجِنَّةِ عَبْقَــــرٍ (1) ... لَهُمْ رَيّقٌ عندَ الطِّعانِ ومَصْـــدَقُ

أخَذْنَ به جَنْبَيْ أُفاقٍ وبَطْنَهَـــا ... فَمارَجَعُوا حتَّى أَرَقُّوا وأعتَقُـــوا

اليوم السادس : يوم عاقل (2) : وعاقل : وادٍ بنجد.

كان الصمة الجشمي أغار على بني حنظلة (من تميم) بعاقل فأسره الجعد بن الشماخ (من بني مالك بن حنظلة) وهزم جيشه وأصيب منهم ، وأصبح الصمة أسيرا عند" الجعد" ولم يفد نفسه ، وطالب الجعد الصمة بفداء نفسه والاّ ليجعلن أفعى تعضه ، فلما طال ذلك ، جز رأسه على النواب وأتاه بعد فترة يحتثيبه فغدر به الصمة وقتله ، ثم اجتمع الصمة يوما بعكاظ مع ثعلبة بن الحارث (من بني مالك بن حنظلة) وذكره بقوله معرضا به " أين الجعد بن الشماخ ؟ فقال له ثعلبة ماذكرك رجلا أمرك ومن عليك ثم جاءك يستثيبك فغدرت به وقتلته ألا والله لا ألقاك بعد يومي هذا إلاّقتلتك أو مت دونك .

وبعد زمن ، عاد الصمة يغزو بني حنظلة بن مالك فأسر ورآه ثعلبة فعرفه فأخذ سيفه ثم جاء فضرب به بطن الصمة فأثقله.

اليوم السابع : يوم الشباك (3) : والشباك : طريق حاج البصرة

وماحدث في ذلك اليوم أن إياس بن عبلة بن تَيْمُ الله بن ثعلبة (من بني تَيْمُ الله " وهي بطن من بطون بكر، قتل مسعودا بن القصاف(من تميم (

---

(1) واد : بالبادية : اشتهر بكثرة الجن فيه ويقال في المثل(كأنهم جن عبقر).

(2) النقائض ، ص١٠١٩ ، أيام العرب في الجاهلية ، ص٢١٥.

(3) النقائض ص٩١٨ ، أيام العرب في الجاهلية ، ص٢٢٦.

و أسرت بنو " تيـم الله " وكيع بن القصاف فحبسوه عندهم ، فظـن بنو حنظلة أن الآخرين قد قتلا كلاهما ، فقال " زيد بـن عمـرو " اليربوعي " يرثيهما و يتوعد بنى تيـم الله :

لِتَبكِ النِّسَاءُ المُرْضِعَاتُ بِسُحْرَةٍ ... وكيعًا وَمَسْعُودًا قَتِيلَ الحَنَائِمِ

كَلَا أَخَوَيْنَا كَانَ فَرْعًا دِعَامَـةٍ ... و لا يلبث العرض الدعائم

فَلَا تَرْجُ تَيْمَ اللهِ أَنْ يَجْعَلُوهُمَا ... دِيَاتٍ وَ لَا أَنْ يُهْزَمَا فِى الهَزَائِمِ

فلما سمعت " **تيـم الله** " بهذا الشعر عرفوا أن بنى مسعـود سيطلبونهم بدم مسعود ، فخلوا سبيل وكيع . و بعد انقضاء زمـن خرج فتية من بنى القصاف حتى إذا دنوا من الشباك لقوا قومـا فسألوهم .. من على المـاء ؟ فقالوا لهم : " **بنو حارثة** " بن لأم ، و ناس من بنى " **تيـم الله** " بن ثعلبة . و عرفوا أن الفرصـة سانحة فانطلقوا حتى وجدوا "ابن عبلة " فزعموا له أن ناقة مـن نوقهم قد ضلت الطريق ، و انضمت إلى إبله ، فذهب معهم يبحـث عنها في إبله ، و لما انتحوا به بعيدا شد عليه رجل منهم مناديـا بأعلى صوته : يا ثارات مسعود ، و قتله و خضب عمامته بدمـه . و قد قال **الأسلع بن القصاف** فى ذلك :

فِدًى لامرئٍ لَاقَى ابْنَ عَبْلَةَ نَاقَتِى ... وَ رَاكِبُهَا والنَّاسُ بَاقٍ و ذَاهِبُ

غَدَا ثُمَّ أَعْدَاهُ عَلَى الهَوْلِ فِتْيَةٌ ... كِرَامٌ و أَسْيَافٌ رِقَاقٌ قَوَاضِبُ

و لم يَحْفِلُوا مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بَعْدَهَا ... وَ مَا كَشَفَ النَّاسَ الأُمُورُ الشَّوَاغِبُ

الى آخر أبياته فى هذه المناسبة .

اليـــوم الثامـــن : " يـــوم ذى نجـــب "[1]:

خرج ناس من بنى " **عامر بن صعصعة** " عن طورهم بعد انتصارهم فى يوم شعب جبلة ، مما دفعهم إلى التفكير فى استئصال مجد بنــى حنظلة بن مالك ، فعرضوا ذلك على حسان بن كبشة الكندى ، و أغـروه فاستجاب لعرضهم و أقبل معهم بجنده ، و انضم جنده إلى بنـــــى عامر ، و كان رئيسهم فى ذلك اليوم عمرو بن الأحوص بن جعفـر ، و ساروا جميعا يريدون " **بنى حنظلة** " ، و التحم الجمعان و لكـــن ذلك الحشد الهائل من بنى "**عامر بن صعصعة** " و جند " **حســـا ن الكندى** " لم يستطيعوا التغلب على قوم يدافعون عن أنفسهـــــم و حياتهم . و قتل فى ذلكاليوم " **ابن كبشة** و " **عبيدة ابن مالك بـن جعفر** " و " **عمرو بن الأحوص** " و ضرب " **يزيد بن الصفق** " علـــى رأسه و انهزم " **الطفيل بن مالك** " على فرسه " **قـرزل** " ، وانهزمت " **بنو عامـر** " و صنائعهم من جند ابن كبشة و ها هو ذا أوس بـــن حجر الشاعر الجاهلي المشهور والذى ينتمى إلى " **بنى أسيد** " مـن تميم يعير الطفيل بن مالك - " **أبا عامر** " - فى هزيمته علـــى فرسه " **قـرزل** " فيقول :[2]

---

(١) النقائض : ص ٣٠٢ ، ٥٨٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٧٩ ، مجمع الأمثـــال ، ص ٤٣٤ ، أيام العرب فى الجاهلية ، ص ٣٦٥ .

(٢) ديوان أوس بن حجر ، ص ١١٣ - ١١٤ ، (شبه سرعة الفرس فـــى عدوه بسرعة التهاب الميسم فى الوبر)

و اللهِ لولا قُرزلٌ إذ نجـــا لَكَان مثوى خدِّك الأخـــرَما
نَجَّاكَ جَيَّاشٌ هزيمٌ كَمَـــا أَحْمَيْتَ وسْطَ الوَبَرِ الميسَـــما

اليـوم التاسـع : " **يـوم الصـرائم** " :[1] و " **الصرائم** " : اسـم موضـع .

و فيه أغارت بنو عبس على " **ربيعة بن مالك بن حنظلة** " فأتى الصريخ بني يربوع ، فركبوا في طلب بني عبس ، فأدركوهم بـذات الحرف (موضع في ضواحي اليمامة) فقتلوا شريحا و جابر بن وهـب و أسروا فروة و زنباعا ؟ ابني الحكم بن مروان ابن زنباع ، و أسـر أسيد بن حناءة الحكم بن مروان بن زنباع العبسي ، و قتل " عصمـة ابن حدرة " الرياحي سبعين رجلا منعبس .

وفي هذااليوم قال " شـميث بن زنباع بن الحارث بن ربيعة الرياحي:

سَائِلْ بِنَا عَبْسًا إِذَا مَا لَقِيتَهَا عَلَى أَيِّ حَيٍّ بِالصَّرَائِمِ دُلَّـتِ
قَتَلْنَا بِهَا صَبْرًا شَرِيحًا و جَابِرًا وَ قَدْ نَهَلَتْ فِيهَا الرِّمَاحُ وَ عَلَّتِ

إلى آخـر ما قال في هذا اليوم .

اليوم العاشـر : " **يوم الرغـام** " :[2] و الرغام : اسم رملـة من نواحي اليمامة .

و كان هذا اليوم لبني يربوع " من تميم " على كلاب " مـن

---

(١) النقائض : ص ٢٤٨ ، ٣٣٦ ، أيام العرب في الجاهلية ص ٣٦٨ .

(٢) النقائض : ص ٤١٠ ، أيام العرب في الجاهلية ، ص ٣٧٠ .

قيس " . و كان قد أغار عتيبة بن الحارث بن شهاب (من بني ثعلبة بن يربوع) ، على طوائف من بني كلاب فطردوا إبلهم ، و لحقت به بنو كلاب مستخفين على أنهم يطلبون إبلاً شاردة و خدعوهم ، و قتلوا منهم / قتله الحوثرة " بن قيس (من بني كلاب) واستطاعت بنو ثعلبة أن تأسر " **الحوثرة** " و تقتله ، و يهزم الكلابيون في ذلك اليوم .

<u>اليوم الحادي عشر :</u> "يوم المرّوت " :[1] و المرّوت : موضع في ديار " بني تميم " .

و من حديث ذلك اليوم أن قعنب بن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع النفس هو " **و بجير بن عبد الله العامري** " بعكاظ، و الناس شهود ، فتهكم بجير على قعنب يسأله عن فرسه البيضاء و هل يشكرها ؟ و لما استفسر قعنب عن سبب شكره لفرسه قال له " **بجير** " إنّها صاحبة فضل عليه إذ أنقذته منه ثم قال :

لَوْ أَمْكَنَتْنِي مِنْ بِشَامَةَ مُهْرَتِي ... لَلَاقَى كَمَا لَاقَتْ فَوَارِسُ قَعْنَبِ

تَمَطَّتْ بِهِ الْبَيْضَاءُ بَعْدَ اخْتِلَاسِهِ ... عَلَى دَهَشٍ و خِلْتَنِي لَمْ أُكَذِّبِ

فأنكر قعنب ذلك و توعده و هدده لئن لقيه بعد هذا اليوم ليقتلنه و بعد انقضاء زمن ، أغار "بجير " على " **بني العنبر** " فأصاب منهم ناسا ، و أتى صريخهم بني حنظلة و بني عمرو بن تميم و بني العنبر ، فركبوا في إثر " **بجير** " فلحق به بنو عمرو بن تميم ، قبل غيرهم فقال " **بجير** " لأصحابه : انظروا ما ترون ؟ قالوا نرى خيلا عارضة رماحها على كواهل خيلها . قال : أولئكم

---

(١) النقائض : ص ٧٠ ، مجمع الأمثال ص ٤٣٣ ، سبائك الذهب ، ص ١١٢ ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي ج٢ص٦٩ ، سبائك الذهب ص ١١٢ .

بنو عمرو بن تميم و ليست بشيء فلحقوا ببجير و هو بالمرّوت فاقتتلوا . ثم لحق " **بنو مالك بن حنظلة** " فسأل " **بجير** " أصحابه عما يرون ؟ فقالوا : نرى جبلا ناصيته الرماح .

قال : أولئكم " **مالك بن حنظلة** " و ليسوا بشيء فلحقوا و اقتتلوا ثم سأل " **بجير** " أصحابه عما يرون فقالوا : نرى خيلا شماطيط ليس معها رماح . قال أولئكم بَنُو يَرْبُوع رماحهم عند آذان الخيل . إياكم والموت الزؤام فاصبروا فَمَا قوتلتم منذ هذا اليوم إلا الساعة .
فلحق بنو يربوع بإخوانهم السابقين ، و اشتد لظى الحرب و ازداد اشتعالها ، ثم طعن أحدهم " **بجَيْرا** " فأرداه عن فرسه فوثب عليه كدام بن بجيلة المازني فأبصره " **قعنب بن عتاب** " و هو في يد كدام فحمل عليه فأراد كدام منعه فقال " **قعنب** " : ماز رأسك والسيف .(١)

فخلى عنه كدام فضربه " **قعنب بن عتاب** " فأطار رأسه ، و انهزم بنو عامر واستنقذت بنو يربوع أموال بني العنبر و سبيهم من بني عامر .

اليوم الثاني عشر : " **يوم ذي بهدى** " على وزن " **سكرى** " بالباء المنقوطة من تحتها بواحدة والدال المهملة.
كان بين " **تغلب** " و " **بني سعد بن تميم** " و كان على " **تغلب** " (٢)

---

(١) أي : يا مازِنُّ رأسَك والسيف . (المراجع السالفة الذكر في الصفحة السابقة رقم (٤) .
(٢) مجمع الأمثال ص ٤٢٤ .

اليوم الثالث عشر : " **يوم سَفَار** " : بالسين المهملة والفاء والراء المفتوحة ، و سفارِ في الأصل اسم بئر مبني على الكسر مثـــــل " قَطَامِ ، و حَذَامِ " . و كانت الوقعة فيه بين " **بكر بن وائل و تميـم** " قال الفـــرزدق :

مَتَى مَا تَرِدْ يَوْماً سَفَارِ تَجِدْبِهَا   أُدَيْهِمَ يَرْمِي المُسْتَجِيرَ المُعَوَّزَا(1)

اليوم الرابع عشر : " **يـوم الضَرِيَّة** " : و هي قرية لبني كلاب علـى طريق البصرة إلى مكة .

اختلف " سعد " والرِّباب على بني " حنظلة " و كان بنو عامر بـــن تميم حالفت بكر بن وائل وانضمت إليها " حنظلة " ضد " سعـــد " والرَّباب فساروا إلى " عمرو بن تميم " فردوهم و حالفوهم ثـــــم جمعوا " لسعد " و " الرباب " و رئيسهم يومئذ " ناجية " بـــــن عقال ، و رئيس " سعد " و الرِّباب " قيس بن عاصم " ، فقال " ابـــن خفاف " لـ " **سعد والرِّباب** " : من لعيال عمرو و حنظلة إن قتلتم قاتلهم ؟ قالوا : نحن ، قال : فمن لعيالكم إن قتلوا قاتلكـــم ؟ قالوا : هم . قال : فدعوهم لعيالهم و ليدعوكم لعيالكم ، و تَكَلَّـم الأهتم بذلك و رجال من آشراف " سعد " ، و ساروا إلى " عمـــــرو" و " حنظلة " إلى النسار " من حمى " ضـرية " فأجابهم " ناجيـــة " بن عقال ، و " القعقاع " بن معبد بن زرارة ، و " سنان " بن علقمة بن زرارة إلى الصلح ، و أبى ذلك " مالك " بن نويرة ثم اصطلحـــوا و في ذلك الصلح يقول الفرزدق مفتخرا :

---

(1) المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

وَنَحْنُ كَفَفْنَا الحربَ يومَ ضَرِبَّــةٍ   وَنَحْنُ مَنَعْنَا يومَ عَيْنَيْنِ مِنْقَرا(١)

اليوم الخامس عشر : " يوم الكَحَيْل " : على وزن " هُذَيل " : يـوم لبنى " سعد " و بنى " عمرو " بن حنظلة ، و فيه يقول " نقيـع بن سالم الحجازى :

والخَيْلُ يَوْمَ كُحَيْلٍ رَجْلَةً إِذْ غَدَتْ   مِنْ كُلِّ فَاتِحَةٍ يَجِئْنَ رِعَــالاَ

اليوم السادس عشر : " يوم نجران " : " للأقرع " بن حابس فـى قومه بنى تميم ، على اليمن هزمهم و كانوا (٢) أخلاطا ، و منهـم الأشعث بن قيس ، و أخوه ، و منهم ابن ناكور الكلاعى الذى اعتـق فى زمن عمر بن الخطاب " رضى الله عنه " أربعة آلاف أهل بيـت فى الجاهلية أسروا " (٣)

اليوم السابع عشر : " يوم مزيـق " : " لسعد تميم على " عامر بن صعصعة " . (٤)

اليوم الثامن عشر : " يوم الزخيخ : بالزاى والخاء بن المعجتيـن و كان هذا اليوم " لتميم " ، على اليمـن " . (٥)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٣٦ ، بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب، جـ ٢ ، ص ٧٤ ، ٧٥ .
(٢) مجمع الأمثال ص ٤٣٦ . و كذا بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب جـ ٢ ، ص ٦٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤٣ . (٤) مجمع الأمثال ، ص ٤٤٣
(٥) المرجع السابق ، ص ٤٤٣ .

اليوم التاسع عشر : يوم الوتـدة : و يقال " الوتدات " علـى الجمع و يقال أيضا ليلة " الوتدة " و كان هذا اليوم لبنى " تميـم على " عامر بن صعصعة " .[1]

اليوم العشـرون : يوم الكُلاب الأول .[2] ، و كان هذا اليوم " لسلمة" بن الحرث بن عمرو المقصور ، و معه " بكر بن وائل " ، و " حنظلة بن مالك ، و بنو " أسيد " و طوائف من بنى " عمرو " ابن تميـم و " الرباب " . و لم يكونوا ذلك اليوم يدعون " ربابا " وإنمـا تربَّبوا بعد ذلك . فقتل " شرحبيل " ، قتله أبو حنش عاصم بـن النعمان الجشمي ، و يقال قتله " ذو السُّنَيْنَة " حبيب بن عتبة الجشمي كانت له سن زائدة ، و هو أخو " أبى حنش " لأمه " سلمى " بنـت عدى بن ربيعة (أخى مهلهل)

اليوم الحادي والعشرون : " يوم الكُلاب الثاني " [3] و هذا اليـوم لبنى " تميم " ، و بخاصة " بنو سعد " و "الرباب " ، رئيسهـم " قيس بن عاصم " ، على قبائل مذحج و كانت قبائل مذحج نحـو اثنى عشر ألفا رئيسهم " يزيد بن المأمور " و هم : " مذحـج " ، و " همدان " ، و " كندة " . و فى هذا اليوم أسر " عبد يغوث " بـن وقاص الحارثى ، و هتم فم " سنان " بن سمى بن سنان ، بعد أن أسر

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٤١ .

(٢) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، ج ٢ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

رئيس كندة هتمة " قيس بن عاصم " بقومه و يسمى ذاك اليوم أيضـــا يوم " جز الدوابر " . و لم يشهده من " تميم " إلاّ الرباب و "سعد " خاصة ، و كان الفناء من الرباب " للتميم " ، و من " سعد " لمقاعس.

هذه الأيام هي ما استطعت جمعه من الروايات المختلفة ، و قد كان النصر فيها حليف هذه القبيلة الكبيرة العدد، المهابة الجانب ، التى لعبت دورا بارزا فى تاريخ العرب فى عصر سبق الإسلام . فقــد كان أهل فارس - كما مرّ بنا - يهابونها ، و يتوددون إليها مستميليــن إياها ، ليأمنوا غاراتها المتكررة و قد رأينا أنهم قد صالحوهـــا ، و عاهدوها ، أن تكون الردافة لها .

و لأن أيام تميم عديدة ، فقد ذكرت فيما سبق الأيام التـــي حالفها فيها النصر والتوفيق ، و حاولت عرضها بإيجاز شديـــد موضحا أسبابها و نتائجها .

و سوف أحاول فيما تبقى من هذا الفصل أن أعرض لذكر الأيـــا م التى لم يحالف التوفيق فيها " تميما " ، بل خسرتها قبيلتنا أمـام أعدائها ، الذين اصطدمت بهم و اصطدموا بها .

و إن كانت هذه القبيلة العظيمة ، قد خسرت أياما ، أمــــام أعدائها فلن يغض هذا من قيمتها ، و من شهرتها فالحرب - كمـــا نعرف - سجال ، فيها المنتصر الفرح بانتصاره ، و فيها من لــــم يحالفه السداد و التوفيق ، فهو يحاول جاهدا أن يعيد مجده مـــن جديد .

الأيام التي هزمت " تميم " فيها :

اليـوم الأول : يوم " الوقيظ " : [(١)] هو المكان الصلب الذى يستنقع فيه الماء ، و أطلق على موضع . و كان هذا اليوم " لبكر " (من ربيعة) على تميم .

اليـوم الثاني : " يوم الغبيط " [(٢)] والغبط : و يسمى غبيط المدرة: أرض لبنى يربوع و يسمى هذا اليوم أيضا بيوم " الثعالب " و يــــوم " أعشاش " ، و يوم " صحراء فلج " .

اليوم الثالث : " يوم قشاوة " : [(٣)] و " قشاوة " : موضع . و كان هذا اليوم لشيبان (من بكر) على " يربوع " (من تميم) .

اليوم الرابع : يوم زبــالة : [(٤)] و زبالة : منزل بطريق مكة إلى الكوفة و هذا اليوم لبنى " بكر " بن وائل و خاصة بنى " شيبان " و بنـــــو " تَيّم الله " و رئيسهم " بسطام " على بنى " تميم " و رئيسهـــم " الأقرع بن حابس " أسر فيه الأقرع و أخوه فراس فاستنقذهما ... " بسطام " بعد أن حكم عليه " عمران " بن مرة بمائة ناقة .

اليوم الخامس : " يوم مبايض " : [(٥)] " و مبايض " : ماء من مياه بنـــى تميم ، و كان هذا اليوم " لشيبان " (من بكر) على " تميم " . و فـــى

---

(١) النقائض : ص ٣٠٥ ، سبائك الذهب ص ١١٥ ، أيام العرب فــــــى الجاهلية ص ١٧٠

(٢) النقائض ص ٧٥ ، ١١٣٢ . المرجع السابق ص ١٩٧ .

(٣) النقائض ص ١٩ ، أيام العرب فى الجاهلية ص ٢٠١

(٤) النقائض ص ٦٨٠ ، بلوغ الارب ج ٢ ص ٧١و أيام العرب فى الجاهلية٢٠٦.

(٥) العقد الفريد جص٢٠٨-٢١ ، أيام العرب فى الجاهلية ص٢٠٨، مجمع الأمثال - للميداني . ص ٤٤٢ .

هذا اليوم يقول بعض بني شيبان :

و لَقَدْ دَعَوْتَ طريفُ دعوةَ جاهِلٍ	غِرٍ و أَنْتَ بِمَنْظَرٍ لا تعلـــــمُ
و أتيتَ حيّاً في الحروب مَحَلُّهُمْ	والجَيْشُ باسمِ أبيهِمُ يُسْتَقْـــدَمُ
فوَجَدْتَ قوماً يَمْنَعُونَ ذِمارَهُـــمْ	بُسْلاً إذا هابَ الفوارِسُ أَقْدَمُــو ا
و إذا دَعَوْا بِبَني رَبيعَةَ شَمَّــرُو ا	بِكَتيبَةٍ مِثْلِ النُّجومِ تَلَمْلَـــمُ
حَشَدُوا عَلَيْكَ و عَجَّلُوا بِقِراهُـــمْ	و حَمَوْا ذِمَارَ أَبيهِمُ أَنْ يَشْتَمُوا
سَامُوكَ دِرْعَكَ و الأَغَرَّ كِلَيْهِمَـــا	و بَنُو أُسَيْدٍ أَسْلَمُوكَ و خَضَّـــمُ

والشاعر هنا يعرض لطريف العنبري الذى قتل فى هذا اليوم .

اليوم السادس : يوم الزَّوْرَيْنِ :[1] والزَّوْران : بعيران ، و قيل همـــا بكران مجللان .

و هما مثنى الزَّوْر و هو كل شيء يتخذ ربا ويـ عبد من دونه تعالـــــى

و كان هذا اليوم لبكر (من ربيعة) على تميم و فيه يفخر الأعشـــى

و يقول :

يا سَلْمُ إنْ تَسْأَلي عَنَّا فلا كُشُفٌ	عِنْدَ اللقاءِ و لَسْنا بالمَقارِيـــفِ
نَحْنُ الَّذين هَزَمْنا يومَ صَبَّحَنـــا	جيشَ الزَّوْيَرَيْنِ فى جَمْعِ الأَحاليـفِ
ظَلُّوا وظَلَّتْ تَكُرُّ الخيلُ وَسْطَهُمْ	بالشِّيبِ مِنَّا و بالمُرْدِ الغَطاريـــفِ

إلى آخر ما قال مفتخرا بأحداث هذااليوم .

---

(١) مجمع الأمثال ص ٤٤٣ . أيام العرب فى الجاهلية ص ٢١٢ .

اليوم السابع : " يوم رحرحان " : [1] الراءان غير معجمتين و كذلك و كذلك الحاءان ، و هو على وزن " زعفران " أرض قريبة من عكاظ (وقيل جبل من عكاظ) كان هذا اليوم لعامر على " تميم " . و جاء في مجمع الأمثال (قالوا هما يومان ، الأول كان بين بني دارم "وبني عامر بن صعصعة ، والثاني بين بنيتميم و بني عامر .

قال النابغة الجعدي :

هَلَّا سألتِ بيَوْمَيْ رَحْرَحَانَ و قد ظَنَّتْ هوازِنُ أنَّ العِزَّ قد زالا

اليوم الثامن : " يوم شِعْب جَبَلة " : [2] و جَبَلَة : جبل طويل له شعب عظيم واسع ، لا يُرقى الجبلُ إلا من قِبَله . كان هذا اليوم لعامر (من قيس) و حلفائهم من (عبس) على " تميم " و حلفائهم من "ذبيان " و أسد وغيرهما .

و سبب ذلك اليوم أن الحارث بن ظالم المُرِّي الذبياني ، قاتل "خالد بن جعفر الكلابي العامري و التجأ إلى معبد بن زرارة التميمي شطرا من أيام هربه فأجاره . وعلمت بذلك " عامر " فغزت بني تميم يوم " رَحْرَحَان " و فيه أسر " معبد " و أبت " عامر " فيه إلا دية الملوك و أبى أخوه " لقيط " دفعها عملا بوصاة أبيهما زرارة حتى لا تذؤب بهم ذؤبان العرب .

---

(1) النقائض : ص ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ج ١ ، مجمع الأمثال ص ٤٣٢ ، أيام العرب في الجاهلية ص ٣٤٤ .

(2) النقائض : ص ٦٥٤ ، ج ٢ ، العقد الفريد ج ٥ ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ . تاريخ الأدب العربي - في العصر الجاهلي - السباعي بيومي ص ٣٧ ، ٣٨ .

و مات " معبد " فى أسره هزالا لحبسه نفسه عن الطعام والشراب . ثم انضمت " ذبيان " لتميم و غزوا " عامرا " ، و قد انضمت إليهما عبس ، لما كان بين " عبس " و " ذبيان " فى " داحس " و الغبراء فالتقى الجمعان فى " شِعْب جَبَلة " و هو من أعظم أيام العرب، لكن الدائرة دارت على " تميم " ، فقتل لقيط و لحق تميما من ذلك ضعف كبير .

اليوم التاسع : يوم " جزع ظلال " :(١) " و جزع ظلال " موضع . و هذا اليوم كان " لفزارة " (من قيس) على تميم .

أيام متفرقات :

و هناك بضعة أيام متفرقات ، وجدتها فى سبائك الذهب ، و مجمع الأمثال ، أوردها موجزة فى هذا المقام .

اليوم الأول : " يوم أقرن " : (٢) و هو ، لبنى " عبس " على بنى " تميم " و بخاصة بنو مالك بن حنظلة ، وفى هذا اليوم قتل عمرو بن عمرو بن عدس ، و ابنه " شريح " ، و أخوه ربعى . و كان " عمرو بن عمرو بن عدس " ، خرج مراغما للنعمان بن المنذر ، فسبى سبيا من " عبس " و غنم مالا ، و ابتنى جارية من السبى ، فأدركته " عبس " فكان من أمره ما كان .

---

(١) النقائض : ص ٣٠٢ ، ١٠٦٧ . أيام العرب فى الجاهلية ص ٣٧٣ .

(٢) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، ج ٢ ، ص ٧١ .

اليوم الثانـــي: " يوم النِّســار " (١) و " النِّســار " : جمال صغيــــرة كانت الوقعة عندها ، وقال بعضهم هو ماء " لبنى عامر " ، و كان هـــذا اليوم بين " بنى ضبة بن أد " ، و بين " تميم بن مــرة " .

اليوم الثالـث : " يوم الجفــار " (٢) والجفار : ماء لبنى تميم ينجد ، و كان هذااليوم بعد "النسار " بحول : و كان بين " بنى بكــر " و تميم و صبرت " تميم " فى ذلكاليوم و عظم فيها القتــل .

اليوم الرابـع : " يوم السِّــتار " :(٣) بالسينالمكسورة غير المعجمـــة والتاء المنقوطة باثنين من فوقها . كان بين " بنى بكر بن وائل " و بيـن " بنىتميم " قتل فيه " قيس بن عاصم " و " قتادة " ابن سلمة الحنفـــى فارس بكر .
و السـتار : جبــل .

اليوم الخامـس : " يوم ذى أُرَاطـي " : (٤) و هو بين " حنيفة " و حلفائها من بنى جعدة و بين بنى تميـــم .

---

(١) سبائك الذهب ، ص ١٠٦ ، مجمع الأمثال ص ٤٣٠ .
(٢) سبائكالذهب ص ١٠٩ ، مجمع الأمثال ص ٤٣٠ .
(٣) مجمع الأمثال ، ص ٤٣٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٣٤ .

اليوم السادس : يوم العُظالي : (١) بضم العين والظاء المعجمة : سمى بذلك لأن الناس فيه ركب بعضهم بعضا ، و يقال : سمى لتعاظلهم على الرياسة ، و هو الاجتماع والاشتباك ، و قيل : بل لأنه ركب الاثنان والثلاثة الدابة الواحدة . و هو آخر رقعة كانت بين بكر بن وائل و " تميم " في الجاهلية .

اليوم السابع: " يوم الكُفافة " : (٢) بالضم و هو اسم ماء بين بني فزارة " و بني " عمرو بن تميم " .

اليوم الثامن : " يوم أُوارة " : (٣) و هو اسم ماء كانت به وقعة بين " عمرو بن هند " و بين " تميم " .

و همزة أوارة مضمومة . و فيه أن عمرا اللخمي بَنَّى زرارة بن عدس ابنا له يقال له " أسعد " فلما ترعرع رمى ناقة كوعاء سمينة في ضرعها فشد عليه ربها " سويد أحد بني عبد الله ابن دارم فقتله . و كانت طيء تحمل في صدرها غلا على " زرارة " و كان " زرارة " هذا ذات يوم عند عمرو و كتمه خبر موت ابنه " أسعد " فأراد "عمرو بن ملقط الطائي " أن يحضض عمرا على زرارة فقال :

مَنْ مُبلِغٌ عَمْرًا بأنّ المَرْءَ لمْ يُخلَقْ صُبَارَةْ
و حوادثُ الأيّامِ لا يَبْقَى لَهَا إلاَّ الحِجَارَةْ

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤٥ ، ٤٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .

(٣) النقائض ص ٦٥٢-٦٥٤، الاشتقاق لابن دريد ص ٣٨٥، مجمع الأمثال ص ٤٣٨ .

هَا إِنَّ عَجْزَةَ أُمِّهِ بِالسَّفْحِ أَسْفَلَ مِنْ أُوَارَةْ
تَسْفِي الرِّيَاحُ خِلَالَ كَشْحَيْهِ وَ قَدْ سَلَبُوا إِزَارَهْ
فَاقْتُلْ زُرَارَةَ لَا أَرَى فِي الْقَوْمِ أَوْفَى مِنْ زُرَارَةْ

و قد كان حلف ليقتلن منهم مائة.قال : فجاء حتى أناخ على أوارة و قد نُذروا به ففروا ، فأقام حتى قتل تسعة وتسعين قال : فجاء رجل من البراجم شاعر ليمدحه فقتله ليوفى به نذره و ليتم به نذره و ليتم به المائة ثم قيل : إِنَّ الشَّقِيَّ راكبُ البَرَاجِم "
فذهبت مثلا و قال الأعشى :

وَتَكُونُ فِي السَّلَفِ المُوَازِي مِنْقَرًا وَ بَنِي زُرَارَةْ
أَبْنَاءُ قَوْمٍ قُتِّلُوا يَوْمَ القُصَيْبَةِ أَوْ أُوَارَةْ

و قال جرير ينعى عليهم ذلك :

أَيْنَ الَّذِينَ بِسَيْفِ عَمْرٍو قُتِّلُوا   أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فِيكُمُ المُسْتَرْضَعُ

اليوم التاسع : "يوم ضُبَيْعات " : [(١)] هي ماء نهشتعنده حية ابناصغيرا للحارث بن عمرو و كان مسترضعا فى بنى " تميم " ، و " بنو تميم " و بكر يومئذ فى مكان واحد ، فاتهمهما الحارث فى ابنه فأتاه منهما قوم يعتذرون إليه فقتلهم جميعا ، و لهذا اليوماتصال بيوم " الكلاب ".

اليوم العاشر : يوم " الضَّبيب " : [(٢)] بين " بكر بن وائل " و بين " عمرو بن تميم " .

---

(١) مجمع الأمثال : ص ٤٣٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

اليوم الحادي عشر : " يوم ظهـر " :[1] بين بني عمرو بن تميم و بنـي حنيفة .

اليوم الثاني عشر : يوم ذي ذرائح :[2] و " الذريحة " الهضبة و جمعها ذرائح ، و كان بين بني " تميم " واليمن و لم يكن بينهم حـرب ، و تصالحوا .

اليوم الثالث عشر : " يوم مَلْهَم " :[3] موضع كثير النخل : و كـان هذا اليوم بين " تميم " و بني " حنيفة " .

ايوم الرابع عشر : " يوم خُوَىّ " :[4] و هو تصغير خَوٍ يوم بين تميـم و " بكر " بن وائل و هو اليومالذى قتل فيه يزيد بن القحاوية فـارس تميـم .

اليوم الخامس : " يوم ذي أحثال " :[5] بفتح الهمزة والحاء غيـر المعجمة والتاء المنقوطة بثلاث . يوم " بين " تميم و بكر بن وائـل ، أسر فيه الحوافزان بن شريك قاتل الملوك .

---

(١) المرجع ا لسابق ، ص ٤٣٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٢٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٤٠.

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٤٠ .

(٦) مجمع الأمثال ، ص ٤٤١ .

اليوم السادس عشر : " يوم الهـزبر " : [١] بين " بكر و " بنى تميم " قتل فيه " الحارث بن بيتـة المجاشعى " .

اليوم السابع عشر : يوم الفروق و يوم دأب : [٢] و كلاهما " لعبس " على " سعد " تميم .

هذه كلها هى أيام قبيلة " تميم " و غزواتها و حروبها ، و قـد وجدت أن غزوات القبيلة و حروبها ، كانت تحدث لأسباب اقتصاديـة معيشية أحيانا ، و لأسباب اجتماعية تتعلق بشرف القبيلة و سيادتهـا و الثأر لجار استنجد بها أو طلب حمايتها .

و لا شك أن لهذه الأيام أثرها البالغ فى اللغة و الأدب ، فقد كان الشعر كما يقول الأستاذ السباعى بيومى " ديوانهم الذى إليه يحتكمـون و به يفتخرون فقد فاض عليه من الأيام ما لولاه لغاض معينه ، و صـوح نبته فلم نره كما نراه الآن ، تلك الروضة المعطاء ، ذات الغصـون الناضرة ، والأطيار الشادية ." [٣]

و هذه حقيقة لا مراء فيها و لا سبيل إلى التشكيك فيها .

" فقد حببت الحرب إلى نفوس العرب - و هى طبيعة فيها - صفـة الشجاعة والنجدة والبأس والقوة ، بقدر ما بغضت إليهم الخور والضعف والجبن والهلع ، فكانوا فى حضهم عليها ، و اصطلائهم نارهـا ، و انتشائهم بلذة الظفر فيها يقولون شعر الحماسة والفخر ، يحرك مـن

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٤١ . (٢) المرجع السابق ص ٤٤٣ .
(٣) تاريخ الأدب العربى فى العصر الجاهلي السباعى بيومي ص ٤٢ .

القلوب الضعيفة ، و يهون الموت على الأحبة . ثم ينثنون إلى بكاء قتلاهم وتعداد بلائهم تخليدا لمآثرهم ، و ذكراهم " .(١)

و هكذا يرى الأستاذ / السباعي بيومي أن معظم أغراض الشعر التي طرقها الشعراء الجاهليون ، قد لعبت الأيام أهم أسبابها ، و دوافعها .

و هذا ما يظهر جليا واضحا عندما نرى الجاهلين يصفون الليل ، والخيل ، والنوق ، و أسماءها ، و صفاتها ، و تفضيلهم لها ، و أظن أن ما دفعهم إلى العناية بها كل العناية سوى أيامهم ، و رجائهم أن يوفقوا في هذه الأيام على أعدائهم .

بل ربما يذهب الأستاذ السباعي بيومي إلى أكثر من ذلك فلا يوافق على ما كانوا يقولونه عن نظرية الأنساب . من أن الرجل كان يسمى أبناءه بأول ما كان يقابله في الطريق من حيوان أو غيره ، بل يقول : " و هل أقدمت العرب على تسمية قبائلها و بطونها ، و أولادها ، و فتيانها بأسماء الحيوان " كأسد " ، و " فهد " ، و " نمر " و ذئب " . ثم من غير الحيوان ، كحجر ، و صخر و " جشم " ، و " عبس " إلا محبة لتلك الأسماء ، و تفاؤلا لبنيهم أن يكونوا من صفات ذواتها على كمال ، فيحموا الحوزة ، و يدفعوا عن العشيرة ، و يكونوا للحرب أهلا ، و لمقارعة الأبطال كفاء" .(٢)

و إن كان هذا هو رأي الأستاذ السباعي بيومي فإن للدكتور شوقي ضيف رأيا يعطينا دلالة على مدى تقديس القبائل العربية للحرب فيقول :

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

فكل قبيلة مستعدة دائما للحرب ، والجلاد و الإغارة ، على من حولها من البدو ، و الحضر ، و هي دائما شاكة السلاح حتى تحمي حماها و منازلها ، و آبارها ، و مراعيها ، و لذلك كانت الشجاعة مثلهم الأعلى ، فدائما يفتخرون ببطولتهم و بعدد من قتلوا في حروبهم ، حَسْبَما يدور في أشعارهم ."(١)

و يتحدث أستاذنا الدكتور / شوقي ضيف عن هذه القبائل في موضع آخر فيقول :

" فهم طعام السيوف ، يطعمونها أعداءهم ، و يطعمهم أعداؤهم لها في غير نكران ، فهم دائما واترون ، موتورون ، و حياتهم مقسومة على هذين الحدين ، وإلى هذين الشطرين ، و لم يكونوا يرهبون شيئا مثل الموت حتف الأنف ، بعيدا عن ميادين القتال ، ميادين الشرف ، والبطولة حيث يموتون طعنا بالسيوف والرماح ، و حيث تتناثر أشلاؤهم ، و تأكلها السباع " (٢)

و يذكر الدكتور شوقي ضيف كثيرا من أيام العرب التي دارت بين القبائل المختلفة و يذكر من أيام " تميم " والتي مرت بنا من قبل في هذا الفصل على سبيل المثال " يوم شِعْب جَبَلة " ، و " يوم أُوَارة " ، و " يوم الكُلاب الأول " و " يوم الكُلاب الثاني " و " يوم الوقيط " و يوم جَدُود ، و ذي طلوح ، والغبيط ، و زبالة ، و مبايض ، الجفار ، و الرحرحان ، والصرائم ، والمُرُوت والنسار " (٣)

---

(١) تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي - د. شوقي ضيف ص ٦٢ .
(٢) المرجع السابق - ص ٦٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

وإلى جانب هذا كله فقد عقد د. شوقي ضيف فصلا في كتابه (العصر الجاهلي) تحدث فيه عن فرسان العرب ، و تقديسهم للفروسية ، و اهتمامهم البالغ بها .[1]

وإلى جانب الأستاذين السابقين نجد الأستاذ عمر الدسوقي يحدثنا عن " الفتوة عند العرب " في مؤلف خاص بها يتحدث فيه عن نشأة الفترة فيقول :

" نشأت الفتوة عند العرب نشأة طبيعية في الصحراء الشاسعة كما تنبت الأزهار البرية ، العبقة الشذا ، في مجرى السيل على سفح الجبل ، فالصحراء قد فرضت على العرب أخلاقا خاصة ، وألزمتهم بتقاليد لا يستطيعون عنها حولا ، صارت لهم على مر السنين جبلة ، و طبيعة ، و فطرة ، و صارت عنوانا لهم بين العالمين ".[2]

و رجل يعيش في بيئة هذه هي حالاتها من الخشونة ، والقسوة ، لابد و أن تنطبع نفسه بانطباعاتها ، و تشرب روحه من قسوتها ، فالإنسان - كما نعلم - وليد بيئته و ربيبها ، منها يستمد ، وعليه تؤثر خطوطها العامة و تنعكس كل أحوالها .

و في ذلك يقول الأستاذ عمر الدسوقي : " فهذه الطبيعة الخشنة قد انعكست على نفس العربي قوة ، و صرامة ، و جلدا ، لا يرهبها ، و لا تتضعضع نفسه أمام جبروتها لا يخشى الليل و رهبته ، و لا يفزع من السفر و شدته و قسوته ، و ما هو إلا أن يقدم على أمر فلا يرده عن

---

(١) المرجع السابق ، من صفحة ٣٦٦ - ٣٧٤ .
(٢) الفتوة عند العرب (أو أحاديث الفروسية والمثل العليا) للأستاذ عمر الدسوقي ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ص ٢١ .

عزيمته شيء مهما عظم " .[١]

و المعارك بين القبائل العربية القديمة ، والتي زادت زيادة واضحة و بالغة يرجعها الأستاذ عمر الدسوقي إلى سببين :

- فتكون إما دفاعا عن العرض .
- أو تكون ذودا عن الحرمات .

يقول الأستاذ / عمر الدسوقي : " إن بيع النفوس رخيصة في ميدان القتال دفاعا عن العرض ، أو ذودا عن الحرمات ، هو أقصى ما تصل إليه النفس الإنسانية في شجاعتها ، و هو أكبر دليل على إيمان ثابت بمصير النفس الإنسانية و تكريمها " .[٢]

وإلى جانب السببين السابقين نجد هناك التقاتل على الماء ، والمال ، و الغنيمة يقول د. عمر الدسوقي في ذلك أيضا : " كانوا يقتتلون على الماء و الغنيمة ، و القتال على الماء و الغنيمة قانون الفطرة في بقاء الأصلح ، و كانت العصبية القبلية شديدة بينهم "[٣] معارك كثيرة ، لأسباب عديدة ، و مختلفة ، تترك كل معركة من خلفها معارك من خلفها معارك و ثارات ، و كانت كل معركة تستتبع ثأرا ، و كل ثأر يلد معركة ، والثأر كان حق الأبناء للآباء أو حق الآباء للأبناء ، أو المرء لعشيرته و ذويه ، أو القبيلة لأفرادها المدافعين عنها حتى لا تهان،

---

(١) المرجع السابق . ص ٢١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٥

و تستذل ، و تستأصل . و لولا الحروب على الثأر ما استرجع المهزوم مكانه من النصر بعد الهزيمة ، و ما شفى الموتور صدره من حفيظة الوتر ، و ما أخذ الوافون بالود حقوق الذاهبين من خلانهم ، و حلفائهم ، و إخوتهم ، فلا تذهب الجناية بدون قصاص ، و لذلك كثرت حروبهم و تعددت أيامهم .(١)

فلا عجب أن تخلق فيهم هذه الأيام - بأهوالها ، و قسوتها ، و شدة نارها - الشجاعة ، والإقدام ، و هذه كلها من الصفات التي توارثها العرب عن آبائهم و أجدادهم .

يتحدث الأستاذ / عمر الدسوقي عن هذه الصفة التي امتلك العرب ناصيتها فيقول :

" هذه هي الشجاعة العربية ، التي تحلّى بها فتيانهم ، و كانت من أبرز صفاتهم ، شجاعة فيها قوة ، وتحد للمنية ، و فيها دربة ، و تفوق في استعمال الأسلحة المختلفة ، و فيها إنسانية و كرم ، و انصاف للأعداء ، و وفاء للوعد . و قد ظلت هذه الفضيلة السامية ميزة للجنس العربي في شتى الأقطار التي نزح إليها بعد الفتح الإسلامي ، و لم يفقدها إلاّ بعد أن تضافرت عوامل عدة على إضعافه ، و إفساد نفسيته ، و بعد عهده بالصحراء والبيئة الطبيعية له " .(٢)

و بعد هذه هي أيام قبيلة " تميم " جمعتها من مصادرها

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

المختلفة و مظانها المتعددة . و رتبتها حسب ما كان لتميم ، ثـــم ما كان عليها ، ثم جاء بعد ذلك ذكر للأيام المتفرقات .

ثم ختمت الحديث عن هذه الأيام بآراء لنقاد ، و أدباء محدثيـــن كالأستاذ / السباعي بيومي ، والدكتور / شوقى ضيف ، و الأستاذ / عمر الدسوقي .

و بعد فإننى أرى بعد أن تحدثت عن كل ما يجب التحدث عنه فيـــا يخص قبيلة تميـــم فى الجاهلية ، أن أنتقل إلى الشاعر - موضوع البحث - إلى علقمة بن عبدة " . لأتناول بالدراسة حياته ، و بيئته ، و شخصيته .

الفصل الثاني

التعريف بعلقمة و حياته

- اسمه و نسبه .
- نشأته .
- أسرته .
- مكانة علقمة و قيمه شعرة فى كتب الأدب
- شخصيته .
- وفاته .

الفصل الثاني

" التعريف بعلقمة و حياته "

اسمه و نسبه :

تكاد الروايات كلها تجمع على أن علقمة هو :

" علقمة بن عَبَدة " بفتح الباء " بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة (الجوع) بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ".(١)

و إن كان اليعقوبي في تاريخه ذكر أنه " علقمة بن عبدة بن ناشر ..... الخ . " و أسقط النعمان من سلسلة نسبه .(٢) ثم ذكر عبد " بدلا من " عبيد " ، فقال : " ابن ناشرة بن قيس بن عبد " (٣)

---

(١) الأغاني : لأبى الفرج الأصفهاني . منشورات دار مكتبة الحياة - دار الفكر بيروت ١٩٥٧ ، جـ ٢١ ، ص ٢٦١ ، و كذلك المفضليات ص ٣٩٠ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، جـ ١ ، ص ٢١٩ .

(٣) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٩ .

و لعل ذلك تصحيف

قال عنه الآمدى فى المؤتلف و المختلف : " علقمة فى الشعراء جماعة ليسوا ممن اعتمد ذكره و لكن أذكر " علقمة الفحل " و علقمة الخصي " و هم من ربيعة الجوع - فأما علقمة الفحل فهو " علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ".(١)

و هكذا نرى الآمدى يتفق مع اليعقوبى فى إسقاط " النعمان " من سلسلة نسب شاعرنا . و كذلك يتفق معهما ابن حزم الأندلسى فى جمهرة أنسابه إذ يقول : " علقمة بن عبدة و أخوه شأس بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبدة بن ربيعة ابن مالك " (٢)

فهو يسقط أيضا " النعمان " ثم يذكر " عبدة " بدلا من " عبيد " و لا أظن أن ذلك لايكون إلا عن طريق خطأ أو تصحيف . و أيا كان أمر الاختلاف هذا ، فهو اختلاف هين لا يعد اختلافا بمعناه الصحيح .

و لقب شاعرنا " بالفحل " و سبب ذلك يختلف فيه الرواة .

---

(١) المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء و كناهم و ألقابهم و أنسابهم و بعض شعرهم للآمدى . ت ٣٧٠ هـ .
اعتنى بتصحيحه المستشرق " فرنتيس كرنكو " نشر مكتبة القدس بالقاهرة ١٣٥٤ هـ . ص ١٥٢.

(٢) جمهرة أنساب العرب : لابن حزم ، ص ٢٢٢ .

من أجل رجل آخر يقال له : " علقمة الخصي " (١)

لكن المرزباني يحدثنا عن سبب هذا اللقب فيقول عن رواية لعمرو بن شبة : " تنازع امرؤ القيس بن حجر و علقمة بن عبدة و هو علقمة الفحل في الشعر أيهما أشعر ، فقال كل واحد منهما : أنا أشعر منك . فقال علقمة : قد رضيت بامرأتك أم جندب حكما بيني و بينك . فحكّماها فقالت أم جندب لهما : قولا شعرا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة ، و روى واحد فقال " امرؤ القيس " :

خليليَّ مُرَّا بي عَلَى أمِّ جُنْدُبِ نُقَضِّ لُبانَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ

و قال علقمة :

ذَهَبْتَ مِنَ الهِجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبِ وَ لَمْ يَكُ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ

فأنشداها جميعا القصيدتين فقالت لامرئ القيس : علقمة أشعر منك قال : و كيف ؟ قالت : لأنك قلت :

فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ و لِلسَّاقِ دِرَّةٌ و لِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ

(الأخرج : ذكر النعام . و المخرج : بياض في سواد . و به سمي) .
فجهدت فرسك بسوطك في زجرك ، و مريته فأتعبته بساقك .
و قال علقمة :

فَأَدْرَكَهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ يَمُرُّ كَمَرِّ الرَّائِحِ المُتَحَلِّبِ

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه ، لم يضربه بسوطه و لم يتعبه . فقال : ما هو بأشعر منّي و لكنك له عاشقة . و طلقها . فخلف عليها علقمة

(١) المؤتلف والمختلف للآمدي ، ص ١٥٢ .

فسمّى "الفحل" .(١)

ثم يورد المرزباني روايات أخرى تؤيد ذلك غير رواية عمرو بن شبة يورد لأبي عمرو الشيباني ، و كذلك يأتي برواية أخرى عن " أبي الغول النّهشلي " عن " أبي الغول " الأكبر ، و كلها تتفق في نتائجها و سردها لهذه القصة إلاّ أن بعض هذه الروايات يعلل حكم أم جندب لعلقمة على زوجها بأنها كانت تكره امرأ القيس لأنه كان مفركا تكرهه النساء إذا وقع عليهن ، بل يذكرون إنها صارحته بكراهيتها له حين أخبرته ذات ليلة و قالت : " يا خير الفتيان أصبحت فقم " فقام فإذا الليل كما هو ، فرجع إليها فقال : " ماحملك على ما صنعت ؟ قالت : لا شيء . قال : لتخبريني . قالت : كرهتك لأنك ثقيل الصدر خفيف العجز ، سريع الهراقة ، بطيء الإفاقة " .(٢)

تلك الروايات المختلفة للمرزباني يوضح لنا فيها سبب تلقيب علقمة بالفحل .

و إذا ما تتبعنا الروايات المختلفة وجدنا أبا الفرج الأصفهاني في أغانيه يوافق المرزباني في هذا تماما .(٣)

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء : لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، ت : ٣٨٤ هـ . نشر جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة . المطبعة السلفية و مكتباتها ١٣٤٣ هـ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٣) الأغاني ج لأبي الفرج الأصفهاني ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

و يورد هذا الخبر ، " لويس شيخو " فى كتابه : شعراء النصرانية[١]
و مما تقدم يتضح لنا أن علقمة ينتسب إلى ربيعة " و تسمى
ربيعة الكبرى وهو ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . والذى يلقب
بربيعة الجوع .[٢]

إلاّ أن ابن دريد يذكر و هو بصدد حديثه عن الشاعر أنه من بنى
مالك بن حنظلة[٣]. وهذا خطأ لأن ربيعة بن مالك بن حنظلة بن
مالك بن زيد مناة هو ربيعة الصغرى ، و لهم أيضا ربيعة الوسطى
و هو ربيعة بن حنظلة بن مالك بن حنظلة "[٤]

و إن كان ابن دريد قد ذكر ذلك خطأ فإنه فى حاشية الصفحة ذاتها
تحدث عن علقمة .. فقال : " علقمة الفحل " و " علقمة الخصىّ " من
ربيعة الجوع ......[٥]

---

(١) شعراء النصرانية . لويس شيخو ، ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ .

(٢) المفضليات : ص ٣٩٠ ، هامش الصفحة .

(٣) الاشتقاق : لابن دريد ، ص ٢١٨ .

(٤) المفضليات : حاشية ، ص ٣٩٠ .

(٥) الاشتقاق : حاشية ، ص ٢٠٨ .

و ربيعة الجوع .. كما نعلم هي ربيعة الكبرى . أما عن تلقيبه " بالفحل " فان ابن " دريد " يوافق " الآمدى " فى روايته فيقول :

" و قيل له الفحل من أجل رجل آخر شاعر من قومه يقال له علقمة الخصيّ " (١)

هذا ما ورد في الروايات المختلفة عن اسم الشاعر و نسبه. و ما قيل حول تلقيبه بالفحل من روايات مختلطة ربما لا نطمئن إليها و ان كان هناك خبر يورده الأصمعي فيقول :

" لقب بالفحل لأن كل من عارض شاعرا فغلب عليه يسمى فحلا . كما أن الشعراء الذين غلبوا من هاجاهم يلقبون أيضا بالفحول ". (٢)

و يمكن لنا أن نطمئن إلى هذا الخبر لأنه أقرب إلى المنطق ، والمعقول ، يليه ما ذكره ابن دريد ، و الآمدى . أما ما قاله المزرباني و الأصفهاني فالرد عليهما .. أننا لم نتعود من العرب فى قديمها و حديثها أن تلقب من يتزوج زوجة غيره " بالفحل " .

مولده :

لم يستطع المؤرخون والمترجمون أن يحددوا بالضبط متى ولد ولد علقمة . فكلهم يجمع على أنه شاعر جاهلي مشهور ، عاصر امرأ القيس و نازله فى ميدان الشعر ، و فضلته امرأة امرىء القيس على زوجها حين حكمت له بالتفوق فى شعره على زوجها و هى تريد إغضابه

(١) المرجع السابق : حاشية ص ٢١٨ .

(٢) فحولة الشعراء : للأصمعي ، مصر ١٣٧٢ هـ .

للظفر بعلقمة زوجا و قد كان لها ما أرادت . إذن و من هنا نستطيع القول بأن علقمة كان شابا فتيا يصغر أمرأ القيس بسنوات ليست بالقليلة مما أغرى به " أم جندب " أما أن نحدد بالضبط سنة ميلاده فهذا من العسير على الباحث أن يفعله و يمكن لي في هذا المقام أن أورد رأيا صائبا لأستاذنا الدكتور / طه الحاجري . يقول الدكتور / الحاجري و هو يتحدث عن الجاحظ :

" في هذه الظلمات الكثيفة التي ألفها الفقر و ضآلة المنبت ، والضعة الاجتماعية ، كان مولد الجاحظ و كانت نشأته . و لد مغمورا فما يدرى أحد على وجه التحقيق متى ولد ؟ و لا في أي شكل من أشكال هذه البيئات المتواضعة تنسم لحياة " . (١)

فإذا كان هذا حال الجاحظ الذي عاش في العصر العباسي بعد الإسلام بمئات السنين . فما بالنا برجل عاش في بيئة يلفها ظلام دامس كثيف يفصلها عن غيرها من الأمم المتحضرة بعدان : زماني و مكاني . و كلاهما له أثر أي أثر .

إلا أننا رغم هذا سنحاول أن نحدد على سبيل التنقيب السنة التي ولد فيها " علقمة " " فنولدكه " في كتابه : أمراء غسان ، يحدد سني حكم الحارث بن أبي شمر والذي مدحه علقمة - ما بين سنتي ٥٢٩ ، ٥٦٩ م . (٢)

---

(١) الجاحظ : حياته و آثاره . د.طه الحاجري دار المعارف بمصر الطبعة الثانية . ص ٩٠ .

(٢) أمراء غسان : لتيودور نولدكه . المطبعة الكاثوليكية بيروت - ١٩٣٣ م ، ص ٥٧ .

و إذا كان " علقمة " في قصيدته التي مدحه بها يذكر أنه رجـــل قد تعدى طور الشباب إذ يقول :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسَانِ طَـرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ (١)

والموقعة التي أسر فيها الحارثُ شأسا (أخا علقمة) هي موقعـــة " عين أباغ " والتي يحدد " نولد كه " السنة التي كانت فيها بســـنة ٥٥٤ م . (٢) نستطيع أن نقول إنّ علقمة يوم ذهب شفيعا لأَســـرى قومه عند الحارث كان في حوالي الأربعين من عمره أي " بعيـــد الشباب " كما يقول .

نقول بعد ذلك إن السنة التي ولد فيها " علقمة " ربما كانت ٥١٤م أو ٥١٥ م . هذا على وجه التقريب ، و ليس على وجه التحديد .

نشـــأته :

علقمة تميمي ، و تميم : قبيلة عربية ضاربة في ا لقدم بجـــذو ر ثابتة راسخة نزلت شرقي نجد كما هو واضح في منازل القبيلة . و نجد على ما مرّ بنا إقليم طيب الهواء ، ذا تربة خصب ، غني بزرعـــه ، و وروده ، تغنّى به الشعراء كثيرا . فها هو مجنون ليلى يذكر ذلـــك الإقليم في أشعاره ، فيقـــول :

---

(١) ديوان علقمة ، ص ٣٣ .

(٢) أمراء غسان : لنولد كه : ص ١٨ .

أقول لصاحبي و العيس تهوي ... بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

الى آخر أبياته فى ذلك (١)

نقول فى هذا الإقليم الذى يعتبر من أجمل أقاليم الجزيرة العربية و أصحها هواء ، و أطيبها شميما ، نشأ شاعرنا " علقمة بن عبدة " ، و تأثرت نفسه بهذا الجو الشاعرى الجميل ، فصفت روحه ، و سمت، فكان شاعرا قد عذبت ألفاظه ، و رقت ، فلا عجب إذ لم نر الهجاء فى شعره ، كغيره من شعراء عصره ، أو العصور التى تلته ، بل كان " علقمة " وصافا يجيد الوصف ، و يصدر فيه عن نفس إنسان هادىء الطبع ، حميد الخلق ، و سوف تكشف لنا الدراسة الموضوعية لشعره ، كثيرا من الصفات التى لم تتوفر لغيره من شعراء ذلك العصر .

أسرته :

لم يهتم المورخون لتاريخ الأدب العربى ، بأسرة شاعرنا ، فلم نر من يحدثنا مثلا عن أبيه ، وجده ، و صناعتيهما ، و أحوالهما . و لكننا من خلال تقصينا لأحواله و أخباره ، استطعنا أن نعرف أنه قد تزوج . و كانت زوجته هى " أم جندب " (زوجة امرىء القيس) من ذى قبل . لكنا لم نستطع الوقوف على أخبار أخرى تدلنا على أنه كان لعلقمة زوجات أخر غير هذه المرأة .

---

(١) الأبيات ، ص ١٠ من هذا البحث .
(٢) جمهرة أنساب العرب : لابن حزم ، ص ٢٢٢ .

كذلك لم تذكر لنا الروايات شيئا عن إخوته ، اللهم إلا ذلك

الأخ الذى يدعى شأسا " .

و " شأس " هذا هو الذى أسره الحارث بن أبى شمر الغسانى[1] .

فرحل إليه " علقمة " يستعطفه و يمدحه " ليطلق سراح أخيه . و قد

قال فيه قصيدته التى يبدأها بقوله :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فى الحِسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ[2]

هذا عن إخوة علقمة . أما عن أبنائه فإن ديوانه يذكر له ولدين هما :

علي بن علقمة ، " خالد بن علقمة " . و يذكر الديوان " لعلى " هذا

ولدا هو " عبد الرحمن " بن علي بن علقمة .

و قد ورد لهؤلاء الثلاثة شعر أثبت فى آخر الديوان[3] .

هذا كل ما يستطيع الباحث أن يحصل عليه من أخبار أسرة علقمة

من خلال كتب الأدب و التاريخ .

مكانة علقمة و قيمة شعره فى كتب الأدب :

إن ابن سلام الجمحي يعد علقمة فى طبقاته من الطبقة الرابعة

---

(١) المفضليات : حاشية ، ص ٣٩٠ ، و شعراء النصرانية ص ٥٠٤ (نقلا عن ابن الاثير)

(٢) ديوان علقمة ص ٣٣ ، المفضليات ص ٣٩١ ، مختار الشعر الجاهلي ص ٤١٨ .

(٣) ديوان علقمة ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١١ ، مختار الشعر الجاهلي ص ٤١٧ .

اذ يقول متحدثا عن هذه الطبقة : " الطبقة الرابعة " و هم أربعة رهط فحول شعراء ، موضعهم مع الأوائل و إنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة : طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد .... ، و عبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر .. ، و علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس ، و عديّ بن زيد ".(١)

ثم يقول بن سلام بعد ذلك :

و لا بن عبدة ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر :

الأولى : " ذَهَبْتَ مِنَ الهِجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبِ "
الثانية : " طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الحِسَانِ طَرُوبُ "
و الثالثة : " هَلْ مَا عَلِمْتَ وَ مَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ "

و لا شيء بعدهن يذكر .(٢)

و لعل ابن سلّام في قوله : " و لا شيء بعدهن يذكر " - لعله يعني بلفظة يذكر هنا - أي لا شيء مما قاله خلاف هذه القصائد الثلاثة يصل إلى درجتها جودة ، و نقاء . فهو كما قال د. ناصر الدين الأسد : " لا يشك في الشعر المنسوب إلى علقمة ، و إنما يريد أن يفضل قصائده الثلاث على سواها ، من شعره و ذلك معنى قوله : و لا شيء

---

(١) طبقات الشعراء الجاهلين و الاسلاميين : لأبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي البصري ت : ٢٣٢ هـ . نشره : خالد محمد عجان الكتبي بحلب . مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر . ص ٤٩ ، ٥٠.
(٢) المرجع السابق ، ص ٥١ .

بعدهن يذكر (١).

كذلك ذكر " أبو الفرج الأصفهاني " خبرا يدلل به على مكانة علقمة بين شعراء عصره إذ يقول :

" تحاكم علقمة بن عبدة التميمي " ، و الزبرقان بن بدر السعدي ، و المخبل و عمرو بن الأهتم ، إلى ربيعة بن حذار الأسدي قال :

" أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كلحم ، لا أنضج فيؤكل ، و لا ترك نيئا فينتفع به ، و أما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرد حبرة ، تتلألأ في البصر ، فكلما أعدته نقص . و أما أنت ما مخبل فإنك قصرت عن الجاهلية و لم تدرك الإسلام . و أما أنت يا علقمة فإن شعرك كزادة قد أحكم خرزها ، فليس يقطر منها شيء " (٢)

و يذكر كارل بروكلمان " علقمة " بين الشعراء الذين جعلهم القدماء في المرتبة الأولى فيقول : " اختار قدامى الأدباء ستة من شعراء الجاهلية و جعلوهم في المرتبة الأولي من التفوق و الشهرة. و لعلهم فضلوهم على غيرهم لأنهم هم الذين أمكنهم أن يجمعوا لهم دواوين أطول و أكمل . هم : " النابغة الذبياني " ، عنترة بن شداد " ، " طرفة بن العبد البكري " ، زهير بن أبي سلمى المزني " ، " علقمة بن عبدة التميمي " ، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (الملك الضليل) " (٣)

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخة : د. ناصر الدين الأسد . الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر ، حاشية ص ٣٤٨ .

(٢) الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢١ ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٣) تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار الطبعة الثالثة . دار المعارف بمصر . ج ١ ص ٨٧.

و هذا هو " الفرزدق " الشاعر التميمي المشهور والذى طبقت شهرته الآفاق ، يذكر أن لشعر علقمة طابعا خاصا ، لا يستطيع أحد أن ينحله ، فإذا ما جاء أحد يدّعى هذا الشعر لنفسه خاب ظنه و وجد أن الناس يعرفون قائله . يقول الفرزدق مفتخرا بمن أورثه الشعر :

وَهَبَ القصائدَ لِي النوابغُ إذْ مَضَوْا و أَبُو يَزِيدَ و ذُو القُرُوحِ و جَرْوَلُ
و الفَحْلُ علقمةُ الذى كانتْ لَهُ حُلَلُ الملوكِ كَلَامُهُ لا يُنْحَلُ (١)

(النوابغ : نابغة بنى ذبيان ، والجعدى ، و نابغة بنى شيبان . و أبو زيد : هو المخبل ، و اسمه : ربيعة بن مالك بن ربيعة بن قتال بن أنف الناقة . و ذو القروح امروء القيس بن حُجْر . و جرول : الحطيئة. و لا ينحل : أي لا ينتحله أحد و يروى : لا ينخل . أي لا يُبْلَى . و يروى: كلامه يُتَمَثَّل . (٢)

و نحن نستطيع أن نقول : إن أبا الفرج قد أورد رواية فى أغانيه تؤكد ما قال "الفرزدق " " كلامه يُتَمَثَّل " . فأبو الفرج يروى رواية عن العباس بن هشام عن أبيه يقول فيها :
" مَرَّ رجل " من مزينة على باب رجل من الأنصار ، و كان يتهم بامرأته، فلما حاذى بابه تنفس ثم تمثل :

هَلْ مَا عَلِمْتَ و مَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نأتكَ اليومَ مَصْرُومُ

---

(١) النقائض . ص ٢٠٠ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٠٠ .

قال : فتعلق به الرجل فرفعه إلى عمر بن الخطاب ، فاستعداه عليه فقال المتمثل : و ما عليّ في أن أنشدت بيت شعر ، فقال له عمر (رضي الله عنه) : ما لك لم تنشده قبل أن تبلغ بابه ، و لكنك عرضت به مع ما تعلم من المقالة فيك ؟ ثم أمر به فضرب عشرين سوطا " . (١)

و إذا كان لنا أن نستقي شيئا من هذا الخبر الذى ساقه صاحب الأغاني ، فإننا نقول : إن الناس كانت تحفظ أشعار علقمة و ترددها بين الحين ، والحين ، كهذا العاشق الذى تمثل أمام دار معشوقته .

و يذكر د. ناصر الدين الأسد في كتابه : مصادر الشعر الجاهلي ، خبرا نقله عن الأغاني مؤداه : " أن علقمة كان يجالس جبلة بن الأيهم مع النابغة الذبياني ، و حسان بن ثابت " . (٢)

و من هذا كله يظهر لنا أن علقمة كان يجالس الأمراء ، والملوك، و كانت له عندهم المكانة السامية ، والتقدير العظيم ، يظهر ذلك جليا من وفادته على الحارث بن أبى شمر الغساني شفيعا عنده ، لأخيه " شأس " و رجال قومه الذين أسرهم الحارث من بني " تميم " و قبول الحارث لشفاعة علقمة دليل أصدق دليل على ما " لعلقمة " من مكانة عند أمثال هؤلاء .

---

(١) الأغاني : لأبى الفرج الأصفهاني . ج ٢١ ، ص ٢٦٣ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية : د. ناصر الدين الأسد ص ٢٦٢ .

كما أن مجالسته لامرىء القيس ، و منازعته إياه الشعر ، و امرؤ القيس - كما نعلم - هو ابن حُجْر الكندى الذى ملك كندة فتـــــــرة طويلة إلى أن قتلته بنو أســد .

نقـــــول :

- ان مجالسته لامرىء القيس و منازعته له فى الشعر بل أكثر مـــن هذا زواج " **أم جندب** " (**زوجة امرىء القيس**) **منه** و قبولها إياه زوجا بعد زوجها ابن الملك (حجر الكندى) - كل هذا يعطينا الدلائـــل القوية .

والبراهين القاطعة على ما كان لعلقمة من مكانة بين لداته ، ورجا ل عصره ، من ملوك و سادات . و وصلت به مكانته الشعرية فى عصـــره و بين و بين أمثاله من الشعراء إلى أن اعتـــبره بعض المؤرخين مـــن أصحاب المعلقات .

فشارح القصائد التسع المشهورات و كذا د. على الجندى كل منهما يورد خبرا عن ابن خلدون مؤداه : " أن الشعر ديوان العرب ، فيـــــه علومهم ، و أخبارهم ، و حكمهم و كان رؤساء العرب متنافسين فيه ، و كانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده ، وعرض كل واحد منهم ديباجتـــــه على فحول الشأن ، و أهل البصر ، لتمييز حركة حتى انتهوا إلى المناغاة فى تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام ، موضع حجهم ، و بيت إبراهيم كما فعل " امرؤ القيس " ، و " النابغة الذبيانى " ، و " زهير بن أبى سلمى " ، و " عنترة بن شداد " ، و " طرفة بن العبد البكرى " ، و "علقمة

بن عبده ، و " الأعشى " و غيرهم من أصحاب المعلقات السبع فانـــه كان يتوصل إلى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومـــه ، و عصبيته و مكانته " (١)

كل هذا وغيره من الروايات ، و الأخبار كما قلنا - يوضح لنـــا - بما لا يدع مجالا للشك - مكانة علقمة التى عرف بها بين أبناء جيلـــه، و لدات عصره ٠

و كل هذا كفيل أن يجذب المؤرخين ، و كتاب تاريـــخ الأدب و النحويين ، و البلاغيين إلى شعره ، يستقون منه شواهد يدلـــل بها كل منهم على صحة كلامه ٠

يقول محقق الديوان : " و قد حفلت كتب اللغة و المعاجـــم بشواهد من شعره فاستشهد صاحب لسان العرب وحده بـ ٩٢ مـــرة بأبيات من شعره " (٢) ٠

---

(١) شرح القصائد التسع المشهورات : لأبى جعفر أحمد بن محمد النحاس ، ت ٣٣٨ هـ ، تحقيق أحمد خطاب . الجمهورية العراقية وزارة الإعلام ، مديرية الثقافة العامة ، سلسلة كتب التراث (٢٣)، القسم الأول ، ص ٤٦ ، ٤٧ ٠
و كذا تاريخ الأدب الجاهلى د. علي الجندى ، ص ١٧٦ (وكلاهمـــا نقلا عن ابن خلدون) ٠

(٢) ديوان علقمة : المقدمة ، ص ٩ ٠

و على سبيل المثال لا الحصر سوف أتناول فى هذا المقام بعض من استشهدوا بشعر علقمة من علماء اللغة ، و الأدب .

فالبكرى مثلا فى " سمط اللآلئ " يذكر أبياتا " لعلقمة " بن عبده و يذكر أن بعض الشعراء قد سرق المعنى من هذه الأبيات فيورد البيت الذى يقول :

وَلَوْ كانَ فى الأرضِ البسيطةِ منهمُ لِمُخْتَبِطٍ عافٍ لَمَا عُرِفَ الفَقْرُ

المختبط : الذى يسأل الرجل من غير معرفة كانت بينهما ، و لا يد سلفت منه إليه يقال : اختبطت فلانا فخبطنى بخير ، و أصله : من اختباط الورق للسائمة .

و قال علقمة :

وفِى كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ(1)

و يذكر البكرى أيضا أبياتا للأعشى وردت فى الأمالى قد أخذ الأعشى معناه فيها من " علقمة " يقول البكرى :

طَالَ القِيادُ لَهَا فلمْ تَرَ تَابِعًا لِلْخَيْلِ ذَا رَسَنٍ وَ لا أَعْطَى لَهَا

و سَمِعْتُ أكثرَ ما يُقَالُ لها اقْدِمى والنعْىُ و الإيجافُ كَانَ صِقَالَهَا

حَتَّى إذا لَمَحَ الدليلُ بِثَوْبِهِ سُقِيَتْ وَصَبَّ رُوَاتُها أَشْوَالَهَا

و قوله : النعى و الإيجاف كان صقالها ، مثل قول علقمة :

---

(1) سمط اللآلى فى شرح أمالى القالى للوزير : أبى عبد الله البكرى تحقيق عبد العزيز الميمنى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م ، جـ ١ ص ٢٠٥ .

فَإِنَّ المُنَدَّى رِحْلَةٌ فَرُكُوبُ (١) .

و يذكر البكرى نقلا عن القالي أبياتا لذى الرمة سبقه إليها شاعرنا "علقمة" بن عبدة أيضا ، يقول ذو الرمة :

جاءتْ من البيض زُعْرًا لا لِبَاسَ لَهَا   إِلاَّ الدَّهَامِي و أُمٌّ بَــرَّةٌ و أَبُ
أَشْدَاقُهَا كَصُدُوعِ النَّبْعِ فى قُلَــلٍ   مثلِ الدَّحَارِيجِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا زَغَبُ

شبه مناقرها و قد فتحت عنها بالصدوع فى العصار كما قال علقمة :

فُوهٌ كَشَقِّ العَصَا مَا إِنْ تَبِينُــهُ   أَسَكُّ مَا يَسْــمَعُ الأَصْوَاتَ مَصْــلُومُ (٢)

والمعنى نفسه ، أخذته كبشة أخت عمرو بن معد يكرب قالت :

فَإِنْ أَنْتُمُ لَمْ تَثْأَرُوا بِأَخِيكُــمُ   فَمَشُّوا بِآذَانِ النَّعَامِ المُصَلَّــمِ (٣)

و حول تأثر الشعراء بشعر علقمة يورد البكرى نقلا عن الأمالــى أيضا أبياتا يختلف أبو تمام و ابن الأعــرابى فى نسبتها لقائلها وهى:

و مَا أَنْسَ مِ الأَشْيَاءِ لاَ أَنْسَ قَوْلَهَا   و أَدْمُعُهَا يَذْرِينَ حَشْوَ المَكَاحِــلِ
تَمَتَّعْ بِذَا اليَوْمِ القَصِيرِ فَإِنَّــهُ   رَهِينٌ بِأَيَّامِ الشُّهُورِ الأَطَــاوِلِ

يقول : هذا الشعر عزاه أبو تمام إلى قيس بن ذريح و نسبه ابن الأعرابى إلى ابن ميّادة ، ثم أنشد لعلقمة :

تَرَاءَتْ و أَسْتَارٌ مِنَ البَيْتِ دُونَهَــا   إِلَيْنَا و حَانَتْ غَفْلَةُ المُتَفَقِّــدِ

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٥٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٤٨ .

بِعَيْنَيْ مَهَا ةٍ يَحْدُرُ الدَّمْعَ مِنْهُمَا بَرِيمَيْنِ شَتَّى مِن دُمُوعٍ وَ إِثْمِدِ

ثم قال : فسرقه ابن ميّادة فى بيتيه السابقين ، و قال فسرقه بعض المحدثين ، فقال :

خُذِي عُدَّةً لِلْبَيْنِ إِنِّيَ رَاحِلٌ قِرَى أَمَلٍ بِجَدْيِكِ وَاللَّهُ صَانِعُ
فَسَحَّتْ بِسِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ خَلَطَ إِثْمِدٍ عَلَى الخَدِّ إِلَّا مَا تَكُفُّ الأَصَابِعُ (١)

وعن بلاغة الحذف من بنية الكلمة ذاتها ، يورد البكرى فى سمط اللآلىء أيضا نقلا عن أبى على بيتين للبيد بن ربيعة ، ثم يقارنهما ببيتين لعلقمة . قال : يقول لبيد :

دَرَسَ المَنَا بِمَتَالِعٍ فَأَبَانِ فَتَقَادَمَتْ بِالحُبْسِ فَالسُّوبَانِ

قال : المنا : أراد ، المنازل ، و مثله فى الحذف قول علقمة :

كَأَنَّ إِبْرِيقَهُمْ ظَبْيٌ عَلَى شَرَفٍ مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكِتَّانِ مَلْثُومُ

أراد : بسبائب الكتان فحذف .(٢)

ثم يورد البكرى نقلا عن الأمالي أبياتا كثيرة لعلقمة مثل التى مدح فيها الحارث بن أبى شعر الغساني إذ يقول :

فَوَ اللَّهِ لَوْلَا فَارِسُ الجَوْنِ مِنْهُمُ لَآبُوا خَزَايَا وَالإِيَابُ حَبِيبُ

إلى أن يقول :

فَلَا تَحْرِمَنِّي نَائِلًا عَن جَنَابَةٍ فَإِنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيبُ

---

(١) المرجع السابق ، ٤٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ ، ١٤ .

و يورد بعد هذه الأبيات قصة شفاعة علقمة لأسرى بني تميم و فيهم أخوه شأس [(1)]

كذلك يورد البكرى قول علقمة :

فالعَيْنُ منّي كأنْ غربٌ تحطُّ بـــه دَهْماءُ حاركُها بالقِتْبِ مخـــزومُ
قد عُرّيَتْ حِقبةً حتّى استطفّ لها كِتْرٌ كحافةِ كِيرِ القَيْنِ مَلْمـــومُ [(2)]

و أبيات كثيرة غير هذه ، أتى بها البكرى فى كتابه نقلا عن أبى علـــي القالي و تفصيلها كلها فى (سمط اللآلى) [(3)].

وإلى جانب أبى علي القالي ، و البكرى ، نجد النويرى (صاحـــب كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب) يذكر أشعارا لعلقمة بن عبده فـــي كتابه متمثلا بها . ثم يذكر أشعارا أخرى استقى شعراء كثيرون معانيهم منها .

يذكر النويرى علقمة فيقــول : و علقمة بن عبدة يقــول :

فإنْ تسألوني بالنِّساءِ فإنّـــني عليمٌ بأدْواءِ النِّساءِ طبيـــــبُ
إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ مالُــهُ فليسَ لهُ منْ وُدِّهنَّ نصيـــــبُ
يُرِدْنَ ثراءَ المالِ حيثُ علمْنَـــهُ و شرخُ الشَّبابِ عندهنَّ عجيـــبُ

و قـــال أيضـــا :

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ .
(٢) المرجع السابق ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ .
(٣) المرجع السابق صفحات (٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧)

و كل حِصْنٍ و إنْ طالتْ سلامتُــهُ ... على دعائِمِهِ لابُدّ مهـــدومُ
و مَنْ تَعرّضَ للغربانِ يَزجُرُهـــا ... على سلامتــهِ لابُدّ مشـــئومُ (١)

ثم يذكر النويرى أبياتا ، لشعراء مختلفين فى وصف مجالس الخمـــر مع الصَّحب ، والندامى يقول النويـــرى :

و ما ومضت بـــه الأباريق : قول الشاعر :

يا رُبَّ مجلـسِ فتيةٍ نادَمْتُهُـمْ ... مِنْ عبْـدِ شمْسٍ فى ذرى العليـاءِ
وَ كأنّما إبريقُهُمْ مِنْ حُسْـــنِهِ ... ظَبْيٌ على شَرَفٍ أمَـامَ ظِمَـــاءِ

و قـال ابن المعتـز :

و كأنَّ إبريقَ المُدام لديْهِـــمُ ... ظَبْيٌ على شَرَفٍ أنافَ مُدلّهـــا
لمّا استحثتْهُ السُّقاةُ جَثى لهـا ... فبكى على قدحِ النديمِ و قَهْقَهـا

و قال اسحق الموصـلي :

كأنَّ أباريقَ المُدامِ لديْهِـــمُ ... ظِباءٌ بأعلى الرَّقمتيْنِ قيـــامُ
و قدْ شَرِبُوا حتّى كأنَّ رِقابَهُـمْ ... مِنَ اللّينِ لَمْ يُخْلَقْ لَهُنَّ عظـــامُ

و كلهم نظروا إلى قول علقمة بن عبدة :

كأنَّ إبْريقَهُمْ ظَبْيٌ على شَـــرَفٍ ... مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكتّـانِ مَلْثُـــومُ

---

(١) نهاية الأرب فى فنون الأدب : لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (٦٧٧ - ٧٣٣ هـ) - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب - دار الثقافة و الإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة و الطباعة والنشر - السفر الثالث - ص ٦٦ .

و قال محمد بن هاني ، من أبيـات :

و الأباريق كالظباء العواطي ... أوجشت نبأة الخيول العتاق
مصغيات إلى الغناء مطلا ... ت عليه كثيرة الإطراق
و هي شم الأنوف يشمخن كبرا ... ثم يرعفن بالدم المهراق (١)

و كذلك عن تأثر الشعراء بشاعرنا و أخذهم معانيه و ألفاظه ، يتحدث النويري بعد ذكره لبيت علقمة الذي يقول فيه :

و قد وعدتك موعدا لو وفت به ... كموعود عرقوب أخاه بيثرب

فيذكر أن العرب تضرب المثل في الخلف بمواعيد عرقوب ، ثم يسوق قصة هذا المثل فيقول : و فيها يقول الأشجعي :

وعدت و كان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

و يقول : وقال كعب بن زهير بن أبي سلمى :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ... و ما مواعيدها إلا الأباطيل (٢) و

كذلك يتناول ابن قتيبة بعض أشعار علقمة في كتابه " تأويل مشكل القرآن " ، فيقول : (من المقدم والمؤخر) قال الشاعر ، (يعني علقمة) :

فأوردتها ماء كأن جمامه ... من الأجن حناء معا وصبيب

أي : فأوردتها " يعني الناقة " ماء كأن جمامه حناء وصبيب معا .

---

(١) المرجع السابق ، السفر الثالث - ص ١٢٣ ، ١٢٤ .
(٢) المرجع السابق ، السفر الثالث ، ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

ثم يأتي بأمثلة للتقديم و التأخير من القرآن الكريم ، مثل قولـه تعالى :

" الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا قيّما "

أي : أنزل على عبده الكتاب قيّما و لم يجعل له عوجا .

و مثل قوله تعالـــي :

" فضحـــكت فبشـــرنا ها بإسحـــق "

أي بشرناها بإسحق فضحكت .(١)

و بعد ذلك نرى أبن قتيبة يأتي بشاهد بلاغي آخر من شعر علقمـة و هو بصدد حديثه عن " الباء مكان عن " يقول : علقمة بن عبدة :

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِـــي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيـــبُ

" أي عن النســاء "

و قال ابن أحمـــــر :

تُسَائِلُ بِابْنِ أَحْمَـــرَ مَنْ رَآهُ أَعَـــارَتْ عَيْنُـه أَمْ لَمْ تعَـــارَا

ثم يدلل ابن قتيبة بمثال من القرآن الكريم هو قوله سبحانه :

" فاســـأل بـــه خبيـــرا "

أي فاسأل عنه " (٢)

و إذا قرأنا للجاحظ و جدناه أيضا يتمثل فى كلامه بشعر لعلقمـة

---

(١) تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبة ، شرح و نشر ا لسيد أحمد صقر ، ط ٢ ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ٢٠٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٦٨ .

إد يقول

و يضربون المثل بعصا النهدى : قال علقمة بن عبدة فى صفة فرس أنثى :

سُلّاءة كعصا النهدىّ غلّ بها ذو فيئة من نوى قرّان معجوم (١)

و كذلك يذكر الجاحظ فى كتابه البيان والتبين الأبيات التى ترنم بها علقمة مظهرا خبرته و حنكته فى الحياة والتى يقول فيها :

فإن تسألونى بالنساء فإننى بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ

إلى آخر هذه الأبيات والتى استشهد بها كثيرون من قبل (٢)

و إذا تركنا " الجاحظ " و تناولنا نقائض " جرير والفرزدق " لأبى عبيدة معمر بن المثنى ، وجدناه يستشهد بشعر لعلقمة قاله فى غزو تميم لطىء ، يقول : فقال علقمة بن عبده فى ذلك :

و نحن جلبنا من ضريّة خيلنا نُجنّبها حدّ الإكام قطائطا

أصبن الطّريف والطّريف بن مالك و كان شفاءً لو أصبن الملاقطا

و ها هو ذا صاحب رسالة الغفران (أبو العلا المعرى) يذكر شعرا لعلقمة و يستشهد له بقوله عن الخمر :

تشفى الصداع و لا يؤذيك صالبها و لا يخالطها فى الرأس تدويم

و قوله :

كأن إبريقهم ظبى على شرف مُجلّل بسبا الكتّان مفدوم (٣)

---

(١) البيان والتبين ، ج ٣ ، ص ١٢٠ . (٢) المرجع السابق ، ص ٣٢٩.

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

أبيض أبرزه للضح راقبه ... مقلد قضب الريحان مفغوم(١)

و اذا تركنا علماء البلاغة والبيان ، والذين استشهد كثير منهم لعلقمة وجدنا أيضا كثيرين من علماء اللغة والنحو قد وجدوا في أشعار بأشعار هذا الشاعر القديم مادة لعلومهم ، فاستشهدوا بكثير من شعره مدللين على صحة أقوالهم ومثبتين حقائق علومهم .

فها هو ذا صاحب كتاب " المنجد " يستشهد بشعر علقة ، و من قبله استشهد صاحب اللسان باثنين و تسعين مرة من شعره . كما ذكرنا من ذي قبل .

يقول أبو الحسن على بن الحسن الهنائي المشهو ر " بكراع " صاحب " المنجد " في اللغة :

و هجمت البيت : أي هدمته . قال علقمة بن عبدة :

صعل كأن جناحيه و جؤجؤه ... بيت أطافت به خرقاء مهجوم

و يقول صاحب المنجد :

و الأثان : الصخرة ، تكون في الماء فيركبها الطحلب فتكون أشد صلابة من غيرها . قال علقمة بن عبدة :

هل تلحقني بأخرى القوم إذ شحطوا ... جلذية كأتان الضحل علكوم

---

(١) رسالة الغفران : لأبي العلاء المعري . تحقيق د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)

الطبعة الخامسة . دار المعارف بمصر . ص ١٤١ ، ١٤٥ .

و يقول كراع أيضا مستشهدا :

العقـل : ضرب من الوشـي أحمر . قال علقمة بن عبدة :

عَقْلاً و رقْمـاً تَظـلُّ الطيرُ تتبعـهُ كأنّهُ مِنْ دم الأجْوافِ مدمُـومُ (١)

و إنْ كان هذاحال علماء اللغة مع علقمة فنأخذ الآن عالما نحويا و ليكن سيبويه لنرى أنه هو أيضا قد استشهد بشعر علقمة الجاهلي استشهادات نحوية ، يقول " سيبويه " في باب الحسن الوجه : " وليس بمستكره فى كلامهم أن يكون اللفظ واحدًا والمعنى معنى جمع حتى قال بعضهم فى الشعر مالا يستعمل فى الكلام . قال علقمة بن عبدة

تتبّعُ أفيـاءَ الظّـلال عشـيّةً على طـرقٍ كأنّهـنّ سبـوبُ
بها جيفُ الحسْرى فأمّا عظامها فبيضٌ و أمّا جلدها فصليـبُ

و يقول السيرافى فى شرح أبيات سيبويه : " فى تتبع ضمير يعود إلى ناقته ، و الأفياء جمع فئ ، و هو ماكانت عليه الشمس ، فزالت عنه (٢) .

---

(١) المنجد فى اللغة : تأليف أبى الحسن على بن الحسن الهنائي ، المشهور بكراع ، ت ٣١٠ هـ تحقيق د. أحمد مختار عمر ، و ضاحى عبد الباقى ، توزيع عالم الكتب ١٩٧٦ .

(٢) شرح أبيات سيويه : لمحمد يوسف بن أبى سعيد الحسن بن عبد الله بن المرز بان السيرافى ، ت ٣٨٥ هـ/٩٩٥ م . تحقيق د. محمد على الريح هاشم .

دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع - القاهرة ١٩٧٤ ، جـ ١ ، ص ٩٢،٩٣.

و كذلك يستشهد " سيبويه " ببيتى علقمة اللذين يقول فيهما :

وَقَدْ أَغْتَدِي و الطَّيْرُ فى وُكُنَاتِهَا   وَمَاءُ النَّدَى يَجْرِي عَلَى كُلِّ مِذْنَبِ
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ لَاحَهُ   طِرَادُ الهَوَادِي كُلَّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ

و الشاهد فيه : أنه جعل قيد الأوابد صفة لمنجرد ، و قيد مضاف إلى الأوابد و لم يتعرف بالإضافة لأنه فى نية الانفصال .(1)

و كذلك يقول سيبويه مستشهدا بأبيات لعلقمة . يقول : و قال علقمة بن عبدة :

فَأَوْرَدْتُهَا مَاءً كَأَنَّ جِمَامَهُ   مِنَ الأَجْنِ حِنَّاءٌ مَعًا وصَبِيبُ
تُرَادُ عَلَى دِمَنِ الحِيَاضِ فَإِنْ تَعَفْ   فَإِنَّ المُنَدَّى رِحْلَةٌ فَرُكُوبُ

و الشاهد فيه : أنه عطف ركوبا على رحلة بالفاء ، و جعل الركوب متصل بالرحلة و هو مثل قولهم : " سرت حتى أدخلها " ، إذا كان السير والدخول قد وقعا جميعا فيما مضى ، والدخول متصل بالسير كأنه قال : سرت فدخلت وإنما استعمل المستقبل فى هذا الموضع ، على حكاية الحال الماضية ، و هى بمعنى " سرت حتى دخلتها " (2)

و عند حديث سيبويه فى باب الإدغام .. نراه يقول مستشهدا بشعر علقمة أيضا : و قد شبه بعض العرب ممن ترضى عربيته هذه الحروف الأربعة (الصّاد ، والضّاد ، و الطّاء ، الظّاء) فى " فعلت " بهن فى " افتعلت " ، لأن الفصل بنى على التاء فأسكنت لامه ، كما أسكنت الفاء فى افتعل و ذلك قولهم " خبطّه " يريدون " خبطته " قال علقمة بن عبدة:

(1) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .
(2) المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

وفي كل حيٍ قد خبطَّ بنعمـــةٍ   فحق لشأسٍ من نـداك ذنـوب

والشاهد : أنه قلب التاء التي هي ضمير المخاطب طاء لأجل الطـــاء التي قبلها [(١)]

وأخيرا يأتي " سيبويه " ببيتين لعلقمة يستشهد بهما ، علـــى الأبنية التي فيها زوائد من الثلاثي ، ويكون على " فيعول " في الاســم والصفة . يقـــول :

" فالاسم نحو : فيصوم ، وحيزوم ، والصفة نحو : عيثوم ، وقيـــوم ، وديـــوم "

قال علقمة بن عبـدة :

إذا تزغّم من حافاتها ربـــعٌ   حنّت شغاميم في حافاتها كوم

يهدي بها أكلف الخدين مختبـرٌ   من الجمال كثير اللحم عيثـوم [(٢)]

ولا أدري لماذا أتى " سيبويه " بالبيتين يسبق أحدهما الآخـــر على خلاف ما هو مثبت في الديوان ، فالبيت الثاني في الديوان يأتـــي سابقا على البيت الأول وأكثر تمشيا مع المعنى العام الذي قصـــد الشاعر إليه .

من كل ما سبق تتضح مكانة علقمة بن عبدة ذلك الشاعر الجاهلـــي، فقد وضح لي من خلال البحث أن كثيرين من علماء اللغة والنحـــو ، ونقاد الأدب وأربابه - وبخاصة القدامى منهم قد وجدوا في شعـــر هذا الشاعر مادة خصبة يستشهدون بها على صحة آرائهم ونظرياتهم .

---

(١) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .
(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

و إلى جانب أولئك القدامى الذين تناولوا شعر علقمة بالدرس والتحليل ، وجد أن هناك من المحدثين من أعجب بشعر هذا الشاعر.

فها هو ذا الدكتور / طه حسين الذى شكك فى الأدب الجاهلى بعامة و نظر إليه نظرة المتحفظ ، و حكم عليه بعد نظر و تأمل - كما يقول - بالنحل والوضع نراه يذكر أنه يستثنى من النحل قصيدتين لعلقمة مع شئ من التحفظ . ثم يقول الدكتور / طه حسين " و صحة هاتين القصيدتين لا تمس رأينا فى الشعر الجاهلى ".[1]

و إلى جانب د. طه حسين نرى أساتذة ، و علماء ، و أصحاب فكر مستنير ، و أرباب نظر ثاقب فى أدبنا العربى . نرى د. محمد النويهى يتناول بالدرس ، والتحليل و النقد المفصل المنطقى قصيدة من قصائد علقمة بن عبدة هى قصيدته الميمية . والتى مطلعها :

هَلْ مَا عَلِمْتَ و مَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ   أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ اليومَ مَصْرُومُ

و يحشد لها هذا الناقد كل إمكاناته النقدية ، و نظراته الثاقبة .[2]

يقول الدكتور النويهى عن شاعرنا و هو فى معرض حديثه عن وصفه لناقته ، يقول د. النويهى : " لكن هذا هو الشاعر الجاهلى علقمة بن عبدة التميمى الذى عاش فى الصحراء العربية منذ ما يزيد على ألف و أربعمائة من السنين ، يصف لك ناقته القوية ، المتينة ، و يريك بريقها ، و ملاستها ، و يذكر لك سعادته إذ يراقب صحتها و شهيتها

---

(١) فى الأدب الجاهلى : د. طه حسين

(٢) الشعر الجاهلي منهج فى دراسته و تقويمه : د. محمد النويهى ج ١ الفصلان الثامن والتاسع .

و يعتز بجلدها على الأسفار ، و أمنها التام فى المخاطر ، يعجب إعجابا عميقا بنجابة أصلها ، و عظم إبائها ، و حدة ذكائها ، و فرط حساسيتها ، ويقدم لك هذا كله فى لفظ ينبض نبضا بفكرة الجياش ، و انفعاله المهتز ، فيقدم إليك فرصة لتقدير شعره ، و مشاركته عاطفته نحو ناقته ، إن انتهزتها و استغللتها إلى أبعد مدى تستطيعه و جدته يزيد حساسيتك الوجدانية شحذا ، و ذوقك الجمالي سعة ، و إمكانياتك العاطفية عمقا و غنى ".[1]

و سوف أعود- إن شاء الله - إلى هذا الكتاب أستضيء به فى دراستى للخصائص الفنية لشعر علقمة فى الفصل الرابع و الأخير من هذا البحث.

و إلى جانب الأستاذين السابقين (طه حسين ، والنويهى) واللذين تحدثا عن علقمة و شعره نجد أيضا من النقاد المحدثين الذين تعرضوا لعلقمة الأستاذ السباعى بيومي فى كتابه " تاريخ الأدب العربى فى العصر الجاهلي " قد تناول علقمة دارسا لشعره محللا قصيدته التى جارى بها " امرأ القيس "[2] و احتكما بشعرهما إلى أم جندب (زوج امرىء القيس) و سوف تكون لى معه وقفة تأمل و مناقشة -إن شاء الله - عند دراستى لشعر علقمة .

---

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .

(٢) تاريخا لأدب العربى فى العصر الجاهلى - للسباعى بيومى ، ج ١ ص ٢٥٦ و ما بعدها .

و من الذين درسوا شعر علقمة من المحدثين أيضا الدكتور / فتحي أحمد عامر في كتابه " في مرآة الشعر الجاهلي " (١) فقد درس قصيدة " علقمة " التي جارى فيها امرأ القيس ، والتي درسها من قبله السباعي بيومي - كما أشرت من قبل - و قد وضح لي أن رأي كل منهما قد اتفق مع الآخر نقدا ، و تحليلا لهذه القصيدة . وإن كان لي أن أناقشها فسوف يكون موضع هذه المناقشة - إن شاء الله - في الفصل الأخير من هذا البحث (فصل الدراسة الفنية لشعر علقمة) .

وإلى جانب القصيدة السالفة الذكر فقد تناول د. فتحي عامر أيضا قصيدة علقمة التي قالها مادحا بها الحارث بن أبي شمر الغساني يستشفع بها عنده لأسرى بني تميم و أخيه (شأس بن عبدة) .

و للدكتور / فتحي عامر في هذه القصيدة آراء نقدية جديرة بأن تؤخذ في الاعتبار عند دراسة شعر علقمة دراسة نقدية . و سوف أعود إليها - إن شاء الله - في حينها .

إلا أنني أرى أن أورد رأيا للدكتور / فتحي عامر ينصف فيه علقمة بعد أن غمطه حقه في قصيدته التي قالها متحديا " امرأ القيس " .
يقول د. فتحي عامر عن شاعرنا :
" و أنت تحس أنك أمام شاعر عاقل رزين ، عاقل في الحب ، عف في الغزل شفاف السريرة ، عميق التجربة ، طويل المعاناة ، يبدو سليما من العقد و مركبات النقص ، فلا يحاول أن يسترعينا بظاهرة شعرية ، أو ....

---

(١) في مرآة الشعر الجاهلي : د. فتحي أحمد عامر ، دار الشروق القاهرة ١٩٧٦/١٩٧٧ . ص ٢٦٢ و مابعدها .

يغطى على نقيمة بلون من التصوير ".[1]

هذه هي منزلة علقمة و مكانته كما بدت جلية واضحة المعالم عند من درسوا بعضا من شعره ، أو تناولوا ذلك الشعر مستشهدين به على صحة آرائهم و نظرياتهم سواء فى اللغة و النحو ، أو فى الأدب والنقد قديمه و حديثه ، و لقد حاولت جهدى أن أقف على رأى علماء العربية فى شاعرنا . و لقد ظهر لى من البحث و التنقيب تقديرهم البالغ لهذا الشاعر العملاق .

و بعد أن وقفنا علىهذه المكانة و تلك المنزلة التى تحققت لهذا الشاعر أرى أن من واجبى أن أتعرف على جوانب شخصية هذا الإنسان قبل دراسة شعره .

و أظن أنه لا يتأتى لباحث ذلك إلا من خلال شعره اذ لا طريق إلى ذلك سوى شعر الشاعر ، فمنه ستبدو ملامح هذه الشخصية و سماتها التى تميزها عن غيرهامن الشخصيات التى عاصرها " علقمة " و عاش معها حياته البسيطة اليسيرة على رمال شبه جزيرة العرب القاحلة الضنينة .

شخصيته :

إن أول ما يلفت نظرنا فى شخصية " علقمة بن عبدة " أنها شخصية

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

لها كيانها في المجتمع الذى عاشت فيه ، شخصيته يحترمها النـــاس و يقدرها أولو الأمر منهم ، شخصية تجد مكانها عند ملوك القـــوم و أمرائهم ، و ليس أدل على ذلك مما أوضحته من ذى قبل من مجالسة علقمة " لجبلة بن الأيهم " مع زميلين من أعظم شعراء الجاهلية هما : (النابغة و حسان بن ثابت) .

كما أن وفادته على " الحارث " بن أبى شمر الغساني شفيعا لمن أسرهم " الحارث " من بنى تميم و قد كان فيهم أخوه (شأس) وامتدحه بقصيدته التى مطلعها :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ (١)

و فيها يذكر الحارث بقوله :

إِلَى الحَارِثِ الوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي ... لِكَلْكَلِهَا والقُصْرَيَيْنِ وَجِيبُ
لِتُبْلِغَنِي دَارَ امْرِيءٍ كَانَ نَائِيًا ... فَقَدْ قَرَّبَتْنِي مِنْ نَدَاكَ قَرُوبُ (٢)

و يستطرد علقمة فى وصف رحلته ، و مشاقها حتى يصل إلى هـــذا الممدوح المعطاء ، الوهاب حتى يصرح له بغايته و هدفه فيقـــول :

---

(١) ديوان علقمة ، ص ٣٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

وَفِي كل حَيٍ قد خَبطت بِنعْمَةٍ ... فَحُقَّ لِشأسٍ مِنْ نَدَاك ذَنُوبُ

وَ مَا مِثْلهُ فى النَّاسِ إلَّا قَبِيلُهُ ... مُسَاوٍ وَ لَا دَانٍ لِذاك قَرِيبُ

فَلَا تَحْرِمَنّى نائِلًا عَنْ جَنابَةٍ ... فَإِنِّي امرؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيبُ (١)م

و يروى " ابن قتيبة " فى الشعر و الشعراء أنه عندما قال " علقمة " للحارث " فحق لشأس من نداك ذنوب " قال الحارث : نعم و أذنبة[٢] . ثم إن الحارث أنعم على الشاعر ففك أسر أخيه و كذلك بنى قومه الذين كانوا فى الأسر و زودهم ، و كساهم ، و أكرمه هو و كساه من حلل الملوك .

من كل هذا يظهر لنا علقمة و قد أدى دور الدبلوماسى البارع ، و السياسي المحنك ، و صاحب المكانة المرموقة فى قومه . ثم إن تعرضه لمثل هذا الموقف ليعطينا دلالة أخرى و هى إنما يتجشم هذا الرجل الصعاب فى سبيل صلة رحمه و قومه ، فيظهر صاحب الخلق والكرم والفضيلة ، و ليس هذا بغريب عليه ، أليس هو العربى البدوى ؟

و أليس الشاعر العربى هو القائل :

وَ مَا التَّقْصِيرُ قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... وَ أَخْلَاقُ الدَّنِيَّةِ مِنْ خِلَالِي

فَإِنِّي لَا أَضِنُّ عَلَى ابْنِ عَمِّي ... بِنَصْرِى فِي الخُطُوبِ وَ لَا نَوَالِي (٣)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٢) الشعر والشعراء : لابن قتيبة .

(٣) الأمالي : لأبى على القالي (أبو على اسماعيل أبو القاسم القالى ، ت : ٣٥٦ هـ ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ١٩٢٦ .

و هكذا فقد أدى علقمة واجبه تجاه بنى قومه ، و صلة رحمه .

و ها هو ذا "الحصرى" صاحب زهر الآداب يروى خبرا عن علقمة أستطيع من خلاله أن أستشف بعض ملامح شخصيته ذلك الشاعر الجاهلى العملاق يقول الحصرى :

و قال " علقمة بن عبدة لرجل و رأى آخر يعتذر إليه و هو معبس فى وجهه : إذا اعتذر إليك المعتذر فتلقه بوجه مشرق ، و بشر مطلق ، لينبسط المتذلل ، و يؤ من المتنصل " (١).

من خلال هذه الرواية تظهر حكمة علقمة و قسوة عقله الراجح ، الرزين ، و يظهر أيضا علقمة من خلالها صاحب التجربة فى الحياة قد جعل من نفسه معلما للناس و مرشدا لهم إلى مكمن الفضيلة و ضمان التجلة و التعظيم . نعم لقد عاش علقمة عمرا مديدا أكسبته خلاله الأيام من تجاربها الكثير فعرف الحياة و خبرها . لم يمت شابا قليل التجربة والخبرة بل امتد به العمر فبلغ منه أرزله . و ها هو ذا يعطينا دلالة ذلك من خلال شعره اذ يقول :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الحِسَانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ (٢)

فهو يبدو من خلال ذلك قد تجاوز مرحلة الشباب و أقبل على مرحلة

---

(١) زهر الآداب للحصرى شرح على محمد البجاوى ، دار احياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى ، ج ١ الطبعة الثانية ، ص ٤٨٧ .

(٢) ديوان علقمة ، ص ٣٣ .

المشيب ، و قد آن له وقد وصل إلى هذه المرحلة أن يفيق ، و أن يرجع إلى رشده ، و صوابه . فلم تعد الأمور تتحمل كل هذا العبث ، و لذا نراه في هذا البيت يلوم نفسه التي أغرمت بالجري وراء النساء الحسناوات و ما هذا بوقت الجري وراءهن .

و عن إشارات هذا السن تدلنا أبيات أخرى من قصائده الأخرى عن هذا العمر المديد يقول " علقمة " في قصيدته الميمية المشهورة :

هَلْ مَا عَلِمْتَ و ما اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ   أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ اليَومَ مَصْرُومُ
أَمْ هَلْ كَبِيرٌ بَكَى لَمْ يَقْضِ عَبْرَتَهُ   إِثْرَ الأَحِبَّةِ يَوْمَ البَيْنِ مَشْكُومُ (١)

فهو جدير - و قد عاش هذا العمر - أن يكتسب من الحياة تجاربها ، و أن يكون صاحب خبرة ، و حكمة ، و تجربة . و ها هو ذا قد عبَّر عن خبرته تلك فقال :

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي   بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ المَرْءِ أَوقَلَّ مَالُهُ   فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ المَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ   و شَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ (٢)

فهو هنا يلقي لنا بتجربته ، معلِّمًا إيانا أنه صاحب خبرة بالنساء و تجربة هؤلاء النساء اللاتي لا يهمهن من الرجل إلا شبابه و ماله ،

---

(١) ديوان علقمة ، ص ٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

فإذا ما ضاع هذا و ذاك ، تركته غير عابئات به .

و تطالعنا قصيدة علقمة الميمية تلك بأبيات تدل الدلالة القاطعة على حكمته و إيمانه بالقضاء والقدر و بأن كل شيء إلى فناء ، فالعاقل الحكيم من جاد بماله فكسب حمد الناس ، ومن علم أن الرزق مقدر فلم يشغله شاغل عليه ، كذلك من لم يتخذ من التشاؤم وسيلة يكدر بها صفو حياته . يقول علقمة :

بل كلّ قومٍ و إنْ عزّوا وإنْ كثروا ... عريفهم بأثافي الشرّ مرجوم
والجودُ نافيةٌ للمالِ مهلكةٌ ... و البخلُ مبقٍ لأهليه و مذموم
والمالُ صوفُ قرارٍ يلعبون به ... على نقادته وافٍ و مجلوم[1]
والحمدُ لا يشترى إلا له ثمنٌ ... ممّا تضنّ به النفوسُ معلوم
والجهلُ ذو عرضٍ لا يستراد له ... والحلمُ آونةً في الناسِ معدوم
ومطعمُ الغنمِ يومَ الغنمِ مطعمه ... أنّى توجّه والمحروم محروم
و من تعرّض للغربانِ يزجرها ... على سلامته لابدّ مشؤوم
و كلّ بيتٍ و إنْ طالتْ إقامته ... على دعائمه لابدّ مهدوم[2]

أبيات تدل الدلالة القوية و الواضحة والدالة على سمات خاصة تميزت بها شخصية علقمة بن عبدة هي " الهدوء " و الرزانة ، و التعقل .

---

(١) القرار : غنم صغار الأجسام و الآذان . الواحدة : قرارة ، والنقد : غنم صغار أيضا ، الواحدة : نقدة ، و النقاد : جمع نقدة و هذا مثل ضربه : يقول : المال عند الناس ، كهذا الصوف في الكثرة للغني، والقلة للفقير .

(٢) ديوان علقمة ، من ص ٦٤ - ٦٧ .

و من السمات أيضا التى تجلى لنا غوامض هذه الشخصية و كوامنها و يظهرها لنا شعره ، أنه كان صاحب خمر يشربها مع صحب كرام فى مجلس من مجالس الخمر المنعمة والتى تمتلىء بأصوات الغناء و آلات الطرب . و إن وصف لنا علقمة ذلك فليس ذلك بغاض من قدره إذ أن الخمر فى هذا الوقت كانت مباحة لا تحرمها أديان السماء التى سبقت الإسلام يقول علقمة :

قَدْ أَشْهَدُ الشَّرْبَ فِيهِمْ مِزْهَرٌ رَنِمٌ ... وَالْقَوْمُ تَصْرَعُهُمْ صَهْبَاءُ خُرْطُومُ

كَأْسُ عَزِيزٍ مِنَ الأَعْنَابِ عَتَّقَهَا ... لِبَعْضِ أَرْبَابِهَا حَانِيَّةٌ حُومُ (١)

تَشْفِى الصُّدَاعَ و لا يُؤْذِيكَ صَالِبُهَا ... و لا يُخَالِطُهَا فى الرَّأْسِ تَدْوِيمُ

عَانِيَّةٌ قَرْقَفٌ لَمْ تُطَّلَعْ سَنَةً ... يُجِنُّهَا مُدْمَجٌ بِالطِّينِ مَخْتُومُ (٢)

ظَلَّتْ تَرَقْرَقُ فى النَّاجُودِ يَصْفِقُهَا ... وَلِيدُ أَعْجَمَ بِالْكَتَّانِ مَفْدُومُ

كَأَنَّ إِبْرِيقَهُمْ ظَبْىٌ عَلَى شَرَفٍ ... مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكِتَّانِ مَلْثُومُ

أَبْيَضُ أَبْرَزَهُ لِلضِّحِّ رَاقِبُهُ ... مُقَلَّدٌ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مَفْغُومُ (٣)

و لا يبدو لنا للوهلة الأولى أن هناك اختلافا ظاهرا فى سمات هذه الشخصية (شخصية علقمة) تدلنا عليه الأبيات الأولى فى الحكمة ، و الأبيات الثانية فى وصف الشراب . فربما أن تلك الأبيات التى يصف فيها علقمة مجالس شربه مع أصحابه كانت وصفا

---

(١) حانية : قوم خمارون نسبوا إلى الحانة ، والحوم : بن حام يحوم حول الشاربين .

(٢) عانية : نسبة إلى عانة : اسم قرية من قرى الجزيرة ، على الفرات نسب العرب إليها الخمر الجيدة . و القرقف : التى ترعد شاربيها لدوامهم عليها .

(٣) الأبيات فى ديوان علقمة ، من ص ٦٨ - ٧١ .

له أيام شبابه و فتوته و أن أبيات الحكمة إنّما تصف لنا حالته بعد أن دب الشيب إلى رأسه . فالشاعر عاش حياته كلها - شبابها و شيبها - بين قوم يقدسون الخمر تقديسهم لمعتقداتهم . بل ربما أكثر و قد يكون تحريم الخمر فى الإسلام - و قد تدرج فى أحكامه - دليلا أصدق دليل على حب الجاهليين للخمر و على أنه من الصعب عليهم ، أن يقلعوا عن أشياء أصبحت حياتهم مرتبطة بها كل الارتباط . و رغم مكانة الخمر عندهم ، و رغم عدم تحريمها قبل الإسلام ، إلّا أننا لا نجد لعلقمة شعرا يذكر فيه الخمر أكثر من هذا الذى ذكرت . فهو ليس كالأعشى " ميمون بن قيس " الذى جاء بعده وانغمس فى الخمر لاهيا بها قائلا بشربها أوقاته حتى عرف بها و عرفت به . و ديوان الأعشى يفيض بشعر الخمر من وصف لها ، و للونها ، و رائحتها ، و صفاتها ، و فعلها فى شاربيها و يدل ذلك الشعر على إقبال الأعشى عليها مستمتعا بصحبة شَرْبٍ منعمين فهو القائل :

وَقَدْ أَقْطَعُ اليَوْمَ الطَّوِيلَ بِفِتْيَةٍ مَسَامِيحَ تُسْقَى و الخِبَاءُ مُرَوَّقُ (١)

و كما استدللت من شعر علقمة على أنه شخصية رزينة ، عاقلة ، حكيمة ، يجلها الملوك ، و يحترمها أولو الأمر . وعلى أنه صاحب تجربة فى الحياة و خبرة . أستطيع أن أستدل أيضا من شعره على أنه كان فارسا فى قومه ، فهو من قوم يجيدون الضراب والطعان . أو ليس أسر أخيه

---

(١) ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) شرح و تعليق د. محمد محمد حسين .
مكتبة الآداب بالجماميز . قصيدة ٣٣ .

دليلا على أنهم مقاتلون شجعان لا يفرون أمام عدوهم . وفوق هذا و ذاك فإنّ علقمة يصرح فى شعره بأنه الفارس الشديد على خصمه ، المقدام القوى . يقول علقمة :

وَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى قِرْنِي يُشَيِّعُنِي ... مَاضٍ أَخُو ثِقَةٍ بِالخَيْرِ مَوْسُومُ
وَقَدْ عَلَوْتُ قُتُودَ الرَّحْلِ يَسْفَعُنِي ... يَوْمٌ تَجِيءُ بِهِ الجَوْزَاءُ مَسْمُومُ
وَقَدْ أَقُودُ أَمَامَ الحَيِّ سَلْهَبَةً ... يَهْدِي بِهَا نَسَبٌ فِي الحَيِّ مَعْلُومُ
لَا فِي شَظَاهَا وَلَا أَرْسَاغِهَا عَنَتٌ ... وَلَا السَّنَابِكُ أَفْنَاهُنَّ تَقْلِيمُ
سُلَّاءَةٌ كَعَصَا النَّهْدِيِّ غُلَّ بِهَا ... ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانَ مَعْجُومُ (١)

و هكذا تصور الأبيات مدى قوة هذا الفارس الذى يتحمل الحرالشديد و يعينه علىالقتال سيفه ، وفرسه التى يقودها أمام قومه الغازين .

و قد عدّ الأستاذ / جرجى زيدان علقمة منالشعراء الفرسان فقال : "الشعراء الفرسان : أبو محجنالثقفي ، الأغلب العجلى ، حاتمالطائى ، زيد الخيل ، سلّامة بن جندل التميمى ، علقمة الفحل ، عمرو بن معدى كرب ، و قيس بن الخطيم ". (٢)

و علقمة بعد هذا و ذاك ، جواد كريم ، لا يضن علىالضعفاء بشىء، بل يقدم لهم ماله عن طيب خاطر ، و رضى نفس ، يقول علقمة:

---

(١) ديوان علقمة من ص ٧١ - ٧٤ .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ، طبعة جديدة راجعها و علق عليها د. شوقى ضيف ، دار الهلال ١٩٥٧ م . ج ١ ، ص ١٤٩.

وَقَدْ أُصَاحِبُ فِتْيَاناً طَعَامُهُمُ ... خُضْرُ المَزَادِ وَلَحْمٌ فِيهِ تَنْشِيمُ
وَقَدْ يَسَرْتُ إِذَا مَا الجُوعُ كَلَّفَهُ ... مُعَقَّبٌ مِنْ قِدَاحِ النَّبْعِ مَقْرُومُ
لَوْ يَيْسِرُونَ بِخَيْلٍ قَدْ يَسَرْتُ بِهَا ... وَكُلُّ مَا يَسَرَ الأَقْوَامُ مَقْرُومُ[1]

أي أنه إذا اشتذ الزمان و قسا ، يستعملون الميسر ، و يطعمون الضعفاء من قومهم ، و كان لا ييسر فى ذلك الوقت إلا المعروف بالجود والكرم . و ها هو ذا علقمة يجود بخيله فى سبيل إطعام ضعفاء قومه فى زمن شديد بأسه .

من كل ما تقدم يظهر لنا الكثير من ملامح شخصية شاعرنا علقمة بن عبدة التميمى ذلك الشاعر الجاهلى الفحل ، فهو سفير قومه عند أعتى الملوك آنذاك فله من مكانته ما يتيح له ذلك ، فهو العظيم الذى يتجشم الصعاب ، و يركب الأهوال فى سبيل مصلحة قبيلته ، و أهله ، و هو الحكيم العاقل ، صاحب التجربة ، والخبرة فى هذه الحياة ، و هو الكبير العاقل الرزين ، العف . و هو فوق هذا و ذاك الكريم الجواد ، الذى يبذل ما له عن نفس راضية ، و ضمير مستريح ليحمى فقراء أهله و ذويه غائلة الجوع و قسوة الزمان .

---

(١) ديوان علقمة ، ص ٧٧ .

و بعد أن درست فيهذا الفصل هذا الشاعر و حياته ، و عشت معه تلكالحياةمن مولده ، و نسبه ، ولقبه ، و أسرته ، ونشأته ، و مكانتـــه و قيمه شعره في كتب الأدب ، ثم شخصيته بسماتها و ملامحها التـــي ظهرت من خلال أشعاره .
- أقول بعد هذا كله - آن لي أن أختتم هذا الفصل بوفاة ذلك الشاعر .

وفاتـــــــــه :

مرَّ بنا و نحن نتحدث عن مولد الشاعر ، ونشأته ، أنه عاصـــــــر " امرأ القيس " بن حجر الكندي و تزوج امرأته (أم جندب) و رجحت أنه كان يصغر " امرأ القيس " بسنوات عديدة مما أمال إليـــــه " أم جندب " ، ثم إنه عمر طويلا ، و عاش حتى أدرك الإسلام .[(١)]
لكن مؤرخا كالأستاذ / جرجي زيدان يذكر أن سنة وفاة علقمة كانت حوالي ٥٦١ م .[(٢)]

و يذكر د. شوقي ضيف - مراجع الكتاب - قوله عن تحديد جرجي زيدان لسني وفاة الشعراء : " وضعالمؤلف أمام كل شاعر سنة الوفاة ، و هـــي تقريبية ، و خاصة بالقياس إلى شعراء العصر الجاهلي " [(٣)]

---

(١) في الأدب الجاهلي : د. طه حسين .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان ، جـ ١ ، ص ٨٣ .

(٣) المرجعالسابق : حاشية ، ص ٨٢ .

إلا أنني أناقش تحديد جرجي زيدان و أقول : إن كثيرين ممن كتبوا عن الأدب الجاهلي ، و درسوه ، قد ذكروا أن علقمة أدرك الإسلام .و علقمة ذاته يذكر في شعره ـ كما مرّ بنا ـ أنه عاش عمرا مديدا . أقول : إذا كان " محمد " صلوات الله و سلامه عليه " والذي جاء إلى قومه بالإسلام قد ولد عام الفيل أي : سنة ٥٧١ م ، والرسالة لم تأته إلا بعد أن بلغ سن الأربعين . أي : حوالي سنة ٦١١ م . و إذا كان علقمة قد أدرك الاسلام ، و كما مرّ بنا كان يجالس " جبلة بن الأيهم مع "النابغة " ، و " حسان بن ثابت " . و " جبلة بن الأيهم " هذا قد حدد لنا " نولدكه " تاريخه بأنه حكم سنة ٦٣٥ م .(١)

و إن كنت من قبل قد حاولت تحديد سنة ميلاد علقمة بسنة ٥١٤ م أو ٥١٥ م . فمعنى هذا أن سنة ٥٦١ م . والتي حددها جرجي زيدان لوفاة علقمة غير دقيقة و ربما جاءت تصحيفا على ما أعتقد .

مما سبق و بالمقارنة بين السنة التي ولد فيها علقمة والتي توفي فيها أرى أنه عاش عمرا طويلا فاق المائة والعشرين سنة بالمقارنة بين ٥١٥ م . و ٦٣٥ م تلك السنة حكم فيها " جبلة بن الأيهم " و مادام علقمة قد جالسه فلابد أن تكون وفاته بعد هذه السنة .

و مع كل هذا فإنني أقول : إن الباحث ليُعنّيه كثيرا البحث في حقيقة هذه التواريخ يقول أستاذنا الدكتور / محمد زكي العشماوي :

---

(١) امراء غسان لنولدكة ، ص ٥٧ .

و طبيعي جدا أن نجد هذه الصعوبة فى تاريخ العصر الجاهلى ، و في محاولة معرفة تاريخ الشعراء ، إذ أن الملوك أنفسهم لم تكن تستطيع أن تقف منهم موقف المتحققين الثابتين ، فلقد اختلفت كتب التاريخ فى تحديد تواريخ ملوك الحيرة و غسان . ونولدكة نفسه الذى قضى حياته في البحث عن أمراء غسان لم يستطع أن يجد فى الفترة الأخيرة التى عاصرها "النابغة" تواريخ مضبوطة ، و إنما كان يقرب ذلك تقريبا " (١)

هذه هى حياة شاعرنا علقمة بن عبدة التميمي كما تحدث عنها المؤرخون والمترجمون ، و كما لمسنا جوانبها المتعددة من خلال شعر الشاعر الذى يعتبر من أصدق البراهين والدلائل على كل ما توصلت إليه من سمات ميزت شخصية " علقمة " بين لداته و معاصريه .

و أرى أن أفرغ الآن من هذا الفصل لأنتقل إلى فصل جديد أدرس فيه شعر علقمة دراسة موضوعية تتناول الأغراض التى نظم فيها هذا الشاعر أشعاره .

---

(١) النابغة الذبياني : د. محمد زكى العشماوى ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ، ص ١١٧ .

الفصل الثاني

شعر علقمة دراسة موضوعية

- الوصف
- الفخر
- الغزل
- المديح
- الحكمة

الفصــــل الثانــــي

شـــعر علقمــة .. دراســـة موضــوعية

تناولت في الفصلين السابقين حياة قبيلة تميم ، و أحوالها فــــي الجاهلية - و تناولتها - من شتى نواحيها : اجتماعية ، و سياســــية ، و دينية . وعرضت لمنازل القبيلة ، و أنسابها ثم تناولت حياة " علقمة" بن عبدة " الشاعر التميمي " وتحدثت عن نسبة ، و مولده ، و نشأتــه ، و ملامح شخصيته ، و سماتها العامة ، و كذلك ، صلته بمن عاصرهــــم و عاش بينهم من سادة و عامة . و رأيت تقدير الملوك له، و بخاصــــة "الحارث " بن أبي شمر الغساني .

و في هذاالفصل سوف أتناول إنْ شاء الله أهم الأغراض الشعرية التى طرقها علقمة و بادىء ذى بدء فإنه ليس من شك أن شعر علقمة الـــــذى تضمنه ديوانه الذى حققه كل من : لطفى الصقال ، و درية الخطيـــــب السوريان ، الحلبيان . و الذى أشرف على تحقيقه د. فخر الدين قباوة ، جامعة حلب - - أقول - ليس من شك أن هذاالشعر لا يمثل بحال من الأحوال كل نتاج علقمة الشعرى . فقد ضاع كثير من شعره مع ما ضاع من شعـــــر الجاهلين جميعهم .

يقول أستاذنا د. محمد مصطفى هدارة مُسَلِّماً بضياع كثرمن الشعــــــر الجاهلي : " و لا نستطيع أن نحصر الشعر في قبيلة بعينها أو في مكان دون آخر في الجزيرة العربية لأن قياس ذلك على ما في أيدينا الآن مـــن

الشعر الجاهلي لا يجعلنا نحكم بكثرة الشعر في هذه القبيلة و قلته في تلك . و غزارته في هذه المنطقة ، و ندرته في الأخرى ، مادمنا نسلم بضياع كثرة من الشعر الجاهلي لأسباب مختلفة " .(١)

و رغم هذا فإن القدر الذي يبقى لنا من شعر علقمة وإن لم يكن ممثلا لكل ما قال فإنه ينبئ عن أن قائله شاعر فحل ، ذو ملامح ، و سمات فنية ، تجعل ناقدا كابن سلّام الجمحي يضعه في الطبقة الرابعة، مع طرفة بن العبد ، و " عبيد بن الأبرص " و " عدي بن زيد " . و يقول عنهم ابن سلام : " و هم أربعة رهط فحول شعراء ، موضعهم مع الأوائل ، و إنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة " .(٢)

و " علقمة " طرق معظم أغراض الشعر ، إن لم تكن كلها ، فقال في الوصف ، و في الفخر ، و في الغزل ، و في المديح ، و في الحكمة . و تحدث في غير ذلك من الأغراض الشعرية .

و كذلك عهدنا الشعراء ، يجول كل منهم في أغراض الشعر جميعها ، و لكن يبقى غرض من هذه الأغراض مسيطرا على الشاعر ، يشتهر به ، و يتميز ، و يعرف به بين أقرانه .

" فالأعشى " مثلا قد عرفناه صاحب لهو و مجون ، ملكت عليه الخمر والمرأة كل حياته ، فأكثر ما قاله من شعر كان فيهما حتى عرف

---

(١) الشعر العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجري (النشأة والتطور) : د. محمد مصطفى هدارة . دار المعارف ، الطبعة الأولى ١٩٨١ م . ص ١٥ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : لابن سلام الجمحي ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

بأنه شاعر الخمر فى الجاهلية كذلك ينبىء شعره عن اهتمامه بالمرأة فهو كما يقول يتمتع بها غير معجل كما كان يفعل امرؤ القيس قاضيا ليله الكامل لاهيا عابثا فى خلوة من الخلوات .

و إن كان " **الأعشى** " قد اشتهر باللهو والمجون كما اشتهر بهما من قبله " **امرؤ القيس** " **ابن** حجر الكندى ، فقد اشتهر " **زهير بن أبى سلمى** " بالحكمة حتى غلبت عليه ، واشتهر عنترة بن شداد " بالحماسة والفخر ، واشتهر شاعرنا " **علقمة بن عبدة التميمى** " بالوصف فكان من الوصافين .

والمتصفح لديوان علقمة يجد أن الوصف عنده قد غلب على أغراض الشعر سواه فهو يمثل عنده الأهمية البالغة ، حتى إن القارىء لشعره يحس و كأنه يقصد إلى الوصف قصدًا فهو لا يتخذه مدخلا لغرض وراءه ، كما كان يفعل غيره ممن سبقه أو عاصره أو جاء بعده . بل الوصف عند علقمة هو الغرض الذى غالبا ما يَرْمِى إليه .

و لم يقتصر علقمة فى وصفه على شىء واحد . بل وصف كل شىء صادفه و كل شىء وقعت عينه عليه .

وصف الناقة ، و وصف الفرس ، - و ما أشد حاجة البدوى إليهما - و وصف كذلك الظعن ، والمحبوبة ، و وصف الطريق و أهوالها ، و الصحراء ، وا لرحلة الشاقة المضنية وسط هذه الصحراء القاتلة .

و وصف إلى جانب هذا و ذاك مجالس الخمر حيث نعم بصحبة شَرْب مترفين يشربون على أنغام المزاهر ، و ترانيمها .

و هكذا يتشعب الوصف عند علقمة فلا يقتصر على شيء بعينه ، و ان كان وصف الناقة عنده واسعا ، رحبا جليلا قد زاد على كل وصف سواه .

و بعد هذا العرض لشعر " علقمة بن عبدة " ، و فنونه المتعددة، يجدر بنا الآن أن نتناول كل فن من هذه الفنون بالدراسة والتحليل .

و أرى أن أبدا بعمدة شعره كله ألا و هو الوصف .

أولا - <u>الوصف :</u>

علقمة بن عبدة ابن للصحراء ، فيها ولد ، وفيها عاش حياته الطويلة ، المديدة و منها تعلم كل شيء ، و بين ثناياها كانت عينة تقع بين الفينة والفينة على مناظرها العديدة مذ كان طفلا يحبو على يديه و رجليه إلى أن صار شيخا هرما يتوكأ على عصاه .

و طوال هذه السنوات العديدة ، والصحراء بالنسبة لعلقمة هي المعلم ، و هي الحكيم . فمنها رزق الحس المرهف ، والنظرة الفاحصة الدقيقة ، والتأثر الشديد بالبيئة المحيطة به عمره كله .

لذا فقد تأثر وصف علقمة بخصائص نفسيته البدوية الصافية ،

و بطبيعة المجتمع الذى عاش علقمة فى أكنافه ، فمنه استمد موضوعات وصفه ، و بهذه الخصائص النفسية للبدوى و بهذا المجتمع ، انطبع أسلوب علقمة . فامتلأ وصفه بالصور المحسوسة المؤثرة . يقول د. عبد الحميد سند الجندى : " و من الإنصاف أن نقول ان شعراء العرب الأقدمين - و لاسيما الجاهليين منهم - لم يقصروا فى تنمية اللغة بهذه الصور ، فلم يتركوا أى مظهر من مظاهر الطبيعة وقع تحت حسهم إلا اشتقوا منه صورا رائعة " . (١)

و لقد قلت من قبل إن أهم شئ شغل عقل علقمة ، و هو يصف إنما هى ناقته ، و ما يتصل بتلك الناقة .

و لعل اهتمامه بالناقة خاصة ، و تجويده فى وصفها يرجع - فيما يرجع - إلى ما ذكره الأستاذ / مصطفى صادق الرافعى فى كتابة " تاريخ آداب العرب " ، و هو يتحدث عن شعر الوصف عند العرب القدماء فيقول : " و لما كان الوصف عند العرب أشبه بالحقيقة العلمية ، كان الشاعر منهم لا يتعاطى إلا ما يحس من ذلك ضرورة ، و قد يشارك فى أوصاف كثيرة ، و لكنه ينفرد بالشهرة فى بعضها من جهة العلم لا من جهة الصناعة ، فكلما كان أعلم بأجزاء الموصوف ، و حالاته ، و أقدر على استقصاء هذا العلم فى شعره ، كان أبلغ فى الوصف ، و أولى بالتقديم فيه ، و إن أحسن ما يكون الوصف الصادق إذا خرج عن علم ،

---

(١) زهير بن أبى سلمى ، شاعر السلم فى الجاهلية : د. عبد الحميد سند الجندى المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، والترجمة ، والنشر . ص ٧٦ .

و صرفته روعة العجب ، فإن العلم يعطى مادة الحقيقة ، والعجب يكسبها صورة من المبالغة الشعرية، و كل وصف لا يكون عن هذين ، أو أحدهما ، فهو تزيد من الكذب ". (١)

و أنا أوافق الأستاذ / الرافعى فى كل ما قاله ، فوصف علقمة قد جاء صادرا عن علم بالناقة و خصائصها و أحوالها . و لا غرو فى ذلك فهو البدوى الذى عاش حياته ملازما لها ، معتمدا عليها ، عارفا بأحوالها ، عالما بخلائقها ، كما جاء وصفه لها صادرا عن إعجاب بها ، وحب لها ، أليست هى التى تفنى عمرها وهى تخدم صاحبها عن رضى واقتناع ؟

فسوف أبدأ الآن فى تناول أهم موضوعات وصف علقمة . أدرسها و أحاول استقصاء كل ما قال فيها :

أ) **وصف الناقة :**

ناقة البدوى ، أحب شيء إلى قلبه ، فهى سفينته ، و هى معاونه على تحمل المشاق والصعاف ، وهى التى تنقله إلى أحبابه من جو يحيط به اليأس والكآبة إلى جو فيه البهجة و الانطلاق ، و تحتل الناقة مكانا بارزا فى أشعار الجاهليين ، و شاعرنا واحد من هؤلاء إن لم يكن من أوائلهم .

---

(١) تاريخ آداب العرب - الاستاذ مصطفى صادق الرافعى . الطبعة الاولى الاستقامة ١٩٤٠ م . ج ٣ ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

و قد وقف علقمة عند ناقته طويلا . هام بها و غنى لها أجمل القصائد و أروع الألحان ، ناجاها ، و تحدث عنها فوصفها الوصف الدقيق، الذى لم يترك فيه صغيرة و لا كبيرة منها إلا ذكرها ، فهى مَهْوَى فؤاده ، و محط بصره ، و باعث السحر على لسانه ، إنه يتحدث عنها بلسان العاشق لها . و كأن بينهما صداقة حميمة .

أوليست ناقته التى عاشت به ، و معه ؟ يرحل بها و عليها يقطع المفاوز ، مجتازا كل الأخطار .

أوليست هى ا لتى ترحل عليها صاحبته الحبيبة ؟ أو ليس منها يحصل على كل ما يعينه على الحياة ؟ أو ليست هى معوانه على بلوغ المآرب و قضاء الحاجات ؟ .

فلا غرو إذن أن يقف شاعرنا ، فى إعجاب ، ليصف كل جزء من أجزاء جسدها ، و ينظر إليها بالعين التى ينظر بها إلى العالم ، ثم يتحدث عن طباعها ، و خصالها ، و أحاسيسها .

من أجل هذا كله ، قلنا : إن شعر الناقة عند علقمة يمثل وحدة المكانة البارزة .

انظر إليه و قد يئس من استجابة المحبوبة له يقول :

فَدَعْهَا و سَلِّ الهَمَّ عنكَ بجَسْرَةٍ   كَهَمِّكَ فيهَا بالرِّدَافِ خَبِيبُ (أ) (١)

(١) ديوان علقمة ص ٣٧ ، ٣٨

(أ) الجسرة : الطويلة التى تجسر على الاهوال ، والخبيب : سير دون العدو .

و ناجيةٍ أفنى رَكيبَ ضلوعِها ... و حارِكَها تهجُّرٌ فدُءوبُ (أ)
و تُصبحُ عن غِبِّ السُّرى و كأنَّها ... مُولَّعةٌ تخشى القَنيصَ شَبوبُ (ب)

فعلقمة جاهلي ، مثل بقية شعراء الجاهلية ، يذكر تسلية الهموم بركوب ناقة ضخمة الجسم ، طويلة ، تجسر على الأهوال لجِدَّتها و نشاطها ، فهى عند حسن ظن صاحبها بها ، مسرعة أضاعت لحومها ، و أذابت شحومها كثرة الترحال وقت الهاجرة ، و مداومة الإلحاح فى هذا الترحال . إنها فى سرعتها الشديدة ، كبقرة وحشية تخشى الصائد الكامن لها فهى حذرة حاضرة الذهن متوقدة الذكاء .

و لقد وقع ما كانت تخشاه هذه البقرة ، فقد اختبأ لها رجال يبغون اصطيادها ، لكنها سريعة لا يشق لها غبار ، أضاعت على هؤلاء الصائدين حيلتهم ، فكانت أسرع من نبالهم و كلابهم تلك التى انطلقت فى إثرها لكن دون جدوى ، يقول علقمة :(١)

(أ) ناجية : سريعة ، ركيب ضلوعها : شحمها و لحمها ، التهجر: السير فى الهاجرة ، الدءوب : الالحاح فى السير .

(ب) مولعة : أى بقرة فيها خطوط سود ، والقنيص :الصائد .

(١) ديوان علقمة ، ص ٣٨ .

تَعَفَّقَ بالأَرْطَى لَهَا و أَرَادَهَا ... رِجَالٌ فَبَذَّتْ نَبْلَهُمْ و كَلِيبُ [أ]

و هكذا تضيع هذه الناقة السريعة الذكية ، فرصة صائديها ، و كلابهم بعد أن سبقت نبالهم و كلابهم ، فلم تستطيع النبال أو الكلاب اللحاق بها .

إن هذه الناقة التى يتحدث عنها الشاعر لكفيلة أن توصله إلى مَنْ يببغى الوصول إليه ، فلتنظر إليه و هو يحدثنا عنها و عما لاقت فى طريقها الذى جشمها الشاعر السير فيه ليصل إلى ممدوحة ، فى أقصر وقت ممكن ، إذ أنه ذاهب فى مهمة من أقدس المهمات و هي إنقاذ حياة أسرى قد وقعوا فى أيدى الممدوح و من الجائز إن تأخر وصول الشفيع أن يكون فى ذلك خطر على حياتهم . يقول علقمة :[٢]

إِلَى الحَارِثِ الوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي ... لِكَلْكَلِهَا والقُصْرَيَيْنِ وَجِيبُ [ب]
لِتُبْلِغَنِي دَارَ امرِيءٍ كَانَ نَائِيًا ... فَقَدْ قَرَّبَتْنِي مِنْ نَدَاكَ قَرُوبُ [جـ]
إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللعَنَ كَانَ وَجِيفُهَا ... بِمُشْتَبِهَاتٍ هَوْلُهُنَّ مَهِيبُ [د]
تَتَبَّعُ أَفْيَاءَ الظِّلاَلِ عَشِيَّةً ... عَلَى طُرُقٍ كَأَنَّهُنَّ سُبُوبُ [هـ]

(أ) تعفق : أى استتر ، والأرطى : شجر له رائحة طيبة ينبت فى الرمل .

(١) ديوانه ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(ب) الكلكل : الصدر ، القصريان : ضلعان قصيران تليان الخاصرة ، والوجيب : الاضطراب .

(جـ) قروب : اسم ناقته ، و يحتمل أن يكون صفة بناها للمبالغة على " فعول " .

(د) الوجيف : سير سريع ، والمشتبهات : طرق تشبه بعضها بعضا .

(هـ) السبوب : شقاق الكتان ، شبه الطرق بها .

فالشاعر كما نرى فى هذه الأبيات ، يصور الرحلة الشاقة ، التى قطعها فوق ظهر ناقته ، ليصل إلى " الحارث بن أبى شمر الغسانى ، و الذى كان قد أسر أخاه " شأسا " مع آخرين من بنى " تميم " فقد سار الشاعر بناقته يحملها على اجتياز طرق متشابهة فى الصحراء تشكل على من يسير فيها/مما أكثر الضالين ! و ماأقل المهتدين !

تسير الناقة/فى الهاجرة محتمله قسوة الصحراء العاتيةحتى إذا ما رأت ظلا مالت إليه تخفف عن نفسها ألم الحر و وهج الشمس المحرقة .

ومازال الشاعر يكمل حلقات رحلته تلك ، ليظهر لنا مدى ما لاقت ناقته من عناء و عنت ، و هى ضالة بصاحبها فى هذه الصحراء الموحشة ذات الطرق المتشابهة ، حتى اهتدت آخر الامر/بعد لأى و مجهدة إلى الطريق الذى أوصلها بصاحبها إلى الممدوح يقول علقمة :(١)

هَدَانِى إِلَيْكَ الفَرْقَدانِ ولَاحِبٌ ... لَهُ فوقَ أصواءِ المِتَانِ عُلُـوبُ (أ)
بِهَا جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عِظَامُهَا ... فَبِيضٌ و أمّا جِلدُها فَصَلِيبُ (ب)
فأوْرَدْتُهَا ماءً كأنَّ جِمَامَهُ ... مِنَ الأجْنِ حِنَّاءٌ معًا و صَبِيبُ (ج)

---

١ - الديوان ص ٤٠ ، ٤٢ أ) الفرقدان: يريد النجوم و اللاحب:الطريق الزاضح ، و الأصواء : الأماكن المرتفعة .

ب) جيف الحسرى : أجساد النوق التى تعبت فتركها أصحابها فماتت

ج) جمامه : ماتجمع منه ، الأجن : تغير الماء ، و الصبيب : شجر بالحجاز يخضب به .

تُرادُ على دِمْنِ الحِيَاضِ فإنْ تَعَفْ ... فإنَّ المُندَّى رِحْلَةٌ فرُكُوبُ (د)

و هكذا يبدو لنا الشاعر مع ناقته ، مواصِلَين رحلتهما ليل نهار ، تهديهم نجوم الليل إذاما خيّم الظلام ، و يسلكان طريقا واضحا ، يلقى في قلوب من يسلكه رعبا أي رعب . فعلى جانبي الطريق تنتشر أجساد إبل أعياها السفر فكلّت واستسلمت فتركها أصحابها فماتت في هذا الطريق و ابيضّت عظامها ، و تصلبت جلودها ، و كأن لسان حالها يقول لكلمن يمر عليها و يراها : ها هي ذي نهايتك و يعلم الشاعر أنّ ناقته كلما رأت مثل هذه الجيف المتصلبه اقشعر بدنها ، وعلمت نهايتها المحتومة فتسوء حالة الشاعر النفسية ليشارك ناقته عزاءها في نفسها و ربما هذا نفسه هوما حدا بشاعر جاهلي آخر هو " المثقّب العبدى " - حدا به - أن ينفذ إلى داخل ناقته ليسمع ما يدور داخلها من حديث نفسي داخلي ، ثم يعلنه علينا مبينا مدى حزن ناقته لهذا الرحيل الذي لا ينقطع يقول " المثقّب العبدي " في ذلك: (1)

إذَا مَا قُمْتُ أرْحَلُهَا بِلَيْلٍ ... تَأوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ

تَقُولُ إذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي ... أهَذَا دِينُهُ أبَدًا وَ دِينِي

أكُلَّ الدَّهْرِ حِلٌّ و ارْتِحَالٌ ... أمَا يُبْقِي عَلَيَّ وَ مَا يَقِينِي (1)

إلى هذا الحد استطاع الشاعر ، أن يعرف بفطرته ما يدور داخل ناقته ، و إن كان " المثقّب " قد أشار إلى ذلك صراحة " فعلقمة " لم يصرّح به ، بل اكتفى بذكر أهوال الطريق ، و تركنا نستنتج ما يترتب على رؤية هذه الأهوال من خوف و حزن ، من هذا المستقبل المجهول .

د - تزاد : أي يجاء بها على الماء المتغير لتشرب .

١ - المفضليات ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

ولا يزال "علقمه " يصف لنا أهوال رحلته فيقول : و مع هذه الرحلـــــة الطويلة تحس ناقته العطش فيذهب بها الشاعر إلى الماء ليسقيها فإذا بــه ماء راكد مـن طول بقائه ، قد تغيّر لونه حتى أصبح كالحناء فتعافـــه الناقه ، و تفضّل أن تظل عطشى على أن تشرب مثل هذا الماء فيردهـــا الشاعر ثانية لترعى ، ثم يركب مواصلاً رحلته الطويلة القاسية .

و هكذا تتجسم أمام أعيننا ، مخاطر الرحله و أهوالها، تلك المخاطـر التى ظهرت وتمثّلت فى طريق مخيفة ، و عطش قاتل .

وكما بدا لنا من رحلة " علقمة" إلى الحارث أنه أجبر عليها إذ فرضها عليه ، واجب الأخوة و صلة الرحم و الجوار فكان لا بد من أن يتحملها غيــر غير آبه بعاقبتها . ضاربًا عرض الحائط بأهوالها ، و صعابها ، مضحيـا بنفسه ، و بناقته فى سبيل واجب فرضته عليه أعراف،و تقاليد ســـادت البيئة البدوية العربية آنذاك . - أقـول - إن كان الشاعر قد أجبر على هـذ ه الـرّحلة ، فقد أجبر على رحلة أخرى ، ركب فيها ناقته ليلحق بمحبوبته الـتى هجرته مع أهلها التاركين ديارهم ، الباحثين عن مكان آخر ، كعادة البـــدو آنذاك ، أولئك الذين تقوم حياتهم - أول ما تقوم - على الرّعى ، و انتجـــا ع منابت العشب و الكلأ . يقـول د. عبد الحميد سند الجندى :

" وكان البدو غير قارّين ، كانت حياتهم فى ظعن و ترحال ، فى غالب الأحيان ، فكانوا ينتجعون منابت العشب و الكلأ لرعى أنعامهم ، فإذا.... انتهوا منها ، شدّوا الرّحال إلى غيرها ، حيث السماء بمائها . و لهذا كـان الغيث منتهى أملهم ، و أقصى ما يبتغونه من دنيـاهم ، ففيه حياتهـــم ، و عليه معاشهم ، و قد تأثر الشعر العربى بهذه الظاهرة تأثرا كبيرا [(١)]

---

١ - زهير بن ابى سلمى - شاعر السلم فى الجاهليه - د. عبدالحميد سند الجندى/ص.٢

لقد هجرت " علقمة" محبوبته تلك ، وتركته يصارع أحزانه ، و آلامـه ، فقد انهمرت دموعة في أثر تلك المحبوبة ، وكانت دموعه في كثرتها و قوة هطولها كماء دلو ، تجتذبه ناقة قوية غنية . يقول " علقمة" مصورًا لنا هذه الحاله النفسية الشديده:(١)

فَالعينُ مِنى كأنْ غربٌ تحطُّ بِهِ	دهماءُ حاركُها بالقِتبِ مخزومُ (أ)
قد عرّبتْ حِقبةً حتّى استطفَ لها	كِترٌ كحافةِ كِيرِ القَيْنِ مَلْمومُ (ب)
كأنّ غِسلةَ خَطْميٍ بِمِشْفَرِهَا	فِي الخدِّ مِنْهَا وفِي اللَّحيينِ تَغليمُ (ج)
قَدْ أدبرَ العرُّ عنها و هْيَ شَامِلُهَا	مِنْ نَاصِعِ القَطِرَانِ الصِّرفِ تَدْسِيمُ (د)
تَسْقِي مَذانبَ قَدْ زَالَتْ عَصِيفَتُها	حَدُورُها مِنْ أتى الماء مَطْمومُ (هـ)

و هكذا نرى دموع الشاعر التي انهمر ت منه ، فأضحت كماء ، هطل من دلو ضخمه ، تجذبها ناقة سو داء ، شدشدة ، أزيل عنها رحلها فترة من الزمن ، فلم تزكب ، فصارت ، قوية ، متينه ، صلبه ، ارتفع سنامها ، و زدادت سمنة ، حتى تكور سنامها فأصبح كالكير المنتفخ ، وقد امتلأ بالهواء .

ظلت هذه الناقة ترعى ، و تطلى بالقطران ، حتى زال عنها الجرب ، .... و الهزال ، و أصبحت ذات قوة ، و متانه ، تجذب الدلو ، فيتدفق الماء غزيرًا لير وى مزارع سقطت أوراقها من شدة العطش و الحرمان من الماء .

١- ديوان علقمة ص ٥٣ ، ٥٤ ،٥٥ أ) الغرب : الدلو الضخمة ، والدهماء: الناقة السوداء. ب) استطف الكتر: ارتفع السنام ، و كير القين: كورالحداد ج) الخطمي: شجرة يغشل بورقة ، إذله رغوة د) العرّ : الجرب .
هـ) المذانب :مسايل الماء ، و زالت عصيفتها : أي تعرق ورقها .

و هكذايقف "علقمة" عند أمورهامة ، وهو يصف لنا ناقته تلك ، أمور

منها ما يتعلق بجسدها ، و أعضائها ، و منها ما يتناول مهمتها ، والعناية بها . فيحدثنا عن كل هذه الأمور حديث العارف بها المعجب بكل ما يتصل بناقته ، و سفينة صحرائه ، وعونه على الشدائد و الأهوال .

لننظر إليه و قد بعدت عنه محبوبته ، و أراد اللحاق بها . لا شئ يكفل له ما أراد سوى ناقته الوفيه المخلصة . ولذا نرى الشاعر يفزع إليها كلما داهمته خطوب ، و ادلهمت عليه ظلمات . يقول "علقمة"(١) :

هَلْ تُلْحِقَنِّي بِأُولَى القَوْمِ إِذْ شَحَطُوا ... جُلْذِيَّةٌ كَأَتَانِ الضَّحْلِ عُلْكُومُ(أ)
تُلَاحِظُ السَّوْطَ شَزْراً وَهْيَ ضَامِرَةٌ ... كَمَا تَوَجَّسَ طَاوِي الكَشْحِ مَوْشُومُ(ب)

فالشاعر هنا يتمنّى أن يلحق بالجماعة التى رحلت بينها محبوبته ، و لن تستطيع إيصاله بهذه الجماعة ، أو بهؤلاء القوم ، إلا ناقة قوية ، صلبة صلابة الصخرة التى تبقى قائمة و سط الماء حيث تزيدها الأيام - ذبة ، و ملاسة و قوة.

فالناقة إذن هى معقد الأمل ، ومناط الرجاء ، فهى تصل ليلها بنهارها جادة فى سيرها ، حتى تصل بصاحبها إلى المكان الذى شعل عليه عقله ، و قلبه ، إذ ضم بين أكنافه أحب الناس إليه .

---

١ - ديوان علقمة - ص ٥٧ أ - جلذية : أى ناقة شديدة ، والاتان : الصخرة تكون فى الماء ، و الضحل : الماء الكثير ، و العلكوم: الكثيرة اللحم. ب - شزرا : أى بموخر عينها ، و ضامر الكشح : ثور الوحش ، والموشوم: المنقط القوائم بسواد .

و ما دامت هذه الناقة هي معقد الامل ، و مناط الرجاء - كما قلت - إذ هي وحدها التي تكفل له الالتقاء بمحبوبه نأت ، و شطت بها الديار ، ..... و ازداد شوق الشاعر لها - ما دامت هذه الناقة هي كل كل ذلك - فلا بأس إذن من أن يسترسل الشاعر في وصفها استرسالا مطولا ، فتراه يعقد صلة بين هذه الناقة و بين الظليم ، يشبهها في سرعتها به في مقطع من القصيدة يستغرق أكثر من عشرة أبيات ، أرى هنا أن أورد ذلك المقطع كاملا ، إكمالا لهذه الصورة التي رسمها الشاعر ليقف فيها عند كل كبيرة و صغيرة مجسدا سرعة ناقته التي كفلت له كل ما تصبو إليه نفسه ، و يهواه فؤاده ، يقول " علقمة " في وصف لناقته ، و تشبيهه لها بذكر النعام (١) :

كأنّها خاضبٌ زعرٌ قوائمُه … أجْنَى له باللّوى شَرْيٌ و تَنّومُ (ب)

يَظلّ في الحَنظَلِ الخُطْبانِ يَنقفُه … و ما اسْتَطفَّ من التّنّومِ مخذومُ (ج)

فُوهٌ كشقِّ العصا لأْياً تَبيّنُه … أسَكُّ ما يسمعُ الأصْواتَ مَصلومُ (د)

حتّى تذكّر بيضاتٍ وهيّجه … يومُ رذاذٍ عليه الريحُ مَغيومُ

فلا تَزيّدُه في مشيه نَفِقٌ … ولا الزّفيفُ دُوينَ الشّدِّ مَسؤومُ (هـ)

يكادُ مَنسِمُه يَختلُّ مقلتَه … كأنّه حاذرٌ للنّخسِ مَشهومُ (و)

أ - ديوان علقمة من ص ٥٨ : ٦٣ . ب - الخاضب : الظليم الذى أكل الربيع ، و أجنى: أى أنبت له الشعر ، و الشرى: الحنظل والتنوم: نبت و هو " شهدنمج " البر ج - أى الحنظل فيه خطوط صفر و حمر ، و ينفقه : أى يكثره و يستخرج منه حبه و يأكله . و المخذوم : المقطوع. د. أسك: لا يسمح ، و المصلوم : مقطوع الأذن .

هـ - نفق : أى منقطع و الزغيف : دون العدو

و - منسمه : ظفره ، و مشهوم : أى فزع .

يَأْوِي إِلَى خُرُقٍ زُعْرٍ قَوَادِمُهَا ... كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَكْنَ جُرْثُومُ (أ)
وَ ضَاعَةٌ كَعِصِيِّ الشَّرْعِ جُؤْجُؤُهُ ... كَأَنَّهُ بِتَنَاهِي الرَّوْضِ عُلْجُومُ (ب)
حَتَّى تَلَافَى وَ قَرْنُ الشَّمْسِ مُرْتَفِعٌ ... أُدْحِيَّ عِرْسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرْكُومُ
يُوحِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضٍ وَنَقْنَقَةٍ ... كَمَا تَرَاطَنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ (جـ)
صَعْلٌ كَأَنَّ جَنَاحَيْهِ وَ جُؤْجُؤَهُ ... بَيْتٌ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءُ مَهْجُومُ (د)
تَحُفُّهُ هِقْلَةٌ سَطْعَاءُ خَاضِعَةٌ ... تُجِيبُهُ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمُ (هـ)

و هكذا يتضح لنا من القراءة المتأنيه لهذه الصورة الممتده التى رسمها الشاعر ، و اصفا فيها ناقته الحبيبه إلى قبله ، يشبهها فى هذه الأبيات - فخورا بسرعتها - بالظليم - أقول يتضح لنا - أن " علقمه " لم يترك وصفا من أوصاف ناقته التى هى أمله إلا ذكره فى هذا المجال .

فناقة " علقمة " فى سرعتها تشبه ذكر النعام الذى يرعى فى المراعى الخصبه . ثم فجأة يتذكر هذا الذكر بيضات له ، فيتوجه إليها بكل ما أوتى من قوة ، و سرعة ، يدفعه فى ذلك عاطفة الأبوة و رحمته بصغاره و حنوه عليها . و يالها من معان إنسانية تلك التى يجسدها " علقمة " و هو يرسم هذه الصورة الخالده .

أ - خرق : فراخ لوازق بالارض لصغرها ، و جرثومة : أصل الشجرة تسفى إليها الرياح التراب و تجمعه . ب - وضاعه : أى يضع فى سيره كما يضع البعير ، كعص الشرع : شبه عنقه بالبربط : و هو العود ، و علجوم : أى جمل ضخم. جـ - الانقاض و النقنقة : صوت الظليم . د - صعل : أى رقيق العنق ، و الخرقاء : المرأة التى لا تحسن العمل ، ومهجوم : أى ساقط

هـ - الهقلة : النعامة ، و السطعاء : الطويلة العنق ، و الخاضعة : التى امالت عنقها و وضعته للرعى .

ولا يزال الظليم مسرعا ، يهيجه المطر و الريح ، فتزيد سرعة انطلاقه إلى بيضه ، إلى انثاه ، تلك التى تـركها هناك جاثمة فوق هذا البيض تحميه ، و ترعاه ، و تمنحه الدفء ، و الحنان ليتحققلها حلم كل أنثى فى الوجود ، فترى مكان هذا البيض أفراخها صغـارا بعد أيام . و ان كانت أنثـــى تمنح الدفء و الحنان لبيضها ، فهى فى حاجة إلى هذا الدفء ، و ذلـــك الحنان ، و هى تنتظر عودة ذكرها و حاميها ، حتى إذا ما عاد استقبلتـــه فرحة بـه ، مترنّمة بعودته ، تلك العودة التى طالما انتظرتها هى و أفراخها الصغار ، التى التصقت بالأرض لضعفها .

حنان ، و عطف ، وحب ، معان يتحمل الظليم فى سبيل تحقيقها كـل عتـو للطبيعة ، و تتحمل أثناء كذلك الجوع ، و العطش ، حتى عودتـــه، وحتى لا تترك بيضها بغير حضان .

و هكذا يستطيع " عقلمة " الشاعر ، و الإنسان من خلال هذه الصـــورة التى رسمها و هو بصدد وصف ناقته - يستطيع - أن يجسد لنا سرعة هـذه الناقة ، و قوة احتمالها ، إلى جانب حنانها ، و عطائها .

و من كل ما سبق يتضح لنا أن " علقمة حينما يحزنه أمر من الأمور يلجأ إلى ناقته ، فتعينه على تحمل المشاق ، و الصعاب ، و تخفف عنه ما يكون قد عاناه وأثقل عليه .

ان ناقة " علقمة " هى التى وصلته بممدوحه (الحارث بن أبى شمر الغسانى عندما ألمت به مصيبه وقع أخيه ، وبنى قومه فى الأسر ، فقطعت به الطرق الوعرة الموحشة تضل به حينا ، و تهتدى آخر ، حتى أوصلته إلى بغيته و مراده .

و كذلك رأينا و قد أحست من الشاعر تلهفا و حاجة للقاء محبوبته - تحمله و تنطلق به في سرعة منقطعة النظير ، متحملة المخاطر و الأهوال - تلك المخاطر - التى نوّه عنها الشاعر عند حديثه عن الظليم و ماصادفه من أمطار و رياح ، فى سبيل أن تلحقه بركب محبوبته ، التى نأت عنه و قد أخذت معها قلبه .

فالناقة إذن هى المعوان على الوصل ، إن كان الوصل محققا لصاحبها ما يبغيه و ما يتمناه . فتوصله بالممدوح ، كما توصله بالمحبوبة .

و كما كانتناقة " علقمة " معوانه على الوصل كانت أيضا معوانة على القلى و الهجران . و ذلك عندما ترى صاحبها قد قرر هجرا ، فنراها و قد آذن الشاعر بهجر محبوبته التى طال تدللها عليه - رهن إشارته .

يقول " علقمة " وقد آنس من صاحبته تثاقلا ، ودلالا قدزاد عن حده المعتدل حتى مجته نفس المشاعر الآبيه التى ترفض مثل هذا التثاقل ، يقول " علقمة " :(1)

فإنك لم تقطع لبانة عاشـــق ... بمثلِ بكور أو رواحٍ مـــؤوب (أ)
بمجفرةِ الجنبينِ حرفٍ شِملـــةٍ ... كهمكَ مرقالٍ على الأينِ ذعلـــب (ب)

فها هو ذا الشاعر و قد نوى أن يقطع صلته بمعشوقته التى ز ادت فى تدللها عليه ، -نوى - أن يعتلى ظهر ناقته المنتفخه الواسعة ، الضامرة ، السريعة ، الخفيفة ، القوية على ما يلاقيها من صعاب و أهوال .

لقد جمع " علقمة " لناقته كل هذه الأوصاف العديدة ، التى تنبىء عـن أصالة ، و عتق وإن الشاعر ليسترسل فى وصف ناقته ، التى شغلت عقلـه و فكره ، و استحوذت على قلبه و وجدانه ، حتى يوفيها حقها من التجلـه و التعظيم .

يقول "علقمة" مكملا حديثه عن ناقته :(١)

إذا ما ضربتَ الدفَّ أو صلتَ صولـةً ... ترقبُ منى غير أدنى ترقـب (جـ)
بعينٍ كمرآةِ الصَّناعِ تديرهـا ... لمحجرِها من النصيفِ المنقـب (د)
كأنَّ بحاذيها إذا ما تشـذرت ... عثاكيل عذقٍ من سميحة مرطـب (هـ)
تذبُّ به طورا و طورا تمـرُّهُ ... كذبِّ البشيرِ بالرداءِ المهـدب (و)

أ - اللبانه : الحاجة　　ب - المجفرة : المنتفخة الواسعة ، والحرف: الضامرة ، و الشمله : السريعة الخفيفة ، و الاوقال : ضرب من السيـر، و الأين : الإعياء ، و الذعلب : الخفيفة ا لسريعة .

١ - ديوان علقمة ص ٨٦ ، ٨٧ .　جـ - الدف : الجنب　د - الصناع: المرأة الرقيقة الكف ، الحازقة العمل ، و النصيف : الخمار ، المحجر: ما حول العين ، و المثقب : الذى جعل نقابا على الوجه .
هـ - الحاذان : ما استقبلك من الفخذين اذا استدبرت الدابة ، و تشـذرت: أى تصعبت و تلوث و ضربت بذنبها . و - المهذب : الـــــوداء ذو الهدب .

و من كل ما تقدم تتضح لنا صورة الناقة عند " علقمة " فهى ناقة قويه ذات همه عاليه ، و هى نشيطة ، سريعة ، دءوب ، مصابرة ، مثابرة ، تحتمل الشدائد ، و تعتد المخاطر ، تدفع به من أرض ، إلى أرض ، و تحمله ، من بلد ، إلى بلد ، فى حر الرّمضاء ، و سموم الفلاة ، فى هدأة الليل ، و هجير النهار ، محققه له ، آماله ، و مآربه ، من وصل ، أو هجر ، فتصله بالملوك فى أقاصى البلدان ، و تصله بمحبوبته التى طواها ركب أهلها ، مباعدا بينها و بين من تعلّق بها ، وتعلقت به ، و كما تصله بمن يريد فهى تبتعد به عمن يريد الابتعاد عنه .

ومن هنا جاء حب البدوى بعامة لناقته ، و هيامه بها ، فهو ما عهدها إلاّ مطيعه خاضعه ، و ما وجدها إلاّ منفذه لرغباته ، لا تتأبى عليه ، ولا ترفض ما يبغى ، و مايريد .

و الشاعر يدرك مدى الإعياء الذى يلحق بالناقة من جراء ما يكلفها - مكرهاً - من عناء السفر ، و مشقة الطريق يقول علقمة :(١)

وَ عِيسٌ بَرَيْنَاهَا كَأَنَّ عُيُونَهَا قَوَارِيرُ فى أَدْهَانِهِنَّ نُضُوبُ (أ)

فالشاعر يتحدث عن نوق براها من كثرة السفر ، حتى جف ماء عينيها ، فأضحت عيونها كقوارير جف هنها الطيب . صورة مستمده من البيئة التى تحيط بالشاعر ، توضح ، و تدل على مدى ما لاقت هذه الإبل من عناء ، .... و مشقة ، حتى غارت عيونها ، و ليس هذا بغريب ، فعلى مثلها يقطع الشاعر الصحراء الموحشه ، الممتده ، المهلكة .

---

١ - ديوان علقمة - ص ١١٩ . أ - العيس : هى الإبل التى تعلو بياضها حمرة ، و بريناها : أى اتعبناها ، و القوارير : جمع قارورة ، و هى ما قر فيه الشراب . و نضوب : أى جفاف

فلننظر اليه و هو يصف تلك الصحراء ، فيقول : (١)

وَ قَدْ أَقْطَعُ الخَرْقَ المَخُوفَ به السُّرَى ... بِعَنْسٍ كَجَفْنِ الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ (أ)
كَأَنَّ ذِرَاعَيهَا عَلَى الخَلِّ بَعْدَ مَا ... وَنَيْنَ ذِرَاعَا مَائِحٍ مُتَجَرِّدِ (ب)

و فى هذين البيتين نرى الشاعر مُتأثرا بطبيعته البدوية ، و حياة الصحراء الجافة ، الضنينه ، و التى يحياها فى كل لحظة ، فنراه يذكر فى حديثه عن ناقته ، عادة من عادات الجاهليين البدو و هى " منح " الماء و متح الماء من الآبار الصغيرة كان يقوم به السقاة . و كان العرب يسمون من يستقى من البئر - إذا نزل فيها لقلة مائها - ليملأ دلوه - كانوا يسمونه المائح (بالهمزة ، لا بالتاء) . أما " الماتح " فهو الذى يستقى على حافة البئر . فعلى هذه الصورة يكون المائح . أسفل من الماتح واقفا تحته يناوله الدلو بعد أن يملأها . ليناولها الأخير بدوره لمن هو خارج البئر .
وجاء فى مجمع الأمثال " للميدانى . " أنا أعلم بكذا من المائح باست الماتح " (٢) (هكذا جاء فى مجمع الأمثال) :

" فعلقمة " هنا يصور ذراعى ناقته بعد ما كلّتا و قل لحمها بذراعى " المائح " الذى أنهكت قواه مشقة حمل الدلو المملوءة حتى نحفت ذراعاه و بدا عليه هزال و ضعف .

١ـ ديوان علقمة - ص ١٢٢ . أ - الخرق : الارض المنخرفة ، الواسعه التى تنخرق فيها الرياح . و العنس : الناقة القوية ، الشديدة . و الفارسى : صفة لمحذوف أى السيف الفارسى . ب - الخل : مصدر خل لحمه : أى قل و نحف . وونين : من الونى و هو الضعف . و المائح المتجرد : الذى يشمر ذراعيه ، و ينزل ليستقى من البئر .

٢ - مجمع الأمثال : للميدانى - ج ١ - ص ٦٧ .

و هكذا نرى أن حديث " علقمة " عن الناقة قد طال و امتد و كأن أمامنا هذا الفيض الزاخر من الشعر فيها . و هذه كلها دلالات على ما يكنه العربيّ الجاهلى لناقته من حب و تقدير ، فمن أحب شيئا لذّ له ذكـــره كل وقت و حين .

و بعد أن استغرضت وصف " علقمة " للناقة ، و وقفت عند كل دقيقه و جليله فيه ، و رأيت أنه استغرق حيزا ضخما من شعره أرى أن أتنـــاول فيما يلى ، ما يأتى بعد الناقة فى الأهمية لدى البدوى أو - كما وجدت - .. لدى " علقمة " بصفة خاصة - و إن ما يلى الناقة أهمية عند " علقمة " هـو فرسة . و سأتناول فيما يلى و صف " علقمة " للفرس ، أيا كانت هـــــذه الفرس للحرب أو للصيـــد .

ب - <u>وصف الفـــرس</u> :

الفرس كالناقة تماما بالنسبة للبدوى المقيم بالصحراء ، فهــــــــو لا يستطيع الاسغناء عنهما فى حله و ترحاله ، فعليهما يقطع أسفــــــاره الطويله المضنية ، و على الفرس بالذات يدخل غمار الحــــروب، فيصول فيها و يجول ، معتمدا على قوة فرس سريعة ، نشطة ، تكفل لــــــه النيل من أقرانه فيحقق نصرا باتت تحلم بـه نفسه ، و بهواه فؤاده ، وكما أطال " عقلمه " فى وصف الناقة و أجاد ، نراه أيضايصف الفرس فيطيـــل فيه أيضا ويجيد . يقول " علقمة " و هو فى معرض حديثه عن فـــرس الحرب عنده ، يصفها ، و يعدد خلائقها ، و مزاياها - يقول - :[1]

١ - الديوان - ص ٧٣ ، ٧٤ .

وَقَدْ أَقُودُ أَمَامَ الحَيِّ سَلْهَبَـــةً ... يَهْدِي بِهَا نَسَبٌ فِي الحَيِّ مَعْلُومُ (أ)

لا فِي شَظَاهَا وَلا أَرْسَاغِهَا عَنَتٌ ... وَلا السَّنَابِكُ أَفْنَاهُنَّ تَقْلِـيمُ (ب)

سُلَّاءَةٌ كَعَصَا النَّهْدِيِّ غُلَّ بِهَـا ... ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانَ مَعْجُـومُ (جـ)

تَتْبَعُ جُونًا إِذَا مَا هُيِّجَتْ زَجِلَتْ ... كَأَنَّ دَفًّا عَلَى عَلْيَاءَ مَهْـزُومُ

فعلقة فى الأبيات السابقة ، يذكر أنه يقود أمام قومه فرسا طويلة ، وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على أنه كان يتقدم قومه عند المخاطر و الأهوال . و هذا راجع لخبرته الطويله و تجاربه العديدة ، و لقد كان من عادة الجاهليين إذا أرادوا الغزو ركبوا الإبل ، و قادوا أمامهم الخيل، و هذا أوفر لقوتها، و إذخار لجهدها حتى يحين وقت المعركة ، و فرس علقمة تلك التى يقودها أمام الحى معروفة بنسبها الكريم . و نجابتها العريقة معروفة بعظام ذراعيها وحوافرها الصلاب التى لم تستطع الأرض أن تقلمها .

و هى فرس من طول الحرب و المراس ، دق صدرها و عظم عجزها ، فأصبحت دقيقة كشوكة النخيل ، خفيفة كعصا الرجل النهدى ، التى طالما استخدمها متوكئا عليها طوال عمره المديد حتى املاست ، و خفت . هذه الفرس الضامرة الطيبة ، المرهفة الصدر قد خلق لها فى بطن حوافرها نسور صلاب كأنها من نوى قران المشتهر بصلابته و قوته .

و هكذا تبدو لنا فرس علقمة كناقته تماما ،قوة ، وصلابة ، و نجابة .

أ - السلهبة : الفرس الطويلة .   ب - الشظى : عظم لاصق بالذراع .

جـ - السلأة : شوكة النخلة ، شبه بها الفرس فى دقة صدرها . و النهدى: رجل من " نهد " وهى قبيله من أهل نجد. و قران : قرية باليمامة اشتهرت بنخيلها .

و تلك الصورة التى رسمها " علقمة " لفرسه " كانت لفرس الحرب عنده ، التى يقودها ليغزو بها أعداءه مع الغازين من قومه و أبناء حيه.

أما حين يخرج الشاعر للصيد - و هذه عادة أغلب الجاهليين - فإنه لا غَنَاء له فى مثل هذه الحالة عن جواد عتيق يركبه و يخرج به فى صيده قبل شروق الشمس ، و مازال الندى يغطى نبات الأرض .

عن هذا الجواد يحدثنا " علقمة " فى صورة مطوله ، يرسمها لجواده .. الذى يمتطيه يوم أن يقصد صيدًا ، أرى لكى تكتمل أمام أعيننا اهتمامات الشاعر بجواده - أن أورد هذه اللوحة كاملة . فى هذه اللوحة يحدثنا عقلمة عن غدوة للصيد على جواد ، فطن ، مجرّب تدور بين هذا الجواد و بين شياه كانت ترتعى بخميلة - تدور بينهما - معارك ضارية يحقق الجواد فيها لصاحبه و قومه ، صيدا طالما تمناه الشاعر ، يقول علقمة: (١)

و قد أَغْتَدِي و الطَّيرُ فى وُكُناتِهَا ... و ماءُ النَّدى يجْرى على كُلِّ مِذْنَبِ (أ)

بِمُنْجَرِدٍ قيدِ الأوابدِ لَاحَهُ ... طِرادُ الهَوادِي كُلَّ شأوٍ مُغَرِّبِ (ب)

بِغَوجٍ لبَانُه يُتَمّ بَرِيمُهُ ... عَلَى نَفْثِ رَاقٍ خَشْيَةَ العَيْنِ مُجْلَبِ (جـ)

كُمَيْتٍ كلَوْنِ الأُرْجُوانِ نَشَرْتَهُ ... لِبَيْعِ الرِّداءِ فى الصُّوان المُكَعَّبِ (د)

مُمَرٍّ كَعَقْدِ الأنْدَرِيّ يزِينُهُ ... مَعَ العِتْقِ خُلْقٌ مُفْعَمٌ غيرُ جَانِبِ (هـ)

أ - الوكنات : جمع وكنه و هى موضع الطائر ، والمذنب : مسيل الماء إلى الروض .

ب - المنجرد : الجواد القصير الشعر ، و الشأو المغرب : الطلق البعيدد و أى الغاية البعيدة) .

د - الأرجوان : الصبغ الاحمر ، والصوان : التخت .

جـ - البريم : الخيط الذى تعلق به التمائم ، و الغوج : الواسع الصدر .

و - الممر : الشديد الصلب ، وعقد الأندرى : الحبل المفتول من جلد ينسب إلى قرية بالشام هى " الأندرين " .

لَهُ حُرَّتانِ تَعرفُ العِتقَ فيهمـــا ... كسامِعَتَيْ مذعورةٍ وَسْطَ ربــرب

و جوفٌ هواءٌ تحتَ متْــن كأنّــه ... مِنَ الهضْبة الخَلْقاء زُحلوقُ مَلْعَب

قَطَاةٌ ككردوسِ المَحَالةِ أشْرفَــتْ ... إلى سَنَدٍ مِثْلِ الغَبيطِ المُــذأّب (أ)

و غُلْبٌ كأعناقِ الضِّباعِ مَضيغُهـــا ... سِلامُ الشَّظى يَغشَى بهاكلَّ مَركَب (ب)

و سُمْرٌ يُفَلِّقْنَ الظِّرابَ كأنَّهـــا ... حِجارةُ غَيْلٍ وارِساتٌ بطُحلُب (جـ)

إذا ما اقْتَنَصْنا لم نُخاتِلْ بِجُنَّــة ... و لكنْ نُنادي مِنْ بعيدٍ ألا اركَب (د)

أخاثِقَةٍ لا يَلْعنُ الحيُّ شَخْصَــهُ ... صَبوراً على العِلّات غيرَ مُسبَّب (هـ)

إذا أنفَذوا زاداً فإنَّ عِنانَـــهُ ... و أكرُعَه مستعملاً خيرُ مكسَب

رأينا شِياهاً يرتَعينَ خَميلَـــةً ... كمَشْيِ العَذارى في المُلاءِ المُهدَّب

فبينا تَمارِينا و عَقْدُ عِـــذارِه ... خَرَجْنَ علينا كالجُمانِ المُثقَّب (و)

فأتبعَ آثارَ الشِّياهِ بِصـــادِقٍ ... حَثيثٍ كغَيْثِ الرائحِ المتحلِّب (ز)

تَرى الفأرَ عن مُسْتَرْغَبِ القَدْرِ لائحاً ... على جَدَدِ الصَّحْراءِ مِن شدِّ مُلهِب (حـ)

خَفَى الفأرَ مِنْ أنفاقِهِ فكأنّمـــا ... تَخلَّلَهُ شُؤْبوبُ غَيْثٍ مُنقِّب (ط)

أ - القطاه : موضع جلوس الردف على مو خرة الفرس ، الكردوس : العظيم التام الضخم ، و الغبيط : من مراكب النساء .

ب - الغلب : القوائم الغليظة الشديدة ، و سلام الشظى : أى سلم من أن.. يعتل عظم زراعيه .

جـ - السمر : حوافره ، والظراب : الحجارة الناتئة .

د - لم تخاتل : أى لم نخدع الصيد فنستتر عنه .

هـ - اخانقه : يوثق به لسرعته ، و غير مسبب أى لا يسبه أحد .

و - العذار : اللجام . ز- بصادق : أى يجرى صادق .

حـ - عن مسترغب القدر : أى بسبب خطو بعيد واسع .

ط - خفى الفأر : أى أخرجه و أظهره .

تَظَلُّ لثيرانِ الصَّريمِ غَمَائمٌ … يُداعِسُهن بالنَّضِيّ المُعلَّبِ (أ)

فهاوٍ على حُرِّ الجَبينِ و مُتَّقٍ … بِمِدْرَاته كأنَّها ذَلْقُ مِشْعَبِ (ب)

و عادَى عِداءً بين ثورٍ و نَعْجَةٍ … وتَيْسٍ شَبُوب كالهَشيمَةِ قَرْهَبِ (جـ)

فقُلْنا ألا قد كانَ صَيْدٌ لقانِصٍ … فَخَبُّوا علينا فَضْلَ بُرْدٍ مُطَنَّبِ (د)

فظَلَّ الأكُفُّ يَخْتَلِفْنَ بِحانِذٍ … إلى جُؤْجُؤٍ مِثْلِ المَدَاكِ المُخَضَّبِ (هـ)

كأنَّ عيونَ الوحشِ حَوْلَ خِبَائِنَا … و أرْجُلِنَا الجَزْعَ الذى لم يُثَقَّبِ (و)

و رُحْنَا كأنَّا مِنْ جُوَاثَى عَشِيَّةً … نُعالِي النِّعَاجَ بَيْنَ عِدْلٍ و مُحْقَبِ (ز)

و راحَ كشاةِ الرَّبْلِ يَنْفُضُ رأسَهُ … أذاةً بِهِ مِنْ صائِكٍ مُتَحَلِّبِ (ح)

و راحَ يُبَارِي فى الجَنَابِ قَلُوصَنَا … عَزِيزًا علينا كالحُبَابِ المُسَيَّبِ (ط)

تلك صورة كاملة يصف فيها " علقمة " جواده الذى يمتطيه يوم أن ينوى على الصيد ، فيخرج مع الفجر ، و السكون يخيم على الكون ، والطير مازالت فى أعشاشها لم تبرحها بعد.

يخرج الشاعر ممتطيا جودا قصير الشعر ، معروفا بعنقه ، قد أضمرته مطاردة الوحش المستمرة ، و قد علقت التمائم فى عنق هذا الجواد خشية أن يصيبه حسد .

أ - الغماعم : أصوات تصدر منها عند جريها أو مونها إثر الطعن .
و النضى : القناة الطويله ، و المعلب : المشدود بالعلباء .

ب - المدراة : القرن ، ذلق : حد و طرف ، و المشغب : مخرز الإسكاف.

جـ - التيس : ذكر الظباء . د - البُرد : الثوث الموشى.
و المطنب : المشدود بالطنب هـ - الحانذ : المشوى النضيج.

و - الجزع : الخرز ز - جواثى : قرية بالبحرين كثيرة التمر.

حـ - شاة الربل : ثور الوحش ط - قلوصنا : أى إبلنا . (أى ان الجواد.. راح يبارى الإبل فى طريق عودتهم) . و الحباب : الحية .

و يستطرد " علقمة " وصف جواده فيتناول أعضاء جسده و يصفها وصفا دقيقا متناولاً لونه ، و قوته المتمثله فى قوة جسده ، و قوة سمعه ، و قوة قوائمه ، و سلامتها ، و كذلك شدة حوافره التى تفلق الحجارة . الناتئه فى الصحراء ، و علقمة فى وصفه هذا بل فى كل وصف له تظهر آثار البيئة عليه ، فهو يستمد صوره من معينها الذى لا ينضب فإذا أردا علقمه أن يصور لنا قوة حوافر جواده قال : إنها تفلق الحجارة الناتئة فى الصحراء . و الحجارة الناتئة فى الصحراء قد خبرها الشاعر ، و عرفها عن قرب ، فلمس فيها الشده و الصلابه و العناد ، ومقاومة مظاهرالطبيعة و هذه الصورة أثر من آثار البيئة فى شعر علقمة . يقول أديب باحث درس أمرأ القيس - يقول - عن أثر البيئة فى الشاعر :

يجب ألا ننسى تأثير البيئة التى نشأ فيها شاعرنا ، فتجعله كل شيء ، و تضيف إليه كل شيء ، و نمحو تلك البيئة التى نشأته ، و كونته و تضافرت على تربية جسمة ، و عقله ، ومشاعرة ، فهو فى حقيقة أمره .... ظاهرة من ظواهرها و أثر من آثارها ، تلقى على يدها ماجال بخاطره ، ...... و أخذ عنها ما أوحت به شاعريته "[1] .

و هكذا كان علقمة فى كل صورة رسمها ، إمّا للناقة ، و إمّا للفرس ففرس الحرب عنده كما رأينا فى صورة رسمها " علقمة " مظهرا فيها قوتها ، و شدتها ، و جواده الذى يمتطيه يوم يخرج عليه يبغى صيدا ، و الذى أوردت فيما سبق لوحة كاملة رسمها له علقمة و تحدث فيها

---

١ - أمير الشعر فى العصر القديم - أمرؤ القيس - محمد صالح سمك - دار نهضة مصر للطبع و النشر . ص ٤٧ .

عن لونه ، و قوته ، فهو أحمر اللو ن كالأرجوان ، شديد صلب كحبل فتـــل من جلد كما يصنع أهل (الأندرين) . له أذنان يسمع بهما أقل شيء كأنهما أذنا بقرة وحشية مذعورة . و هبها الله سبحانه سمعا دقيقا حتى تستطيـــع حماية نفسها من غوائل الصحراء ، إنه جواد ضخم كأنه الهضبه ، و متنـه أملس كأنه زحلوق فى صخرة مـلـساء . قد منح الله هذا الجواد قوائـــــم غلاظا شداداد تشبه أعناق الضباع فى الغلظ و الشدة ، عظامها سليمـــة ، يستطيع هذا الجواد أن يغشى بها كل طريق . و للجواد كذلك حوافـــــر سمر صلاب لا تو ثر فيها صخور الصحراء . بل تستطيع هذه الحوافـــــــر - لشدتها و صلابتها - أن تفلق هذه الصخور . كل هذه الصفات جعلت الشاعر يفخر بأنه الواثق فى كرم جواده ، المطمئن إلى نجابته ، و ســـــرعتـــه فلا يخادع الصيد ، ولا يختبيء له . و لكن ينادى من بعيد و بصوت عـــال. هيا للركوب ، فقد سنح لنا الصيد ، ونحن من سرعة جوادنا لواثقـــو ن، و من حتمية لحاقه بصيده لمطمئنـون .

ان علقمة فى وصفه لجواده ، لا يبدو مبالغا ولا مغرقا فى الخيـــــال و إنما يرسم صورة جواده كما يراها بواقعها ، و حقيقتها ، و هكذا كا ن العربى فى جاهليته ، يقول أحد الباحثين فى أدبنا القديم : " العربـــــى مفطور على الصراحه مع نفسه ، و مع الآ خرين ، وله من حياته البدوية ما يوازر صراحته هذه ، و من شجاعته ، و فطرته البسيطه غير المعقـــد ة ما يحقق هذه الصراحة فينطق عما يختلج فى نفسه دون تزوير ، أو خداع[1] .

---

١ - الأصول الفنية للشعر الجاهلى . د. سعد إسماعيل شلبى - ص ٣١ .

و صراحة الشاعر البدوى جعلته واضحا وضوح الشمس فى نهار الصيف ، صورة مستمده من واقعه ، و مما تقع عليه عيناه ، ينقل ذلك كله إلى السامع و القارئ بكل دقة صحيحا بعد أن يتفاعل مع وجدانه و بعد أن ينصهر داخل نفسه و يترك عليها بصماته التى تبدو واضحة المعالم جليه من خلال ألفاظ الشاعر و معانيه ، تلك التى بدت لنا عند علقمة فى أبياته التى صور فيها جواده . ممثلة فى حب عميق لهذا الجواد ، وولع بالحديث عنه . فلا يمل الشاعر إذا ما تحدث عن جواده ، بل يزيده الحديث عنه لذة لا تعدلها لذة . و يستطرد علقمة ليكمل لنا صفات ذلك الجواد ذاكرًا : أنه جواد كفيل أن يضمن للقوم زادهم إذا مانفذ ما لديهم من زاد . و يستخدم علقمة ذلك كله مدخلا ليروى لنا قصة صيد ذلك الجواد عندما رأى الشياه ترتمى فى الخميله . و بدت لهم هذه الشياه كعذارى يرتدين ملاءات ذات هُدَب لبياض ألوانها ، و سواد أرجلها ، و هذه أيضا صورة طالما وقعت عليها عينا الشاعر البدوى . و كم هو واضح هذا و هو يرسم لنا صورة التى يستمدها من واقعه ، لا من خياله .

و نزعة الوضوح هذه كما يقول أحد الباحثين " أثمرت لنا أدبا قريبا من الواقع ، بعيدا عن المبالغه و الإغراق[1].

رأينا شِيَاهًا يرتَعِينَ خَمِيلَــــةً كَمَشْيِ العَذَارى فى المُلَاءِ المُهَدَّبِ[2]

---

١ - المرجع السابق - ص ٣٣ .

٢ - ديوان علقمة - ص ٩٣ .

ما يقدم لضيفان كرام لم يعرفهم إبراهيم بعد . يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك " **و لقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ** " .

و هذا من علقمة ، ليدل الدلاله القاطعة على مدى تنعمه و صحبه و ترفهم و طيب مأكلهم و مشربهم . أكل القوم و تكاثرت حول خبائهم عيون الصيد المصرع و التى يشبهها " علقمه " بالخرز الذى فيه بياض وسواد جعله " علقمة " غير مثقب و ذلك أتم لحسنه .

و بعد أن أكل القوم و استراحوا بدأوا يحملون ما بقى معهم من نعاج فى أعدالهم ، و حقائبهم ، و كأنهم تجار من " جُواثى " تلك القرية التى ترفأ إليها السفن من الهند حامله أنواعا شتى من البضائع الهندية ، و غيرها ، ينزلها تجار العرب ليحملوا منها كل ما يحتاجون إليه .

و بدأ جواد " علقمة " بعد هذا الشوط الطويل من التعب و الجهد ، ينفض عنه ما آذاه من عرق لصق برأسه و جسده . و فى طريق العودة و حينما قصد القوم ديارهم ركب الشاعر ناقته مع قومه ، و قاد جواده إلى جانب النياق فجعل هذا الجواد يبارى الإبل ، و يعارضها فى سيرها ، رغم مانله من جهد بمطاردة الصيد ، و هذا أدلّ على عتقه ، و كرمه ، و نفاسته ، و نجابته .

و هكذا تنتهى صورة من أجمل صور الصيد فى الشعر الجاهلى ، رسمها

---

١ ـ القرآن الكريم ـ سورة هود (آية) رقم ٦٩ .

لنا " علقمة " مظهرا فيها جواده على هذا النحو من القوة ، والمتانة و شدة الاحتمال .

و بذا يتضح لنا أن الناقة والفرس قد شغلا فى وصف " علقمة " حيزا ليس بالقليل . و إنّ كان الشاعر قد تعرض فى وصفه إلى ما هو غير الناقة ، و غير الفرس .

فقد وصف " علقمة " أيضا الظعن[1] . (موكب المحبوبة) عندما تغادر محبوبته مكان نزول الشاعر . و سوف أتناول فيما يلى وصف " علقمة " للظعن .

وصف الظعن :

" الظعن " فى الشعر الجاهلى لون غنائى عذب ، وقف الشعراء عنده ، و أطالوا الوقوف . و فاضت لواعج صدورهم بأغاريد زاخرة بالحب مليئة بالحنين ، ممزوجة بالحزن . و صف الشعراء الظعائن ، و تتبعوا أماكنها ، و ذكروا طرقها فأنجدوا و أسهلوا و تحدثوا إلى المرأة الظاعنه ملتمسين ودها . وراحوا يرقبون رحيل أحبائهم ، وحمول صاحباتهم ، بعدها يسكن الحزن نفوسهم ، و تفيض بالدمع أعينهم فيبكون بحرقة و يجأرون بالشكوى ، فلحظات الوداع قاسية موجعة . و الفراق مؤلم محزن . و " علقمة " عاش تجربة الارتحال

---

١ - الظعن فى اللغة (يقال : ظعن ، ظعنا ، و ظعونا و مظعنا : سار ورحل . و ظعنوا عن ديارهم : أى رحلوا عنها . و أظعنه : سيّره . وأظعن الهودج: ركبه . و الظعان : الحبل يشد به الهودج.

=

بعاطفة جياشة ، و مشاعر دفاقة . و تناول شعر الظعن بحماسة وانفعال شديدين . فجاء شعره رقيقا عميق التأثير ، مع قوته و جزالتـــــه .

يقول " علقمة " و قد رأى أهل المحبوبه ، قد زمّوا ركابهم ، واستعدوا للرحيل تاركين مكانا طالما جمع الحبيبيـن .(١)

هَلْ ما علمتَ و ما استُودعتَ مكتومُ   أم حبلُها إذْ نأتك اليومَ مصـــرومُ

أمْ هلّ كبيرٌ بكَى لم يقْضِ عَبرتَــهُ   إثْرَ الأحبّةِ يومَ البَيْنِ مَشكــــومُ (أ)

لم أدْرِ بالبَيْنِ حتَى أزمعُوا ظُعُنًــا   كلُّ الجمالِ قُبَيلَ الصُّبحِ مَزمــومُ

ردَّ الإِ ماءُ جمالَ الحَيّ فاحْتملـوا   فكلُّها بالتَزيديّاتِ مَعكـــــومُ (ب)

عَقْلًا و رقْمًا تظلُّ الطّيرُ تتبعُــهُ   كأنّه مِنْ دَمِ الأجْوافِ مَدمـــومُ (جـ)

يَحْمِلنَ أتْرُجّةً نَضْحُ العَبيرِ بهَــا   كأنّ تَطْيابَهَا فى الأنْفِ مشمــومُ (د)

كأنّ فَارَةَ مِسْكٍ في مَفارقِهـــا   لِلباسِطِ المُتعاطِي و هْوَ مزكـــومُ (هـ)

= و الظعون ، و الظعان ، و الظعو نة : جمع ظعن : البعير يحمل عليـــه الظعينه : جمع ظعائن ، و ظعن ، و ظعن . و جوع الجمع : أظعـــان و ظعنان : الزوجة أو المرأة مادامت فى الهودج . يقال : هولاء ظعائنـــه : أى نسائه . و المظعان من الخيل و النوق : السهلة السير . (ينظـــر فى ذلك : المنجد ـ ص ٤٨٠) .

١ ـ ديوان علقمة من ص ٥٠ حتى ٥٣.   أ ـ المشكوم: المجـــازى

ب ـ التزيديات : ثياب منسوبة إلى تزيد بن حيدان من (قضاعة) و قيـــل هى الهوادج .

جـ ـ العقل و الرقم : ضروب من البرود ، شديدة الحمرة .

د . اترجة : امرأة طليت بالزعفران .

هـ ـ فارةالمسك : وعاوه . و قيل : فارة المسك : دابة صغيرة كانت تذبح و يجمع دمها فى حقيبه من جلد و يجمد فيصير مسكا .

و هكذا يبدأ الشاعر الحديث عن نأى الحبيبه ، وهو فى حيـــرة من أمر حبه معها ، هل سيظل مكتوما ، لا يدرى به أحد ، أم سيفشــى سر ذلك الحب و ينتشر بين أودية الصحراء وو هادها ، و يبـــــدو إعزاز الشاعر لمحبوبته ظاهرا جليا ، فقد آلمه فراقها ، فهطلت عينــاه بالدمع فى إثرها ، لم يمنعه كبره من أن يذرف الدمع عليها ، فلقــد وقع الشاعر فريسه المفاجأة .. إذ أنه لم يكن يدرى بنيه قوم المحبوبة ، و بأنهم قد أزمعوا الفراق . فما فوجئ إلا بالجمال قد شدت بالزمام ، و قد نشط الإماء إلى الجمال و ردوها من مراعيها استعدادا للرحيل .

و هو لاء الإماء يجللن الهوادج بضروب من البرود الحمراء ، و التى يراها الطير فيظل يضرب بجناحيه ظانا أنها لحوم مدمومة ، لشـــدة احمرارها . و هذه الجمال تحمل فى تلك الهوادج محبوبة الشاعـــر .

تلك المحبو بة التى تفوح منها رائحة العبير و كأنها تحمل فـــى وسط رأسها فارة المسك يفوح منها ، فاذا امتدت إليها يد إنســـان نمى إليه عرفها و أحس تلك الرائحة الذكية ، و إن كان مزكومــــــا لا يستطيع أن يشم ، ولا أن يميّز الروائح من بعضها ، إلا أن طيب هــذ ه المحبوبة لا يحجبه زكـــام .

فوصف الشاعر للظعن ، قد جاء موحيا بمشاعر وأحاسيس تموج بها نفسيته . فقد حمل لهذاالظعن أجمل الذكريات التى عاشها الشاعـــر ، و هو قريب من هذه المحبوبة و لكم وجد الشاعر فى حديثه عن الظعائن ارتياحا لنفسه ، و اطمئنانا لقلبه ، فيهيم الشاعر متحدثا عن المحبوبـــه

التى أخذت زينتها يوم الرحيل . و ليست المحبوبة هى القـــــى تزينت فحسب - كما رأينا - بل الإبل أيضا قد أخذت زينتها إذ وضعوا عليها ثيابا حمراء جميلة كالعقل و الرقم[١] اللذين ذكرهما " علقمــه و هو ظعن محبوبته .

و وصف الظعن قديم قدم الشعر الجاهلى . فقد طرقه كل شعـــرا ء الجاهلية - بل منهم من جعله - مقدمة لقصيدته بدلا من الغزل أو وصف الطلل . يقول د. حسين عطوان : " لم تكن المقدمة الطلليـــــــــــة ، و المقدمة الغزلية على ما لها من شيوع فى قصائد الشعر الجاهلـــى - المقدمتين الوحيدتين اللتين افتتح بهما الشعراء قصائدهم بل كانت هناك مقدمات أخرى على رأسها تصوير مناظر التحمل والارتحال[٢] .

لذا نجد أن من أقدم الشعراء الجاهليين من وصف الظعن فـــــى شعره . فهذا هو " عبيد بن الأبرص " الذى يسبق كلا من امرىء القيس و علقمة بن عبده . يقـــول " عبيد بن الابرص " متحدثا عن ظعـــــــن محبوبتـــة:[٣]

---

١ - يقول ابن منظور فى لسان العرب : العقل و الرقم من ثيـــــــاب اليمن " و العقل أثوابا حمراء كان العرب يسدلونها على الهــوادج أما الرقم فهو نوع من البرود المخططه . لسان العرب - لابـــــن منظور - دار صادر بيروت ١٣٧٤ هـ - ج ٦ - ص ٩٠ .

٢ - مقدمة القصيدة العربية فى الشعر الجاهلى : د. حسين عطوان ص١٣٧

٣ - ديوان " عبيد بن الأبرص " تحقيق د. حسين نصار ص١٢٧ ، ١٢٨ .

لِمَنْ جِمَالٌ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مَزْمُومَةْ ... مُيَمِّمَاتٍ بِلاداً غَيْرَ مَعْلُومَةْ

عَالَيْنَ رَقْماً وَ أَنْمَاطاً مُظَاهَرَةً ... وَ كِلَّةً بِعَتِيقِ العَقْلِ مَرْقُومَةْ

لِلْعَبْقَرِيِّ عَلَيْهَا إِذْ غَدَوا صَبَحٌ ... كَأَنَّهَا مِنْ نَجِيعِ الجَوْفِ مَدْمُومَةْ (أ)

كَأَنَّ أَظْعَانَهُمْ نَخْلٌ مُوسَّقَةٌ ... سُودٌ ذَوَائِبُهَا بِالْخَمْلِ مَكْمُوسَةْ

فِيهِنَّ هِنْدٌ وَ قَدْ هَامَ الفُؤَادُ بِهَا ... بَيْضَاءُ آنِسَةٌ بِالحُسْنِ مَوْسُومَةْ

وإلى جانب " عبيد " نرى شاعرا آخر هو " بشر بن أبي خازم " يقول مفتتحا قصيدة له بوصف الظعن:(١)

أَلاَ بَانَ الخَلِيطُ وَ لَمْ يَزَاوُوا ... وَ قَلْبُكَ فِي الظَّعَائِنِ مُسْتَعَارُ

يَؤُمُّ بِهَا الحُدَاةُ مِيَاهَ نَخْلٍ ... وَ فِيهَا عَنْ أَبَانَيْنِ ازْوِرَارُ

أُسَائِلُ صَاحِبِي وَ لَقَدْ أَرَانِي ... بَصِيراً بِالظَّعَائِنِ حَيْثُ سَارُوا

أُحَاذِرُ أَنْ تَبِينَ بَنُو عَقِيلٍ ... بِجَارَتِنَا فَقَدْ حُقَّ الحِذَارُ

فَلأْياً مَا قَصَرْتُ الطَّرْفَ عَنْهُمْ ... بِقَانِيَةٍ وَ قَدْ تَلَعَ النَّهَارُ

بِلَيْلٍ مَا أَتَيْنَ عَلَى أَرُومٍ ... وَ شَابَةَ عَنْ شَمَائِلِهَا تِعَارُ

كَأَنَّ ظِبَاءَ أَسْنُمَةٍ عَلَيْهَا ... كَوَانِسَ قَالِصاً عَنْهَا المَغَارُ

يُفَلِّجْنَ الشِّفَاهَ عَنِ اقْحُوَانٍ ... جَلاهُ غِبَّ سَارِيَةٍ قِطَارُ

وَ فِي الأَظْعَانِ آنِسَةٌ لَعُوبٌ ... تَيَمَّمَ أَهْلُهَا بَلَداً فَسَارُوا

مِنَ اللاَّئِي غُذِينَ بِغَيْرِ بُؤْسٍ ... مَنَازِلُهَا القَصِيمَةُ فَالأُوَارُ

أ - الصبح : بياض في حمرة ، و النجيع : الدم الطري ، مدمومة : اي مطلبة .

١ - المفضليات - المفضلية رقم ٩٨ - ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

و إلى جانب " عبيد " و " بشر " ترى شاعرًا آخر هو " عنترة بن شداد " يصف الظعن و يوليه اهتماما بالغا .. و ما أراه إلا متأثرا بعلقمة . إذ استخدم ألفاظه ، و تراكيبه فى وصف الظعن إذ يقول فى معلقته :(١)

كَيْفَ المزارُ و قد تربَّعَ أهلُها ... بعُنَيْزتين و أهْلُنا بالغَيْلَمِ

إنْ كنتِ ازْمَعْتِ الفِرَاقَ فإنَّمَا ... زُمَّتْ رِكابُكُمُ بليلٍ مُظْلِمِ

ما رَاعَنِي إلّا حَمُولَةُ أهْلِهَا ... وَسْطَ الدِّيارِ تَسِفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ

فيها اثْنَتَانِ و أرْبَعُونَ حَلُوبَةً ... سُودًا كخَافِيَةِ الغُرابِ الأسْحَمِ

إذْ تَسْتَبِيكَ بِذِي غُرُوبٍ وَاضِحٍ ... عذْبٍ مُقَبَّلُه لَذِيذِ المَطْعَمِ

وكأنَّ فارةَ تاجرٍ بقَسِيمَةٍ ... سَبَقَتْ عوارِضَهَا عَلَيْكَ مِنَ الفَمِ

أوْ روضةٍ أُنُفًا تَضَمَّنَ نَبْتَهَا ... غَيْثٌ قليلُ الدِّمْنِ لَيْسَ بِمَعْلَمِ

هؤلاء الشعراء قد وصفوا الظعن على ما رأينا و لكننا إذا ما قابلناه بوصف " علقمة " للظعن وجدنا فيه شمولا إذ وصف كل ما يتصل بالظعن من استعداد القوم للرحيل ، و ما يسبق هذا الاستعداد من رد الإبل من المراعى و تجهيز للأمتعة ثم مع بداية الرحلة نجد الشاعر يصف بكل دقة هوادج النساء ، و أنواع الثياب التى تغطيها ، و ألوانها و نجد أن اللون الأحمر هو الذى يغلب دائما على هذه الثياب حتى إن الطيور الجارحة لتظن هذه الثياب لحوما فتنقض عليها المَرَّة بعد المَرَّة . ثم نجد علقمة بعد أن يفرغ من تصوير الهوادج يصف محبوبته بزينتها و عطورها ، و فتنتها .

---

١ - المعلقات السبع : للزوزنى - ص ١١١ .

فعلقمة فى تصويرة للظعن قد صور مناظر ثلاثة - هذه المناظر هى : استعداد قوم المحبوبة للرحيل ، ثم ما يسبق ذلك من رد للإبل من المراعى ، ثم الرحلة بما فيها من هوادج ، و محبوبة ، و لم يترك علقمة فى وصفه كبيرة ولا صغيرة الا أتى بها مكملا صورته، و ما هكذا يفعل كل من يصف الظعن .

يقول د. حسين عطوان :

" المناظر الثلاثة لا تظهر بوضوح فى كل المقدمات - يقصد مقدمات الظعن - فقد يكتفى الشاعر بوصف الإبل و هى باركة ، أو واقفة أو سائرة[1]

هذا عن وصف الظعن عند " علقمة " و عند غيره من شعراء الجاهلية . و قد بدأ " علقمة " فى وصفه و قد شمل كل الدقائق الصغيرة و التفاصيل الدقيقة التى تتعلق بالظعن .

وصف المحبوبة :

و كما وصف " علقمة " الناقة و الفرس اللَّذَيْن يستعين بهما على صروف الدهر و نكبات الزمان . و كما وصف الظعن " و هى إبل المحبوبة " التى تحطها بين هوادجها راحلة إلى مكان آخر ، حيث يريد قومها - أقول - كما وصف " علقمة " كل هذا فقد تعرض فى شعره إلى وصف المحبوبة ذاتها ، و تناول فى وصفه لها كل محاسنها الجسدية ، و الخلقية .

---

١ - مقدمة القصيدة العربية فى الشعر الجاهلى - د. حسن عطوان ص ١٤٣

يقول " علقمة " عن هذه المحبوبة لائما قلبه الذى لا يزال معلقا بها شغوفا بالحسان رغم اجتيازه مرحلة الشباب التى هى أنسب مراحل عمر الإنسان للهو و المرح .

يقول " علقمة " واصفا محبوبته:[1]

مُنَعَّمَةٌ لا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا عَلَى بَابِهَا أَنْ تُزَارَ رَقِيبُ
إِذَا غَابَ عَنْهَا البَعْلُ لَمْ تُفْشِ سِرَّهُ وَ تُرْضِي إِيَابَ البَعْلِ حِينَ يَئُوبُ

فمحبوبة " علقمة من قوم منعَّمين مترفين ، لايحيون حياة الفقر و الضنك و إنما يعيشون فى سعادة و رحبة من العيش ، فهى منعمة كذويها و هى أمينة لا تخون زوجها فى غيبته فإذا ما عاد من تلك الغيبة وجدها لعهده حافظة ، فيرضيه ذلك منها .

و إن كان هذا هو حال المحبوبة ، نعيم مقيم ، و سعادة فى العيش و خلق قويم ، و أمانه و حفظ لغيبة الزوج . فإننا نرى " علقمة " بعد أن يصفها بهذه الصفات ، يعاتب نفسه و ينكر عليها تتبعها لهذه المرأة فيقول:[2]

و ما أَنتَ أَمْ ما ذِكْرُهَا رَبَعِيَّةً يُخَطُّ لَهَا مِنْ ثَرْمَدَاءَ قَلِيبُ

فلِمَ التعلق بها ، و قد بعدت عن دياره ، وحلّت فى غير قبيلته ؟ فهى ربعية أى من بنى ربيعة بن مالك بن حنظلة . و الشاعر من ربيعة بن مالك زيد مناة . فهى من غير حيه و عشيرته .

---

١ - ديوان " علقمة " - ص ٣٣ .
٢ - ديوان " علقمة " - ص ٣٥ .

و فى قصيدة " علقمة " الميمية التى مرَّ بنا جزء منها و نحن نتحدث عن وصفه للظعن رأينا صورة لهذه المحبوبة ، يبدو فيها أثر النعيم واضحا على هذه المحبوبة التى اتخذت زينتها عند الرحيل مع قومها ، و تطيبت بطيب ينفذ إلى أنف المذكوم فينتعش له رغم ما به من زكام . يقول " علقمة " فى وصف هذه المحبوبة :(١)

يَحْمِلْنَ أُتْرُجَّةً نَضْخُ العَبِيرِ بِهَا   كَأَنَّ تَطْيَابَهَا فِى الأَنْفِ مَشْمُومُ
كَأَنَّ فَارَةَ مِسْكٍ فى مَفَارِقِهَا   لِلْبَاسِطِ المُتَعَاطِى وَهْوَ مَزْكُومُ

و ما أظن هذه الصورة للمحبوبة إلا امتدادا لصورتها السابقة و ان اختلف اسما كل منهما . فمحبوبته الأولى هى " ليلى " فقد صَرَّح بذكرها و هو يعاتب قلبه على التعلق بها قائلا له :(٢)

تُكَلِّفُنِى لَيْلَى وَ قَدْ شَطَّ وَلْيُهَا   و عَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا و خُطُوبُ

أما محبوبته التى يذكرها و هو يصف الظعن فهى " سَلْمَى " فقد صرّح أيضا باسمها بعد ما ذكر بكاءه و دموعه ، التى هطلت من عينيه فى إثرها و التى شبهها بماء الدلو الكبير ، يذكر لنا سبب كل هذا البكاء فيقول هذا البكاء لأنه تذكرت " سَلْمَى " و يشرع فى وصفها ثانية فيقول:(٣)

---

١ - ديوان علقمة - ص ٥١ ، ٥٣ .
٢ - المرجع السابق - ص ٣٣ .
٣ - ، ، ، ، - ص ٥٦ .

مِنْ ذِكْرِ سَلْمَى وَ مَا ذِكْرَى الأَوَانَ لَهَا ... إِلاّ السَّفَاهُ وَظَنُّ الغَيْبِ تَرْجِيمُ

صِفْرُ الوِشَاحَيْنِ مِلْءُ الدِّرْعِ خَرْعَبَةٌ ... كَأَنَّهَا رَشَأٌ فِي البَيْتِ مَلْزُومُ (أ)

فهو يبدأ كما بدأ من قبل، لائما نفسه على ذكره لهذه المحبوبة النائية، فذكره لها سفه، و طيش. لكنه لا يتمالك نفسه فيشرع في وصفها فهي الضامرة لطول تنعمها و لينها فهي كظبي صغير في حسن عينيه، و طول جيده، و انطواء كشحه، و هذا الظبي يلزم البيت تربيه فيد الجوارى فيلزمنه، ولا يفارقنه، إعجابا به. فعلقمة في تصويره لمحبوبته لم ينس أن يذكر تنعمها و لينها، و رفاهيتها، وحسن خلقها، و أمانتها، و اذا ما تصفحنا شعر علقمة كله فسنجده في قصيدة أخرى يذكر محبوبته و لكنه لا يصرح باسمها. يصفها بالنعيم و كثرة الحلي الذى ترتديه، و لكنها في هذه امرأة تعد ولا تفي، و تزيد من تدللها على الشاعر الذى نراه عزيز النفس أبيا، فيقطع حبال وصله بها فليس هو بضعيف النفس أمام النساء، بل هو قادر على صرمهن. يقول علقمه بعد أن يلوم نفسه إذ هجرت هذه المحبوبة دون سبب يدعو إلى ذلك - يقول - واصفا تلك المحبوبة :(1)

مُبَتَّلَةٌ كَأَنَّ أَنْضَاءَ حَلْيِهَا ... عَلَى شَادِنٍ مِنْ صَاحَةٍ مُتَرَبِّبِ (أ)

مَحَالٌ كَأَجْوَازِ الجَرَادِ وَ لُؤْلُؤٌ ... مِنَ القَلَقِيِّ وَ الكَبِيسِ المُلَوَّبِ (ب)

إِذَا أَلْحَمَ الوَاشُونَ لِلشَّرِّ بَيْنَنَا ... تَبَلَّغَ رَسُّ الحُبِّ غَيْرُ المُكَذَّبِ

أ - الوشاحين : النطاقين المشدودين على الخصر، و الدرع : القميص و الخرعبة : الضعيفة. و الرشأ : الظبي الصغير. (يرجع ذلك إلى ما قاله د. محمد النويهي وهو يتحدث عن هذا البيت في كتابه : الشعر الجاهلي منهج في دراسته و تقويمة. الفصل الخاص بميمية علقمة.

١ - ديوان علقمة من ص ٨٠ الى ص ٨٤ .

=

و ما أَنتَ أَمْ ماذِكرُها رَبَعِيَّةً ... تَحُلّ بإيرٍ أَوْبأَكْنافِ شُرْبُبِ

أَطَعْتَ الوُشاةَ و المُشاةَ بِصَرْمِها ... فقدْ أَنهَجَتْ حِبالُها لِلتَّقَضُّبِ (ج)

و قَدْ و عَدتْك مَوعِدًا لَوْ وفَتْ بِهِ ... كَمَوعُودِ عُرْقُوب أَخاهُ بِيَثْرِبِ

و قَالَتْ وإِنْ يُبْخلْ علَيك و يُعْتَلْ ... تَشَكَّ و إِنْ يكْشَفْ غرامُك تَدْرَبِ

فقُلْتَ لَهَا فِيئِي فَما تَسْتَفِزُّني ... ذَواتُ العُيُونِ و البَنانِ المُخَضَّبِ (د)

فَفاءَتْ كما فاءَتْ مِنَ الأدْمِ مُغْزِلٌ ... بِبيشَةَ تَرْعى فِي أَراكٍ و حُلَّبِ

فَعِشْنَا بِهَا مِنَ الشَّبابِ مُلاوَةً ... فَأَنْجَحَ آياتُ الرَّسُولِ المُخَبِّبِ (هـ)

و هكذا تبدو هذه المحبوبة ضامرة الكشح ، منعمة ، تتزين بحلى في جيدها ، فتصبح كغزال من غزلان صاحة، تربى في البيوت فازداد ... جمالا و رونقا . و حليها شذرات من الذهب و لؤلؤ قد انتظم قلائد فيتدرج على جسدها ، و منه ما كان أجوف و قد حشى بطيب ثم كبس و غطى ، و من ترتدى هذه الحلى فهى ابنة قوم موسرين - و قد شاء القدر أن يتنكر للشاعر فيتدخل الوشاة بينه و بين من يحب . و لكن ذلك لا يزيده إلا إمعانا فى حبها ، و زيادة فى وصلها . لكن الشاعر سرعان ما يلوم نفسه على هذا التعلق بها و قد نأت بعيدا عنه . و حلت بإير " ، أو " بأكناف شريب " و هما جبلان فى ديار بنى ربيعة بن مالك من تميم

أ - المبتله : الضامرة الكشح ، و صاحة : موضع .

ب - المحال : الشذر من الذهب : و هو مثل صدور الجراد يحشى مسكا . و القلقى من اللؤلؤ جنس منه مدجرج لا يستقر ، و الكبيس : ما حشى و طلى بالملاب (وهو ضرب من الطيب) ج - انهجت حبالها للتقضب : خلقت للتقطع. د - تستفزنى : تستخفنى على الطرب

هـ - الملاوة : الدهر ، من قوله (أمليت لفلان فى الأمر) .

فمازال الشاعر يتحسّر على سرعته فى اتخاذ قرار هجر هذه المحبوبة ، و مما يزيد تحسره أن الوصل بينهما ظل و دام لفترة طويلة ، لم يستطع فيها الواشى أن ينجح فى أن يصل إلى غرضه . و لكنه اليوم قد نجح إلى ما يبغى و يريد ، من تفريق بين الشاعر و محبوبته ، و ها هو ذا قد أطيع و أجيب ذلك الماكر الذى يعلمها المكر والخب

هذه هى محبوبة علقمة كما وصفها فى قصائدة بكل ملامحها و سماتها ، وخلائقها المتعددة .

و إذا ما تتبع الباحث وصف علقمة للمرأة فسوف يجده يحرص .. على وصفها بالمرأة المنعمة ذات الحلى الذى يزين جيدها . و كما يهتم علقمة بتنعمها يهتم أيضا بأخلاقها . فهى الوفية ، المحافظة على غيبة زوجها و إذا وصفها حسيا فمثال الجمال عنده أن تكون رشيقة ضامرة الخصر ، كأنها غزال يرعى الأراك ، و الحُلب ، أو كأنها الرشأ الذى تربّى فى البيت لا يبرحه مما زاده حسنا و جمالا ، و هى الى جانب هذا كلهيفاء الأسنان ، جميلة المظهر كما يقول : [1]

و فِي الحَيِّ بَيْضَاءُ العَوَارِضِ ثَوْبُهَا إِذَا مَا اسْبَكَرَّتْ لِلشَّبَابِ قَشِيبُ

و من كل ما وصف به علقمة محبوبته ، يتضح لنا أنها من النساء الحرائر فهى حرة منعمة و هى من الطبقة التى ينتمى إليها علقمة.

---

١ - ديوان علقمة - ص ١١٧ .

و اذا كان مثل الجمال عند علقمة هو ما رأيناه ، فمثال الجمال عند شعراء آخرين أن تكون المرأة ضخمة . "فالأعشى" مثلا حين يصف محبوبته يقول :[(١)]

غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا   تَمْشِي الْهُوَيْنَى كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ

و هكذا كان " طرفة بن العبد" إذ يصف محبوبته فيقول:[(٢)]

وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالدَّجْنُ مُعْجِبٌ   بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطِّرَافِ الْمُعَمَّدِ

(و البهكنة : هى المرأة الناعمة الحسنة الخلق السمينة) .

و علقمة على ما يظهر من شعره فى المرأة لا يهتم بوصفها الجسدى اهتمامه بوصفها الخلقى على خلاف ما نرى عند غيره من شعراء كثيرين ، أكتفى هنا بذكر أبيات لواحد منهم و ليكن من المعاصرين لعلقمة و من المقربين إليه و هو " امرؤ القيس" بن حُجْر الكندى .

فوصف أمرىء القيس - للمرأة هو الوصف الحسى الذى لا يترك شيئا من مفاتن جسدها إلا وصفه و أتى على دقائقه و أسراره .. فالمرأة عند " امرىء القيس" جميلة إذا كانت : لطيفة الخصر ، ضامرة البطن ، ليست كثيرة اللحم ، بيضاء متلالئة الصدر كالمرآه المصقلية بل هى فى بياضها كبيضة النعام أوكالدُّرَّة ، التى يشوب بياضها صفرة ، و هى ذات خد أسيل ، و عين حانية ، عطوف كعين ظبية تحنو على ولدها .

---

١ - ديوان الأعشى الكبير " ميمون بن قيس " شرح د. محمد محمدحسين القصيدة رقم ٦ .

٢ - المعلقات السبع - للزوزنى - ص ٤٩ .

و هى ذات جيد حسن يزينه الحلى . أما شعرها فطويل يتدلى علــى ظهرها مزينا ذلك الظهر بسواده و التفافه و غزارته ، كأنه قنــو النخلة المتداخلة . أما ساقها فممتلئة بيضاء . و هى منعمــة، مترفة تقوم الإماء على خدمتها و تكفيها حاجتها ، عطِرَةٌ يفــوح العطر من فراشها ، لينة الأصابع ناعمتها فلاغلظ ولا خشونة . و كأن تلك الأصابع أساريع أو مساويك الإسحل ، و هى بيضاء الوجه مشرقة يبدد نورها الظلام من حولها كأنه مصباح الراهب المتبتل ، العاكــف فى صومعته .

يقول "امروء القيس" واصفا محبوبته تلك :(١)

مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضَــةٍ ... ترائبُها مصْقُولة كالسَّجَنجَــلِ

كبِكْرِ مُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْــرَةٍ ... غَذَاها نَميرُ الماءِ غَيرِالمُحَلَّــلِ

تَصُدُّ و تُبدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِــي ... بِناظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَة مُطْفِــلِ

وجِيدٍ كجيدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفاحِــشٍ ... إِذا هِيَ نَصَّتْهُ ولا بِمُعَطَّــــلِ

و فَرْعٍ يَغْشى المَتْنَ أسودَ فَاحِــمٍ ... أثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِــلِ

غَدائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى العُلَــى ... تَضِلُّ المَدَارِي فى مُثَنًّى و مُرْسَــلِ

و كَشْحٍ لَطِيفٍ كالجَدِيلِ مُخَصَّــرٍ ... و سَاقٍ كأنْبُوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّــلِ

و تَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّــهُ ... أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْمَسَاوِيكُ إِسْحَــلِ

تُضِيءُ الظَّلامَ بالعِشَاءِ كأنَّهَـــا ... مَنَارَةُ مُمْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّـــلِ

و تُضْحِي فَتِيتَ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا ... نَئُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

---

١ - مختار الشعر الجاهلى : مصطفى السقا - ص ٢٧ و مابعدها .

فامروء القيس بما نشأ عليه من حياة اللهو ، و العبث لم يترفع عن الاستطراد فى وصف محبوبته ، غير تارك عضوا من أعضاء جسدهـــا ، على خلاف ما كان " علقمة " بما نشأ عليه من حياه ملوءها العفـــة و الترفع عن كل ما يزرى بوقار المرء و صيانه . فكان فى وصفه للمـــرأة العف ، الوقور ، الذى أعجبته من محبوبته أخلاقها قبل أن يبهره منها جمالها الحسـى .

هكذا شغلت علقمة المرأة كما شغلت غيره فوصفها الوصف الـذ ى تتبعتـه و قارنت بينه و بين غيره مظهرا عفته و طهره و وقاره . وإلـى جانب المرأة فقد وصف علقمة أشياء أخرى مما وقعت عليه عيناه فـــــى بيئته ، وصف الصحراء ، و وصف ميادين القتـال .

وصف الصحراء و ميادين القتال :

ومن الموضوعات التى تناولها " علقمة " فى وصفه غير الناقة و الفـــرس و المحبوبة . الصحراء و الطريق و القتال و مايستخدم فيهمن آلات حربية فى ذلك الوقت ، و أيامه القاسية بحرارتها الملتهبة لا يتحملهـــــــا إلاّ الرجال الأشداء الأقويـاء .

يقول " علقمة " فى وصفه لسـيفه وفى ذكره لشدة يوم القتال:[1]

---

١ - ديوان علقمة - ص ٧١ ، ٧٣ .

وَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى قِرْنِي يُشَيِّعُنِي ... مَاضٍ أَخُو ثِقَةٍ بِالخَيْرِ مَوْسُومُ (أ)
وَقَدْ عَلَوْتُ قُتُودَ الرَّحْلِ يَسْفَعُنِي ... يَوْمٌ تَجِيءُ بِهِ الجَوْزَاءُ مَسْمُومُ (ب)
حَامٍ كَأَنَّ أُوَارَ النَّارِ شَامِلُهُ ... دُونَ الثِّيَابِ وَرَأْسُ المَرْءِ مَعْمُومُ

و هكذا يبدو لنا " علقمة " فى وصفه لسيفه يوم القتال ، و يوم يقدم على غريمه و عدوه ، و هو واثق أن بيده سيفا سيضمن له القضاء على ذلك العدو .

ثم يصف " علقمة " يوم القتال فيذكر أنه يوم شديد قاس على النفس بحره ، كأنه أوار النار ، تخترق حرارته ملابس الإنسان ، لتصل إلى جسده ، فتكويه بلفحها . ولا يستطيع أن يصف ذلك كله إلا من عاش فى الصحراء ، و ذاق لهيبها ، و حرارتها ، تلك الصحراء الموحشة القاتلة التى يتناولها أيضا " علقمة " فى وصفه تناول الخبير بها العالم بدقائقها ، و أسرارها . لننظر إليه و هو يصف لنا مفازة مجهولة فيقول : (١)

وَدَوِّيَّةٍ لَا يَهْتَدِي لِفَلَاتِهَا ... بِعِرْفَانِ أَعْلَامٍ وَلَا ضَوْءِ كَوْكَبِ (ج)

أ - ماض أخو ثقة : أى سيف يوثق به فى القطع .

ب - يسفعنى : يحرقنى و يغير لونى .

ج - الدوية : المفازة البعيدة الأطراف سميت هكذا لذوى الصوت الذى يسمع فيها ، أو لأنها تدوى بمن يسير فيها : أى تذهب بهم .

١ - ديوان علقمة - ص ١٢٠ .

فهو يقول عن هذه المفازة ، إنها شاسعة موحشة ، لا يهتدى الناثر فيها بشيء من علامات مميزة ، ولا تستطيع أضواء الكواكب أن تهدى الضالين فيها .

و هذه هى نفسها الصحراء الموحشة المخيفة ، التى وصفها " علقمة فى بائيته التى مدح فيها " الحارث بن أبى شمر الغسانى " و قد مرت بنا هذه الأبيات فى وصف الناقة إذ يقول " علقمة " فيها : [1]

إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللعنَ كانَ وجيفُها ... بمُشْتَبِهَاتٍ هَوْلُهُنَّ مَهِيبُ
تَتَبَّعَ أفياءَ الظِّلالِ عَشِيَّةً ... على طُرُقٍ كأنَّهُنَّ سُبُوبُ
هَدانِي إِلَيكَ الفَرْقَدانِ ولَاحِبٌ ... لَهُ فوقَ أصْواءِ المِتَانِ عُلُوبُ
بِهَا جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عِظَامُهَا ... فبِيضٌ و أمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ

وصف الخمر :

و بعد هذه الجولة مع شعر " علقمة " فى الوصف و بعد أن استعرضت موضوعات الوصف المتعددة عنده أرى أن أختتم موضوعات الوصف عند علقمة بوصف " مجلس الخمر " .

فعلقمة كما نعلم عاش فى الجاهلية طفولته، و صباه، و شبابه، وكهولته، و كذلك عاش شيخوخته . و الخمر - كما نعلم - لم تكن محرمة آنذاك

---

١ - ديوان " علقمة " - ص ٤٠ (و كذا هذا البحث ص ١٢٢ ، ١٢٣) .

فليست هناك تقاليد أو أعراف تقضي بتحريمها ، حتى الأديان السماوية التي سبقت الإسلام لم تحرمها . فما حرمها سوى دين " محمد " صلوات الله و سلامه عليه . و لقد كان تحريم الإسلام للخمر متدرجا ، و ذلك مما يدلّ على مكانتها في نفوس شاربيها . و لقد شرب علقمة الخمر كغيره من أبناء عصره و شربها في مجالها المنعمة المترفة التي تغص بالأنغام، و الموسيقا، و الطرب، و الغناء، و هذا كله مما ألفه الجاهليون .

يقول علقمة مصورا مجلسا من مجالس الخمر :[1]

قدْ أشهدُ الشَّرْبَ فيهمْ مِزْهرٌ رَنِمٌ   و القومُ تصرعهم صهباءُ خرطومُ (أ)

كأسٌ عزيزٌ من الأعنابِ عتّقها   لبعضِ أربابِها حانيّةٌ حومُ (ب)

تَشفي الصُّداعَ ولا يُؤذيكَ صالبُها   ولا يُخالطُها في الرأسِ تدويمُ (ج)

عانيّةٌ قرقفٌ لمْ تطّلعْ سنةً   يُجنُّها مُدمجٌ بالطّينِ مختومُ (د)

ظلّت ترقرقُ في الناجودِ يُصفقُها   وليدُ أعجمَ بالكتّانِ مفدومُ (هـ)

كأنّ إبريقَهم ظبيٌ على شرفٍ   مُفدّمٌ بِسبا الكتّانِ ملثومُ

أبيضُ أبرزَهُ للضّحِّ راقبُهُ   مُقلَّدٌ قضبَ الرّيحانِ مفغومُ (و)

---

١ - ديوان علقمة من ص ٦٨ الى ٧١ .   أ - الصهباء : من أسماء الخمر و الخرطوم : أول خروجها من الدن ، و الحانية : نسبة إلى الحانة و الحوم : من يدورون على الشاربين من " حام " ، يحوم .

جـ - صالبها : ما صلب منها و قوى .   د - عانية : نسبة إلى عانة : من قرى الجزيرة على الفرات نسب العرب إليها الخمر ، و قرقف : أي ترعد شاربها لدوامه عليها .   هـ - الناجود : إناء الخمر و - المفغوم : الطيب الرائحة .

و فى هذه الأبيات يتراءى علقمة فى صورة الشاب المنعم الذى يشرب الخمر مع اصحابه فى مجلس من مجالسها المنعمة و الذى ..... أحاطت به آلات الطرب و الغناء . و هذه الخمر التى يشربها قد شربها عند ملك عزيز من ملوك فارس أو ملوك الروم . و هى خمر معتقة تركت فترة من الزمن حتى أصبحت جيده ، يطوف بها عليهم قوم خمارون ، و إنها لخمر جيدة لا تصيب شاربها بصداع، ولا تؤذيه بدوار فى رأسه ، فهى خمر " عانة " تلك القرية التى اشتهرت بخمورها الجيدة . قد حبست فى دنها زمنا غير قليل ، و لذا فهى تصفو فى إنائها ، يحولها غلام أعجمى من إناء إلى إناء ، لتصفو ، و ترغو و تزبد ، و إن هذه الخمر فى إبريق يشبه لطوله الظبى الطويل العنق . و هو إبريق أبيض من فضة .

و إن ذلك كله لمايدل على مدى النعيم الذى عاش فيه علقمة و رفاهه.و ليس إبريقه من فضة فحسب ، و إنما إلى جانب ذلك تصدر من هذا الإبريق رائحة طيبة ذكيه تملأ الأنف بشذاها العطر الطيب .

و إذا كان علقمة قد وصف الخمر فإنه لم يصفها إلا فى هذا المقطع الذى أوردته و الذى رجحت من قبل أنه ربما كان يصف نفسه و هو فى فترة الشباب و الفتوة . فهو كأى جاهلى قد شرب الخمر التى لم تكن محرمة فى ذلك الوقت كما ذكرت .

نعم شرب علقمة الخمر و لكنه لم يشتهر بشربه لها كما اشتهر غيره . فعساه قد شربها فى شبابه و أقلع عنها فى شيبه إذ أن من كان

يتمتع بأخلاق كأخلاق علقمة لجدير بأن يقلع عن الخمر صونا لعرضه ، و حفاظا لمروءته كما فعل " أبو بكر الصديق " رضى الله عنه فإنه كما يروى - لم يشرب الخمر قط . يقول الأستاذ/ عباس محمود العقاد متحدثا عن " الصديق " رضى الله عنه - : " و كان فى جاهليته و إسلامه ، و قورا ، جميل السمت ، يغار على مروءته ، و يتجنب ما يريبه . فلم يشرب الخمر قط لأنها مخلة بوقار مثله . و سئل لِمَ كان يتجنبها ؟ فقال : " كنت أصون عرضى ، و أحفظ مروءتى ، فإن من شرب الخمر كان مضيعا فى عقله ، و مروءته ".[1]

و علقمة على خلق قد لمسته من خلال مواقفه الإنسانية و من خلال شعره بوجه عام و غزله بوجه خاص . أقول - لم يذكر علقمة الخمر إلا فى هذا المقطع الذى ذكرته سالفا و لقد سلمت بأنه شربها و لكنى لا أستطيع القول بأنه اشتهر بها كما اشتهر مثلا " الأعشى " من بعده يقول د. جميل سعيد - عن الأعشى - : و الأعشى قد هام بالخمر ، وصاحبتها نفسه ، فكان يشربها ظاعنا ، و مقيما ، و يشربها فى الصحراء ، كما يشربها فى الريف ، و لعل خمور الريف أجود عنده فكان يطيل الإقامة فيه ليملأ جوفه منها ".[2]

---

١ - عبقرية الصديق : عباس محمود العقاد ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية و المدرسية و الوسائل التعليمية - ط . ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ هـ ص ٤٠ - ٤١ .

٢ - تطور الخمريات فى الشعر العربى من الجاهلية الى أبى نواس ، .... لجميل سعيد - الطبعة الأولى مكتبة النهاضة المصرية - ص ٥٠ ، ٥١ .

و يقول د. جميل سعيد عن " الأعشى " في موضع آخر :

" لو جمعنا ما قاله الجاهليون شعرا في الخمر ، و وضعناه في كفة ثم قابلناه بما قاله " الأعشى " لوجدنا كفته ترجع رجحانا مبينا على كفة الجاهليين عامة . فقد وصلنا من شعر الأعشى " في الخمر ضعف ما وصلنا من الشعر الجاهلي منها أو يزيد . و الأعشى أشعر ما يكون حين يسكر ، و هو يعرف ذلك في نفسه و يعرفه غيره فيه [1] .

و اذا ما تصفح الباحث ديوان " الأعشى " يجد حقيقة ما قال دكتور جميل سعيد " فالأعشى " شاعر الخمر في الجاهليه ، لا ريب .

يقول أستاذنا الدكتور/ محمد محمد حسين ، رحمه الله ، في مقدمة " ديوان الأعشى " : و قد اقترن ذكر الأعشى عند القدماء بشعر الخمر ، فعدوه أشعر شعرائها بين الجاهليين . و الواقع أن شعر الخمر لم يحظ بعناية ملحوظة من شعراء الجاهلية إذ استثنينا نفرا قليلا منهم ، " كحسان بن ثابت " ، و عد بن زيد ، و علقمة بن عبدة و لست أقصد بذلك أن الجاهليين لم يقولوا شعرا في الخمر و لكني أريد أن أقول أن شعرهم في الخمر لم يكن مقصودا لذاته ، و إنما كانت تذكر الخمر في مناسبات عابرة حين يشبهون رضاب صواحبهم بها أو يشبهون ذهولهم عند فراق الصحب و الأحباب بذهول شاربها فيقولون فيي ذلك البيت و البيتين أو الثلاثة " [2] .

---

١ - تطور الخمريات : لجميل سعيد - ص ٥٦ .

٢ - ديوان الأعشى - المقدمة .

و المتتبع لشعر " الأعشى " يجده قد وصف كل ما يتصل بالخمر من مجالسها، و عتقها ، و قدمها ، و من لونها ، و فعلها في شاربها و كذا غلاء ثمنها . فلم يترك الأعشى شاردة ، ولا واردة في الخمر إلا أتى بها . و إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على حب نفسه للخمر و تعلقها بها و عدم استطاعته فراقها مهما غلا ثمنها .

يقول " الأعشى " واصفا أحد مجالس الخمر :[1]

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِي ... شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ
فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا ... أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الحِيلَةِ الحِيَلُ
نَازَعْتُهُمْ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مُتَّكِئًا ... وَقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُهَا خَضِلُ
لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا وَهْيَ رَاهِنَةٌ ... إِلَّا بِهَاتِ وَإِنْ عَلُّوا وَإِنْ نَهِلُوا
يَسْعَى بِهَا ذُو زُجَاجَاتٍ لَهُ نُطَفٌ ... مُقَلِّصٌ أَسْفَلَ السِّرْبَالِ مُعْتَمِلُ

و اذا وصف الأعشى لون الخمر قال :[2]

وَصَهْبَاءَ طَافَ يَهُودِيُّهَا ... وَأَبْرَزَهَا وَعَلَيْهَا خَتَمْ
وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دَنِّهَا ... وَصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وَارْتَسَمْ
تَمَزَّزْتُهَا غَيْرَ مُسْتَدْبِرٍ ... عَنِ الشَّرْبِ أَوْ مُنْكِرٍ مَا عُلِمْ

---

١ - ديوان الأعشى - القصيدة رقم ٦ من البيت ٣٧ الى ٤١ .

٢ - المرجع السابق - القصيدة رقم ٤ من البيت ١ الى ١٢ .

أما عن فعلها في شاربها فيقول الأعشى : (١)

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الرَّاحَ أَسْقَى مِنْ إِنَاءِ الظُّهْرِ جَارَهْ
حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ مَآخِذَهَا تَغَشَّتْنِي اسْتِدَارَهْ

و عن قدمها و مغالاة بائعها في ثمنها يقول الأعشى: (٢)

تَخَيَّرَهَا أَخُو عَانَاتِ شَهْرًا وَ رَجَّى أَوْلَهَا عَامًا فَعَامَا
يُؤَمِّلُ أَنْ تَكُونَ لَهُ شِرَاءً فَأَغْلَقَ دُونَهَا وَ غَلَا سَوَامَا
فَأَعْطَيْنَا الْوَفَاءَ بِهَا وَ كُنَّا نُهِينُ لِمِثْلِهَا فِينَا السَّوَامَا

هذه مختارات سريعة من شعر " الأعشى " في الخمر توضح إلى أي مدى عشق هذا الشاعر الخمر ، و تغنى بها بين حين و حين . و ما هكذا كان علقمة فما ذكر الخمر في شعره إلا مرة واحدة ، و ربما كانت أيام شبابه و لهوه .

هذه هي موضوعات الوصف عند علقمة و كما قلت فإن الوصف عنده كان يمثل عمدة شعره كله و إن كان وصف الناقة عنده قد زاد على غيره من موضوعات الوصف و جاء بعده وصف الفرس (فرس الحرب و فرس الصيد) . و كلاهما يمثل بالنسبة لعلقمة البدوى الأهمية البالغة في حياته . ثم كان يعد ذلك وصفه للمرأة ، و للصحراء ، و لجوها القاتل ، و طرقها الوعرة المخيفة و كذا كان وصفه للقتال و ميادينه و آلاته حينذاك . ثم كان أخيرًا وصفه لمجالس الخمر .

---

١ - المرجع السابق - القصيدة رقم ٢٠ من البيت ٢٤ إلى ٣٥ .
٢ - ،، ،، - ،، ،، ٢٩ ،، ،، ١٩ إلى ٢١ .

و من كل ما سبق يتضح لي أن علقمة ، قد تناول في وصفه كـــل مظاهر الطبيعة من حوله متحركة و صامته . و كان لنا فيما تبقى مـن شعره هذا الفيض من موضوعات الوصف .

و بعد أن ألممت هذه الإلمامة بموضوعات الوصف عند علقمـــة يجدر الآن ان أنتقل إلى غرض آخر أو إلى موضوع آخر من موضوعـــات الشعر نظم فيه علقمة . و ليكن هذا الغرض هو ما تلا الوصف أهميــه عند شاعرنـــا .

و يلوح لي أن الفخر يحتل مكانة بارزة في شعر علقمة . فقـــد افتخر هذا الشاعر بنفسه " فخرا ذاتيا " ، و افتخر بقومه و قبيلتـــه " فخرا قوميا " و هذا ما سأحاول الكشف عنه فيما يلي بعد ذلـــك .

ثانيا - الفخر :

الفخر من الموضوعات الشعرية التي طرقها كل شعراء الجاهلية إذ أن الفخر يدل - فيما يدل - على الاعتزاز بالنفس ، و بالقبيلة ، و على الأنفة ، و الكبرياء عند كل إنسان عاش حياة البداوة بملابساتها المختلفة

و **الفخر** كما هو معروف منه يدور حول الإنسان نفسه ، فيفخر الإنسان بشجاعته ، و قوته ، و صبره ، وجلده على الخطوب ، كذلك يفخر بكرمه ، و نجدته للضعيف ، و محاربته للظلم أنّى وجده ، و حيثما دُلّ عليه .

و من **الفخر** ما كان قوميا فيفتخر الشاعر - لابنفسه فحسب . بل بقومه و قبيلته يفتخر بمنعتها ، و عزتها ، و جاهها . و معظم الشعراء يذوب في قبيلته . فلا يُعرف إلّا من خلالها . فهذا فارسها ، و ذاك شاعرها و الآخر جوادها [1] .

و ما دفع الشعراء إلى هذا الموضوع سوى الحياة التي عاشوها في صحرائهم ، فقد كانت حياة القبائل العربية ، و ما بينها من تنافس على طلب المرعى ، و الماء ، و مايسببه ذلك التنافس من حروب و غارات تدوم بينهم أياما بل أعواما [2] .

---

١ - العمدة لابن رشيق - ج ٢ - ص ١٩٢ .

٢ - تاريخ الأدب العربي - في العصر الجاهلي - د. شوقي ضيف - ص ٨١.

كل هذه الأسباب مجتمعه دعت إلى نشوء هذا الغرض الذى احتـــل المكانة الأولى عند بعض شعر اء الجاهلية . فهم عرفوا قبل غيره مـــن الأغـــراض .

إلّا أن علقمة عرف ـ كما أوضحت من قبل ـ بالوصف ، لم يكن الفخر عنده فى المرتبة الأولى ، بل جاء فخره بعد الوصف . و أستطيع أن أقـــو ل إن علقمة كان إنسانا يميل إلى المحبة و السلم أكثر من حبه إلـــــى العداوة و الحروب .

فرغم أن علقمة من بنى " تميم " و بنو تميم عرفوا فى الجاهليـــه بقوتهم و سطوتهـــم ، و من خلال ما تقدم عن أيام هذه القبيلة ظهـر جليا كثرة أيامها مع غيرها و رغم كل هذا لم نحظ من علقمة بشعــــر يفتخر فيه بهذه الانتصارات . اللهم إلا قطعا صغيرة يفخر فيها إمّا بنفسه ، و إمّا بقبيلته . فهل نستطيع القول بأن علقمة كان منطويا على نفســه، مشغولا بهموم حياته الخاصة مما جعله فى شبه عزلة عن الحياة العامـــة واهتماماتهـــا .

ربما كان ذلك . إذ اننا لم نجده يهجو أبدا فى شعره مع أن الهجاء فى هذه البيئة قد وضح وضوحا بينا . كذلك ما رأيناه يمدح أحدًا، ســوى مدحه " للحارث بن أبى شمر الغسانى" و ما كان مدحه لـه من أجــــل مال أو عطاء أو قربى ، بل كان مدحا فرضته عليه ظروف قاسية على نفسه. هذه الظروف هى وقوع أخيه " شاس" و جماعة من بنى تميم فى أســـر " الحارث بن أبى شمر" .

فهل معنى هذا أن علقمة لم يشارك فى معارك قومه ، نائيا بنفسه عن كل هذه الحياة ، لا يستطيع أحد أن يعتقد ذلك إذ أن ... علقمة فى ديوانه يذكر أنه حارب [1]. و يفخر بشجاعته فى هذه الحروب ، و كذلك يفخر بفكه أسر أخيه و من معه [2]. و يفخر هكذا بقوة " تميم " على غيرها ذاكرا بعض المواقع التى كانت فيها أيام لتميم على غيرها ، إلا أن كل هذا لم يأت بالقدر الكافى بشاعر كعلقمة عاش حياته فى الصحراء منفقا أيام عمره الطويل . و لقد كان من شعراء الجاهليه من مات فى طور الشباب و شعره كله لا تختفى منه نغمة الفخر . بل تلوح لنا فى ثنايا قصائدهم لا تخلو منها قصيدة واحدة .

افتخر " علقمة " بنفسه ، ذاكرا خوضه للمعارك ، و هجومه على عدوه ، معتمدا على فرسه القوية ، و سيفه البتار . يقول علقمة [3]:

و قدْ غدوتُ عَلَى قِرْنِي يُشَيِّعُنِي	مَاضٍ أَخُو ثِقَةٍ بالخَيْرِ مَوْسُومُ
و قدْ عَلَوْتَ قُتُودَ الرَّحْلِ يَسْفَعُنِي	يَوْمٌ تَجِيءُ بِهِ الجَوْزَاءُ مَسْمُومُ
حَامٍ كَأَنَّ أُوَارَ النَّارِ شَامِلُهُ	دُونَ الثِّيَابِ وَ رَأْسُ المَرْءِ مَعْمُومُ
و قَدْ أَقُودُ أَمَامَ الحَيِّ سَلْهَبَةً	يَهْدِي بِهَا نَسَبٌ فِي الحَيِّ مَعْلُومُ
لَا فِي شَظَاهَا وَلَا أَرْسَاغِهَا عَنَتٌ	وَلَا السَّنَابِكُ أَفْنَاهُنَّ تَقْلِيمُ

---

١ - ديوان علقمة - ص ٧١ ، ٧٣ .

٢ - المرجع السابق - ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

٣ - " " - ص ٧١ ، ٧٣ .

و هكذا تبدو لنا من خلال هذه الأبيات صورة علقمة الفارس ، ذائدا عن حياض قومه ، مشاركا إياهم في معاركهم ، و حروبهم ، و ليس مشاركا فحسب بل متقدما صفوفهم بفرسه الطويلة خائضا غمار الحرب ، في يوم شديد الحر كأنه نار تلهب جسد الإنسان لا يمنعها منه ملابس ، ولاعمائم ير تديها الإنسان متقيا بها وهج شمس محرقة .

و إن كان علقمة قد افتخر بقوته ، و مقدرته الحربية ، فقد افتخر أيضا بمقدرته السياسية ، فهو السياسي البارع ، و السفير الناجح ، .... و الوافد المقدرة و قادته ، الذى تطمئن إليه قبيلته فترسله سفيرا لها عند الملوك و السادة ، و هي على علم و يقين أن هو لاء الملوك والأشرا ف سوف يقدرون وفود " علقمة " عليهم لما تتمتع به شخصيته من حب الناس و تقديريهم .

فهاهو ذا يذهب إلى " الحارث بن أبي شمر الغساني " (ملك غسان) يستشفع عنده لأسرى قبيلته " تميم" و قد كان فيهم أخوه " شاس بن عبده " و ما أن يصل " علقمة " إلى الممدوح ، و يصرح له بالغاية التى من أجلها جاء إليه و وفد عليه ، حتى نرى " الحارث" يجيبه إلى ما أراد فلا يطلق له سراح أخيه فحسب ، بل أسرى بني تميم كلهم ، و يذكر علقمة في فخره بفكه لأسر هو لاء في ذلك اليوم الذى قدم فيه شفيعا لهم عند "الحارث بن أبي شمر" - يذكر - أن عددهم كان تسعين أسيرا حول هذا كله يقول علقمة مفتخرا :[1]

---

١ - الديوان - ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

دَافَعْتَ عَنْهُ بِشِعْـــرِى إِذْ   كَانَ لِقَوْمِي فِى الفِدَاء جَحَـــدُ (أ)

فكَانَ فِيهِ مَا أَتَاكَ وَ فِـــى   تِسْعِينَ أَسْرَى مُقَرَّنِينَ صَفَـــدُ (ب)

دَافَعَ قَوْمِي فِي الْكَتِيبَـةِ إِذْ   طَارَ لِأَطْرَافِ الظُّبَاتِ وَ قَـــدُ (ج)

فَأَصْبَحُوا عِنْدَ ابْنِ جَفْنَةَ فِي   الْأَغْلَالِ مِنْهُمْ و الْحَدِيدِ عُقَـــدُ (د)

إِذْ مِخْنَبٌ فِي الْمَخْنَبِينَ وَفِي النَّـ   ـهْكَةِ غَيٌّ بَادِيءٌ و رَشَـــدُ (هـ)

و هكذا يحاول " علقمة " فى فخره هذا أن يوضح مكانته بالنسبه لقومه ، فهو شخصية هامة فى قبيلته وقت الحرب ، و وقت السلم .

و إنْ كان " علقمة" قد افتخر بنفسه و أوضح نفسه لقومه كفارس محارب ، تنعقد عليه الآمال و سياسى بارع تشرئب إليه الأعناق . فإنه افتخر أيضا بجوده و عطائه ، و كرمه . و الكرم صفة لا تستطيع البيئة البدوية الفقيرة الاستغناء عنها ، فكثيرا ما هبّت عليهم رياح قاسية شديدة تهلك فيهم النبت و الحيوان . فتضمحل حياتهم إثر هذه الرياح وتواجه القبيلة بظروف غاية فى الشدة و القسوة . و هنا يأتى دور الأجواد الكرماء لنجدة هولاء الضعاف من أقوامهم ، يجودون لهم بما يملكون حتى يستطيعوا مواجهة ظروف حياتهم . يقول علقمة:(1)

أ - الجحد : قلة الشيء و عزته .
ب - كان فيه : أى فى فكى شاسا .
جـ - الظبات : جمع ظبه و هى حد السيف ، و الوقد: التلهب.
د - ا بن جفنة : الحارث بن أبى شمر .
هـ - المخنب : الصريع المهلك ، و النهكة : القتل و الإيقاع الشديد (يقول فى ذلك غى لمن قتل ، و رشد لمن ظفر) .

١ - ديوان علقمة - ص ٧٧ .

وَقَدْ أُصَاحِبُ فِتْيَانًا طَعَامُهُمُ	خُضْرُ المَزَادِ وَلَحْمٌ فِيهِ تَنْشِيمُ
وَقَدْ يَسَرْتُ إِذَا مَا الجُوعُ كُلِّفَهُ	مُعَقَّبٌ مِنْ قِدَاحِ النَّبْعِ مَقْرُومُ
لَوْ يَيْسِرُونَ بِخَيْلٍ قَدْ يَسَرْتُ بِهَا	وَكُلُّ مَا يَسَرَ الأَقْوَامُ مَغْرُومُ

أى إنه إذا اشتد الزمن بقسوته ، و سطوته يستعمل الأغنياء - وعلقمة منهم - الميسر ليطعموا الفقراء ، و الضعفاء ، و المحتاجين ، من أبناء قومهم . و كان لا ييسر فى ذلك الوقت إلاّ المعرفون بجودهم ، و كرمهم فهاهو ذا يجود بخيله فى سبيل ضعفاء قومه فى زمن شديد البأس عليهم.

و عن كرمه يحدثنا علقمة فى موضع آخر من شعره يقول:(١)

وَأَخِي مُحَافَظَةٍ طَلِيقٍ وَجْهُهُ	هَشٍّ جَزَرْتُ لَهُ الشِّوَاءَ بِمِسْعَرِ
مِنْ بَازِلٍ ضُرِبَتْ بِأَبْيَضَ بَاتِرٍ	بِيَدَيْ أَغَرَّ يَجُرُّ فَضْلَ المِئْزَرِ

و إنْ كان ما مرّ بنا فخرا ذاتيا ، حاول فيه الشاعر أن يظهر ذاتيته مفتخرا بشجاعته و قوته الحربية و سياسته و دهائه . و مكانته عند السادة و الأشراف و كذا بكرمه و جوده - أقول إن كان كل هذا - فخرا ذاتيا فالشاعر لم ينس قبيلته .

فها هو ذا نراه يفخر بهم فى يوم " الكُلاب الثانى " إذ حققوا نصرا موزرا على حى من " مَذْحَج " يقال له " المكاور " . يقول علقمة فى ذلك:(٢)

---

١ - ديوان علقمة - ص ١٠٧ .

٢ - المرجع السابق - ص ١٠٦ .

وَدَّ نُفَيْرٌ لِلْمَكَاوِرِ أَنَّهُمْ ... بِنَجْرَانَ فِي شَاءِ الحِجَازِ المُوَقَّرِ (أ)

أَسَعْياً إِلَى نَجْرَانَ فِي شَهْرِ نَاجِرٍ ... حُفَاةً وَأَعْيَا كُلَّ أَعْيَسَ مُسْفِرِ (ب)

وَقَرَّتْ لَهُمْ عَيْنِي بِيَوْمِ حُذُنَّةٍ ... كَأَنَّهُمْ تَذْبِيحُ شَاءٍ مُعَتَّرِ (ج)

عَمَدْتُمْ إِلَى شِلْوٍ تَنُوذِرَ قَبْلَكُمْ ... كَثِيرِ عِظَامِ الرَّأْسِ ضَخْمِ المُذَمَّرِ (د)

و هنا تبدو فرحة الشاعر واضحة لانتصار قومه على هذا الحي من " مذحج " الذين وَدُّوا لو أنهم لم يغزوا " تميما " في ذلك اليوم ، و ليتهم كانوا يرعون شاتهم في وادي الحجاز و لم يسعوا إلى نجران في هذا الشهر القاسية حرارته ، فقد أضاعوا إبلهم القوية القادرة على السفر البعيد ، و لم يستطع الشاعر أن يخفي فرحته بنصر حققه قومه فقال : فقد قرت عيني بذلك اليوم الذي كثر فيه من ذبح من الأعداء ، حتى خيل إلى أن قومي يذبحون الشاة قربانا للآلهة . و في نهاية أبيات فخره يلوم " علقمة " أعداءه على تسرعهم و مجيئهم لقوم طالما أنذر الأعداء بعضهم بعضا من بأسهم و قوتهم فهم معروفون بالضخامة والشدة . و في موضع آخر نرى علقمة يفخر بغزوهم طيئا في يوم " ضَرِيَّة " و كان هذا اليوم بين يوم " أُوارة الأول " ، و بين يوم " أُوَارة الثاني " و في ذلك يقول علقمة :[1]

(أ) نُفَيْر : تصغير نفر

(ب) شهر ناجر : أحد شهور الحر (يونية و يولية) و هما شهرا ناجر ، و الأعيس من الإبل : الابيض ، و المسفر : القوى على السفر .

(ج) حُذنَّة : موقع بالقرب من اليمامة ، كانت فيه وقعة . و المعتر : ماذبح قربانا و هو الصنم الذى كانت تذبح عنده العتائر : و هي جمع عتيرة (أى شاة تذبح للآلهة)

(د) المذمر : الكاهل و العنق و ما حولها .

(١) ديوان علقمة من ص ١٢٤ الى ١٢٦ .

وَ نَحْنُ جَلَبْنَا مِنْ ضَرِيَّةَ خَيْلَنَا ... نُكَلِّفُهَا حَدَّ الْأَكَامِ قَطَائِطَا (أ)

سِرَاعًا يَزِلُّ المَاءُ عَنْ حَجَبَاتِهَا ... نُكَلِّفُهَا غَوْلاً بَطِينًا و غَائِطَا (ب)

يُحَتُّ بِيَبِيسِ المَاءِ عَنْ حَجَبَاتِهَا ... و يَشْكُون آثَارَ السِّيَاطِ خَوَابِطَا (ج)

فَأَدْرَكَهُمْ دُونَ الهَيَبْمَاءِ قَصَّرًا ... و قَدْ كَانَ شَأْواً بَالِغَ الجَهْدِ بَاسِطَا (د)

أَصَبْنَ الطَّرِيفَ والطَّرِيفَ بنَ مَالِكٍ ... و كَانَ شِفَاءً لَوْ أَصَبْنَ المَلَاقِطَا (هـ)

إِذَا عَرَفُوا مَا قَدَّمُوا لِنُفُوسِهِمْ ... مِنَ الشَّرِّ إِنَّ الشَّرَّ مُرْدٍ أَرَاهِطَا (و)

فَلَمْ أَرَ يَوْماً كَانَ أَكْثَرَ بَاكِيَا ... و أَكْثَرَ مَغْبُوطًا يُحِلُّ و غَابِطَا

و يبدو فى فخر علقمة فى هذه الأبيات أن تميما أرادت أنه تؤدب عمرو بن ملقط الذى وشى بها عند همرو بن المنذر اللخمي . (و تفصيل ذلك فى الصفحة الرابعة والثمانين من هذا البحث) ، فجلبوا خيلهم من " ضرية " يكلفونها أن تقطع حد الأكام بحوافرها فى سيرها الشديد نحو أعدائها و مع

(أ) ضرية : قرية غربي الرياض و قد بادت ، و الآكام : جمع أكمة ، و هى ما اجتمع من الحجارة ، قطائطا : جماعات واحها قطوط .

(ب) حجباتها : أوراكها ، و الغول : البعيد . و البطين : الواسع و الغائط : المطمئن من الأرض .

(ج) بحت : يقشر ما تجمع عليها من وسخ من أثر الغبار . خوابطا : ضواربا .

(د) أدركهم : يعنى عمرو بن عمرو التميمي .

الهَيَبْماء : موضع فى ديار طيىء : مقصرا : عشيا .

(هـ) الطريف الأول : هو الطريف بن عمرو .

(و) مردٍ : مهلك . و أراهط : جمع أرهط و أرهط جمع رهط : و هم القوم .

سرعتها ، يسيل العرق منها ، إذ أنهم يكلفونها السير البعيد في الأرض الواسعة الأرجاء ، المطمئنة الأنحاء . و بفضل هذه الخيول الأصيلة التـــي ظهر عليها أثر الجهد ، مما تكوّن على أجسادها من غبار ألصقه بها عرقها و يبس حتى أصبح يُحَتُّ و يُقْشَر - بفضل هذه الخيول - أدرك عمرو بن عمــرو التميمي الطائيين قبل غروب ذلك اليوم بعد أن بذل جهدا كبيرا ليصـــل إليهم . فأصاب منهم الطائيَّيْن (الطريف بن مالك ، و الطريف بن عمرو) لكنهم لم يصيبوا من عقدوا العزم على قتله و هو " عمرو بن ملقط الطائي " إذن لكانوا قد شفوا أنفسهم بقتله .(1)

و لقد علم الطائيون أن ما قدموه هم كان هو السبب في جلـــــب الشر عليهم . و إن الشر ليردى أقواما كثيرين و يطيح بهم .

و كذلك في هذا الفخر لم يستطع " علقمة " أن يُخفي فرحته بما أحـرزه قومه في ذلك اليوم ، فيقول : ما رأيت يوما كهذا اليوم كثر فيه الباكيــون على قتلاهم ، و أسراهم ، و كثر فيه أيضا الفرحون المسرورون بما غنموا ، و أسروا و سَبَوْا . و كثر الذين يتمنون حال أولئك المسرورين في ذلك اليوم .

و هكذا يظهر " علقمة " مرتبطا بقبيلته ، يفرح لفرحها ، و تحزنـــــه أحزانها . يفخر بها و يصور انتصاراتها ، و يشيد بمآثرها ، و يجسد آمالهـــا و آلامها . فهو منها و إليها و إني لأرى في هذا المقام أن أورد للدكتــور / محمد النويهي رأيا يقول فيه :

" إن الشاعر الجاهلي لم يكن ينظم فخره القبلي لمجرد أنه الرأى السائـــــد في مجتمعه و لأنه رأى أن من واجبه الترويج لآراء جماعته والقيام بالدعايـة

---

(1) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج ٢ ، ص ٧٤ ، ٧٥ .
و كذلك : مجمع الأمثال : للميداني ، ص ٤٣٦ .

لها ، بل لأنه أحس إحساسا عميقا و عنيفا قاهرا بهذه العاطفة . و اجتاز مرحلة ذاتية اضطرمت فيها نفسه - و اتقد بها وجدانه . و هو حين ينظم فخره القبلي لم يكن دافعه المباشر إلا أن ينفس عن هذا الانفعال الذى غلب على مشاعره ، من حب ملتهب لقبيلته و فخر مجلجل لمآثرها و سعادة بانتمائه إليها . و بغض قوى لأعدائها ، و احتقار ذريع لهم ".(١)

هذه هى الخلال التى تغنَّى بها " علقمة " فى شعره ذاتيا كان هذا الشعر أم قوميا تغنَّى بالشجاعة العسكرية ، والسياسية ، و تغنَّى بالكرم والجود ، و تغنَّى بقوة قبيلته و انتصاراتها على غيرها . و هذه الخلال فى مجموعها تدور حول بعض الأخلاق و العادات التى يفخر بها العرب . و التى كانت ثمرة حاجاتهم ، و صور معيشتهم ، و هى كلها مستوحاة من حياة البادية ، التى تقوم على الفطرة الإنسانية فى عهودها الأولى .

و بعد أن استعرضت الفخر عند علقمة و كذلك الوصف عنده ، أتناول الآن غرضا جديدا من أغراض الشعر عنده . و ليكن هذا الغرض هو الغزل .

فما من شاعر جاهلي إلا و تناول هذا الموضوع فى شعره . و لقد تحدثت من قبل عن وصف علقمة للمرأة ، ضمن ما تحدثت عن الوصف كغرض قائم بذاته فأوردت وصفه للمرأة ضمن الأشياء التى وصفها علقمة من ناقة ، و فرس ، و صحراء ، و رحلة و طريق ، و ميادين للقتال و أدوات و آلات تستخدم فى هذه الميادين . و لكنى سأتحدث هنا لأوضح الغزل عند علقمة كغرض شعرى له خطره و أهميته .

---

(١) الشعر الجاهلي - منهج فى دراسته و تقويمه - د. محمد النويهى - ج ١ ص ٢١٤ . ص ٢١٥ .

ثالثا : الغــــزل :

يحتل الغزل مكانا فسيحا من الشعر الجاهلي ، تألقت فيه المرأة حسنا و دلالاً ، و راح الشعراء يصفون منها و جهها المشرق ، و عيونها الجميلة ، و غدائرها الطويلة المرسلة على ظهرها ، و حديثها الذى يقطر عذوبة و رقة ، و تحدث الشعراء كثيرا عن وصلها ، و منعها ، و وفائها ، و مماطلتها .
و صدَّر أكثرهم قصائده بالغزل في كل أغراضهم الشعرية . حتى الرثاء ، كانوا يبدأونه أحيانا بالغزل ، و كانت افتتاحياتهم الغزلية من البدايات الشعرية التى تأخذ بالألباب ، جمالا ، و رقة ، و عذوبة . و هل أشهى إلى النفس ، و أحلى فى القلب من شعر يصف جمال المرأة ، و سحرها ، و يترجم عما تكنه النفس نحوها من حب ، و شغف ، و حنين ؟

فها هو ذا النابغة الذبياني يمدح عمرو بن هند ، أو يمدح عمرو بن الحارث الغساني على اختلاف بين الرواة ، نراه يفتتح قصيدته فى المدح بالغزل إذ يقول :[1]

أتاركةً تدلُّلَها قَطَامِ	و ضِنًا بالتحيةِ و الكَلام
فإنْ كانَ الدلالُ فلا تَلِجِّي	و إنْ كانَ الوداعُ فبالسَّلامِ
فلوْ كانتْ غداةَ البَيْنِ مَنَّتْ	و قد رفَعُوا الخُدورَ على الخِيام
صَفَحتْ بنَظْرةٍ فرأيتُ منها	تُحَيْتَ الخِدرِ واضعةَ القِرام
ترائبَ يستضيءُ الحَلْيُ فيها	كجَمْرِ النَّارِ بُذِّرَ بالظَّلام
كأنَّ الشَّذرَ و الياقوتَ منْها	على جَيْداءَ فاتِرةِ البَغام
خلَتْ بِغزالِها و دَنَا عليْها	أراكُ الجِزعِ أسْفلَ مِنْ سَنام

---

(١) مختار الشعر الجاهلي : مصطفى السقا ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

و ها هو ذا " طرفة بن العبد " يذكر محبوبته فى معلقته فيقول[1] :

وفى الحيِّ أحوى ينفضُ المردَ شادنٌ مُظاهرُ سِمطَي لؤلؤٍ و زبرجدِ
خذولٌ تراعي ربرباً بخميلةٍ تناولُ أطرافَ البريرِ و ترتدي
و تبسمُ عن ألمى كأنَّ منوّراً تخلّلَ حرَّ الرملِ دعصٌ لهُ ندِي
سقتهُ إياةُ الشمسِ إلا لثاتَهُ أُسِفَّ و لم تكدمْ عليهِ بإثمدِ
و وجهٍ كأنَّ الشمسَ ألقتْ رداءَها عليهِ نقيِّ اللونِ لم يتخدَّدِ

و هكذا لا نرى شاعرا من شعراء الجاهلية سبق " علقمة " أو عاصره ... أو جاء بعده إلاّ و قال فى الغزل و أفاض ، و ما الذى ذكرته للنابغة و طرفه إلاّ نماذج لشعراء جاهليين إذ أنه من الصعب الاحاطة بكل ما قال الجاهليون فى الغزل .

و " علقمة " شاعر كسائر الشعراء ، و رجلٌ ككلِّ الرجال . مُنح القلب و العاطفة ، فأحب كما أحب - و يحب - غيره . و أسمع محبوبته ما يعتلج فى فؤاده ، و ما يجيش به صدره ، و صور لها ما يتركه حبها ، و صدها ، و هجرها فى نفسه من لواعج و أحزان .

لكن الحقيقة أن علقمة لم يكن شاعراً غزلا بالمعنى الذى يفهم من وراء هذه الصفة فلم أره يفرد فى قصائده قصيدة كاملة فى الغزل ، و إنما جاء غزله فى بدايات قصائده ، فهو غزل تمهيدى ، أو تقليدى ، تُستهلّ به القصائد ، و تُفتتح به الأشعار .

و فى غزل " علقمة " تطالعنا صورة المرأة عنده ، فهي واعدة حيروم،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

و مماطلة صدود و مخادعة كاذبة ، تعرض عنه ، و تتمنّع عليه ، و تغالي في دلالها ، و تقطع حبل ودّها . لكن الشاعر لا يتهالك على وصل هذه المحبوبة و لا يركع أمامها ، و إنّما هو حازم صارم في شأن هذا الودّ . فهي إن وصلته ، وصلها ، و إن قطعته ، قطعها ، و إن نأت عنه لا يكتوى بنار أشواقها ، و لهيب حبها .

فصاحبة " علقمة " " ليلى " تبخل عليه بمتاعها ، و تماطل في وصلها و تمعن في هجرها ، و لا تصدقه المواعيد و من هنا كان الشاعر ثائرا، غاضبا ، لائما نفسه و قلبه على تعلقه بها و قد نأت عنه و بعدت ، و لجّت في نأيها و بعادها ، و هو رجل لم يعد يحتمل كل هذا الدلال من امرأة . فقد اجتاز مرحلة الشباب و بدأ الشيب يغزل خيوطه برأسه و يدب فيه . يقول علقمة مخاطبا قلبه الذى مازال متعلقا بتلك المحبوبة النائية بنفسها عنه :(١)

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسَانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ
تُكَلِّفُنِي لَيْلَى و قَدْ شَطَّ وَلْيُهَا ... و عَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَ خُطُوبُ
مُنَعَّمَةٌ لا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا ... عَلَى بَابِهَا مِنْ أَنْ تُزَارَ رَقِيبُ
إِذَا غَابَ عَنْهَا البَعْلُ لَمْ تُفْشِ سِرَّهُ ... و تُرْضِي إِيَابَ البَعْلِ حِينَ يَؤُوبُ

و بعد أن يلوم " علقمة " نفسه و قلبه على ما يحدث منهما من جرى وراء هذه المحبوبة التى لا طائل من ورائها إلا العذاب . و ما هو بمحتمل ذلك العذاب . و قد بدأ يخطو نحو سن يجب أن يتعقل عندها الإنسان ، و يقف من قلبه موقف الرجل الحازم الشديد .

---

(١) ديوان علقمة ص ٣٣ (أ) المغمر : الجاهل الذى لم يجرب ، و روايا المزن : ما حمل الماء منه . و يصوب : ينزل (ب) يمان : أي سحاب نشأ من ناحية اليمن و هو لا يخلف . و الحبى : السحاب لذى بعضه ببعض .

بعد كل هذا من الشاعر لا يتمالك الا أن يتشبث بهذه المحبوبة الغالية على نفسه و قلبه فيدعو لها و لقومها بالسقيا:[١]

فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَ بَيْنَ مُغَمَّرٍ ... سَقَتْكِ رَوَايَا الْمُزْنِ حَيْثُ تَصُوبُ[أ]
سَقَاكِ يَمَانٍ ذُو حَبِيٍّ وَ عَارِضٌ ... تَرُوحُ بِهِ جُنْحَ الْعَشِيِّ جَنُوبُ[ب]

و بعد أن يستدر الشاعر عطف محبوبته ، طالبا منها ألا تسوى بينه و بين من لم يجرب الأمور و عاش فى الحياة عيشة سطحية ، بعيدة عن الغوص فيها ، و تجريب أمورها ، و بعد أن دعا " علقمة " لمحبوبته بأن تسقى الماء الغزير الذى حمله ريح الجنوب ألقح الرياح و أجلبها للغيث . بعد كلّ هذا ، ولا تزال المحبوبة على صدها و هجرها ، و عنادها و دلالها ، نرى الشاعر كأعظم ما يكون - صرامة - فينادى قلبه بأن يقطع حبل وصالها قائلا له :[٢]

وَمَا أَنْتَ أَمْ مَا ذِكْرُهَا رَبَعِيَّةً ... يُخَطُّ لَهَا مِنْ ثَرْمَدَاءَ قَلِيبُ

أى إنها ليست من قومك ، فهى غريبة عليك ، بعدت بها المنازل عنك ، فنزلت بثرمداء و أين أنت منها الآن ؟

ثم يتبع " علقمه " ذلك بأبيات فى الحكمة ، تعطى مفهومه عن النساء و تجربته معهن لطول عمره فى هذه الحياة . و لسوف ترد هذه الأبيات - إن شاء الله - عندما يأتى الحديث عن الحكمة عند علقمة كغرض من أغراضه الشعرية .

---

١ - ديوان علقمة - ص ٣٣ .

أ - المغمر : الجاهل الذى لم يجرب ، و روايا المزن : ما حمل الماء منه ، و يصوب : ينزل . ب - يمان : أى سحاب نشأ من ناحية اليمن و هو لا يخلف . و الحبى : السحاب الذى بعضه ببعض

٢ - ديوان علقمة - ص ٣٥ .

وان كان هذا هو حال " ليلى " مع الشاعر فإنه يذكر محبوبة أخرى تدعى " سَلْمى " كما ذَكَرَ . و ربما كانت هذه المحبوبة - كما ظهر من وصف علقمة لها - تختلف في صفاتها و أخلاقها عن " ليلَى " .

فقد حزن الشاعر لفراقها الحزن كله ، و سَحَّت عينه الدمع لبعادها ، لم يمنعه من البكاء عليها كبر سنه ، أو خوفه من لوم الناس له .

نأت " سَلْمَى " مع قومها عندما أزمعوا الرحيل . فلا حول لها ولا قوة . فهي - كسائر فتيات البادية - تقيم مع قومها أينما نزلوا ، و حيثما أقاموا ، فإذا جفَّت عليهم الطبيعة ، و منعتهم خيرها ، المتمثل في كلئها ، و مائها ، تركوا ديارهم باحثين عن ديار غيرها في مواطن و أماكن تكون أكثر خصوبة و مرعى . و هنا ما على الفتاة إلاَّ أن .... تلبي داعي الرحيل من أهلها ، تاركة ذلك الحبيب يتجرع ألم فراقها ، و عذاب بعادها ، تؤرقه ذكرياتها الجميلة ، و أيام وصلها الحلوة.. و مما يزيد الشاعر ألماً و حسرة أنه يفاجأ بهذا الرحيل ، و قد جاء على غرة منه ، فلم تستعد له نفسه الاستعداد النفسي اللازم في مثل هذه الظروف ، و المواقف ، فيصبح الشاعر فريسة لهذه المفاجأة فلا يملك زمام نفسه ، ولا يستطيع كبح جماح قلبه ، و " علقمة " في ذكره لمحبوبته " سَلْمَى " يصور لنا ذلك و هو يتحدث عن مفاجأة رحيل محبوبته ، و عن لحظة فراق أهلها المكان الذي طالما جمع بينهما طيلة أيام حلوة و ليالٍ صافية ، و يصور لنا " علقمة " موكب المحبوبة و قد ضمتها

الهوادج المزركشة بأغلى الأنماط و الثياب التي جلبت من اليمن التي اشتهرت بوشيها عبر أزمان طوال . يقول علقمة:[1]

هَلْ ما عَلِمْتَ وما استُودِعْتَ مكتومُ   أَمْ حبلُها إِذْ نأتكَ اليومَ مصرومُ
أَمْ هل كبيرٌ بكى لَمْ يَقْضِ عَبْرَتَهُ   إِثْرَ الأَحِبَّةِ يومَ البَيْنِ مَشْكُومُ
لَمْ أَدْرِ بالبَيْنِ حتّى أَزْمَعُوا ظُعُنًا   كُلُّ الجِمالِ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مَزْمُومُ
رَدَّ الإِماءُ جِمالَ الحَيِّ فاحْتَمَلُوا   فَكُلُّها بالتَّزِيدِيّاتِ مَعْكُومُ
عَقْلاً و رَقْمًا تَظَلُّ الطَّيْرُ تَتْبَعُهُ   كأَنَّهُ مِنْ دَمِ الأَجْوافِ مَدْمُومُ
يَحْمِلْنَ أُتْرُجَّةً نَضْخُ العَبِيرِ بِها   كأَنَّ تَطْيابَها في الأَنْفِ مَشْمُومُ
كأَنَّ فارةَ مِسْكٍ في مَفارِقِها   لِلْباسِطِ المُتَعاطِي وَهْوَ مَزْكُومُ
فالعَيْنُ مِنّي كأَنْ غَرْبٌ تَحُطُّ بِهِ   دَهْماءُ حارِكُها بالقِتْبِ مَخْزُومُ

....

....

مِنْ ذِكْرِ سَلْمَى و ما ذِكْرِي الأَوانَ لَها   إِلّا السَّفاهُ و ظَنُّ الغَيْبِ تَرْجِيمُ
صِفْرُ الوِشاحَيْنِ مِلْءُ الدِّرْعِ خَرْعَبَةٌ   كأَنَّها رَشَأٌ في البَيْتِ مَلْزُومُ

فهذه هي حال " علقمة " في إثر محبوبة:لها في قلبه من الإعزاز و الإكبار ما يفوق بكثير ما يكنه ذلك القلب لغيرها ، كتلك التي هجرته ، تمنّعت عليه ، و التي ذكرها في قصيدة سابقة مصرحا باسمها " لَيْلَى " - أقول - هذه هي حال " علقمة " بعد رحيل " سَلْمَى " عن دياره ملبية رغبة أهلها و قومها ، فقد ذرف عليها الشاعر الدمع الغزير . عندما صعقته مفاجأة رحيلها ، ولمّا تشبع منها نفسه و روحه و لمّا يرتوِ منها قلبه المحزون

---

(1) ديوان - علقمة - من ص ٥٠ الى ٥٦ .

و بكل الأسى و الحزن يصور " علقمة " ركب المحبوبة من جِمال قد نصبت عليها الهوادج لتركب فيها نساء القوم . تلك الهوادج التى أسدلت عليها ثياب من أنواع فاخرة تتمثل هذه الثياب فى " العقل " و " الرقم " و التى يجلبها أغنياء القوم من " اليمن " .

وهى ثياب حمراء شديدة الاحمرار ، تراها الطيور فتظنها لحوماً مدمومة فتظل الطير تابعة هذا الركب ، ضاربة بجناحيها هذه الثياب التى تجلل هوادج المحبوبة . تلك المحبوبة التى تضمخت بالطيب و كأنها بين مفارقها قارورة مسك فاح ريحها حتى نفذ إلى أنف من زكم ، فاستطاع أن يحسه رغم ما ألم بـه .

و كلما تذكر الشاعر هذه المحبوبة فاضت عيناه بدمع حاكى ماء دلو عظيم تجذبه ناقة ضخمة ، قوية . إن تلك المحبوبة لتشبه فى جمالها ظبياً تُربّيه الجوارى فى بيوتهن و تلزمنه ، ولا تفارقنه ليُمتّعن انفسهن بجماله ، و دلاله .

و تبدو صورة المحبوبة فى هذه الأبيات قد اختلفت كل الاختلاف مع صورة المحبوبة السابقة ، و إن كان مصير الشاعر معهما واحدا ، فكلتا هما هجرته أيا كان هذا الهجر برضى المحبوبة و رغبتها ، أم جاء رغما عنها لا إرادة لها فيه .

و تطالعنا فى شعر " علقمة " الغزلى صورة للمحبوبة فى قصيدة ثالثة . هذه المحبوبة بادر الشاعر نفسه بهجرها ، لما رأى منها تمنع ، و صد ، و هجر ، و دلال .

فقد أرهفت هذه المحبوبة سمعها للوشاة الذين مشوا بينها و بين الشاعر بالوقيعة ، ودس الوشاية كذبا ، وزورا ، ليحققوا بذلك غرضا يسعون إليه . و غرضهم هذا أن يفرقوا بين المحب و من تعلق قلبه بها .

و ظل الوشاه على ذلك زمنا طويلا ، و الشاعر و محبوبته ينعمان... بوصل ، يزداد مع ازدياد وشاية الواشين . و لم يمل أولئك الواشون ، ولم يسأموا هذا العمل بل ظلوا مواصلين لوشاياتهم ، حتى استطاعوا فى نهاية المطاف أن يصلوا إلى غرضهم و أن يحققوا ماباتوا يهدفون إليه . و يفيق الشاعر بعد هجره لمحبوبته و يلوم نفسه على تسرعها فى اتخاذ قرار كهذا الذى اتخذه بالابتعاد عنها ، و هجرها .

لكن الشاعر سرعان ما يعود فيؤكد أن تلك المحبوبة تستحق الهجر إذ زادت فى دلالها ، و لجّت فى تناقلها عليه ، و أخلفت مواعيدها معه فلم تصدقه الوعد ، و صرحت له بمعرفتها بضعفه أمامها . و هنا تثور ثائرة الشاعر ، و تصحو نفسه ، و تستيقظ كرامته ، و يحاول أن يثبت لهذه المرأة أنه لم يكن ليضعف أمام مثيلاتها ، و يبادرها متخذا منها موقف العداء ، طالبا إليها الابتعاد عنه . فلم ينتظر حتى تهجره هى ثم يجرى وراءها متذللا لها ، طالبا عفوها و رضاها .

و يبدو الشاعر فى موقفه هذا أكثر جلدا ، و صبرا . لم لا ؟ وهو الذى لاتغويه نساء عين ، مخضبات ، بنانهم ليجذبن إليهن ضعاف النفوس من الرجال ..

يقول علقمة فى ذلك الموقف :[1]

ذهبتَ مِنَ الهجرانِ فى غيرِ مذهَبِ ... و لمْ يكُ حقا كلُّ هذا التجنُّبِ
ليالىَ لا تبلى نصيحةُ بيننا ... ليالىَ حلّوا بالستارِ فغُرَّبِ
مُبتّلةٌ كأنَّ انضاءَ حَلْيِها ... على شادنٍ من صاحةٍ مُتربِّبِ
مَحالٌ كأجوازِ الفَضاءِ ولُولُؤٌ ... من القلقىِّ و الكبيسِ المُلَوَّبِ
إذا ألحمَ الواشونَ للشرِّ بيننا ... تبلّغَ رسُّ الحُبِّ غيرُ المُكذَّبِ
و ما أنتَ أمْ ما ذِكرُها ربعيّةً ... تحلُّ بإيرٍ أوْ بأكنافِ شُرْبُبِ
أطعتَ الوشاةَ والمشاةَ بصرمِها ... فقد أنهجتْ حِبالُها للتقضُّبِ
و قدْ وعدتكَ موعدًا لوْ وفتْ بهِ ... كموعودِ عرقوبٍ أخاهُ بيثربِ
و قالتْ و إنْ يُبخَلْ عليكَ ويُعتَلَلْ ... تشكَّ وإنْ يُكشفْ غرامُكَ تدرَبِ
فقلتُ لها فِيئى فما تستفِزُّنى ... ذواتُ العيونِ و البنانِ المُخضَّبِ
ففاءتْ كما فاءتْ مِنَ الأدمِ مُغزِلٌ ... ببيشةَ ترعى فى أراكٍ و حُلَّبِ
فعِشنا بِها مِنَ الشبابِ مُلاوةً ... فأنجحَ آياتُ الرسولِ المُخبِّبِ

و هكذا أحب علقمة و عاش رمنا على هذا الحب مع هذه المحبوبة حتى تنكر الدهر لهما و دخل بينهما الواشون يشوهون صورة ذلك الحب ، ولقد جدوا فى ذلك دون جدوى . لكنهم تمكنوا فى النهاية من أن يصلوا إلى

١ - ديوان علقمة - من ص ٧٩ - ٨٤ .

غرضهم و يفرقوا بين الحبيبين ، بعد ما أحس الشاعر من محبوبته تأثرها بوشايات الواشين ، و نظرتها إليه على أنه ضعيف لا يطيق لها فراقا فألحت على الشاعر كرامته ، و عزة نفسه ، أن يتحدى لهذه المحبوبة ذلك التحدى و أن يقف منها ذلك الموقف برهنة على رجولة لا نظير لها ، و قوة نفس و إباء يشهدان بقوة ذلك المحبوب و عظمة إرادته .

و غزل علقمة يدل - فيما يدل - على عفة نفس - و طهارة قلب و لسان فلم يكن غزله فاحشا ، عاهرا كما رأينا الغزل عند كثيرين من شعراء الجاهلية ولم يغش ديار المحبوبة ليلا و الناس نيام ، و لم يفخر عليها بأنها ليست الأولى من نوعها التي يأتيها ليلا فقد أتى من قبلها نساء كثيرات .

- أقول - ليس غزل " علقمة " بهذا الفحش و تلك الدرجة من الوصف الحسي التي درج عليها شعراء كثيرون منهم من سبقه و منهم من عاصره و منهم من كان بعده .

و في هذا المقام أتخذ من شاعرين عاصرا علقمة مثالا ، و شاهدا على ما أقول و ليكن هذا الشاعران هما " عبيد بن الأبرص " و " امرؤ القيس بن حُجْر " ، فكلا الشاعرين في غزله فحش ، و صراحة ، و مجون . يقول " عبيد بن الأبرص " مثلا :(1)

وَ غَيْلَةٍ كَمَهَاةِ الجَوِّ نَاعِمَـــةٍ   كَأَنَّ رِيقَتَهَا شِيبَتْ بِسَلْسَـــالِ
قَدْ بِتُّ أُلْعِبُهَا طَوْراً وَ تُلْعِبُنِي   ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَ هِيَ مِنِّي عَلَى بَالِ

و يقول فى موضع آخر موضحا تسلله إلى المحبوبة تحت جنـح الليل لا يراه أحد ، ولا يشعر به إنسان :(1)

وَ لَقَدْ أَدْخُلُ الخِبَاءَ عَلَى مَهْضُو   مَةِ الْكَشْحِ طَفْلَةٍ كَالْغَـــزَالِ
فَتَعَاطَيْتُ جِيدَهَا ثُمَّ مَالَـــتْ   مَيَلَانَ الْكَثِيبِ تَحْتَ الرِّمَـالِ
ثُمَّ قَالَتْ فِدًى لِنَفْسِكَ نَفْسِـــي   و فِدَاءٌ لِمَالِ أَهْلِكَ مَـــالِي

ثم ها هو ذا فى موضع آخر يقول:(2)

وَ قَدْ تَبَطَّنْتُ مِثْلَ الرِّيمِ آنِسَـــةً   رُودَ الشَّبَابِ كَعَابًا ذَاتَ أَوْضَاحِ(أ)
تُدْفِي الضَّجِيعَ إِذَا يَشْنُو وَ تَخْصُـرُه   فِي الصَّيْفِ حِينَ يَطِيبُ البَرْدُ لِلصَّاحِ
نَخَالُ رِيقَ ثَنَايَاهَا إِذَا ابْتَسَمَـــتْ   كَمَزْجِ شُهْدٍ بِأُتْرُجٍ وَ تُفَّـــاحِ
كَأَنَّ سُنَّتَهَا فِي كُلِّ دَاجِيَــــةٍ   حِينَ الظَّلَامُ بَهِيمٌ ضَوْءُ مِصْبَــاحِ(ب)

---

1 - المصدر السابق - ص 110 .

2 - " " - ص 40 .

أ - رود : شابة ، و الكعاب : ذات الأثداء الناهدة .

ب - السنة : الوجه أو دائرة الجبهـة .

و إن كان هذا هو غزل " عبيد بن الأبرص " فأفضح منه و أصرح غزل " امرىء القيس " أليس هو القائل:[1]

و يومَ دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنيـــزَةٍ فقالتْ لكَ الويلاتُ إنّكَ مُرجِلي

تقولُ و قدْ مالَ الغَبيطُ بنا مَعًــا عَقَرْتَ بَعيري يا امرأَ القيسِ فانْزِلِ

فقُلتُ لها سيري و أَرْخي زِمامَــهُ ولاتُبْعِديني منْ جَناكِ المُعلَّلـــلِ

فمِثلِكِ حُبْلى قدْ طرقْتُ و مُرْضِـــعٌ فألْهَيْتُها عنْ ذي تَمائِمَ مُحْـوِلِ

و أليس هو القائل أيضا ؟:[2]

فجِئتُ و قدْ نضَتْ لِنومٍ ثِيابَهـــا لدى السِّـترِ إلا لِبْسَةَ المُتفضِّلِ

فقالتْ يَمينَ اللّهِ ما لكَ حِيلَـــةٌ و ما إنْ أرى عنكَ الغَوايةَ تنجَلي

خَرجْتُ بِها تَمْشي تَجرُّ وراءَنــــا على أثَرَيْنا ذَيلَ مِرْطٍ مُرحَّـــلِ

فلمّا أجزْنا ساحةَ الحيِّ و انتحَـــى بِنا بَطْنَ خَبْتٍ ذي حِقافٍ عَقَنْقَلِ

هصرْتُ بِفَوْدَيْ رأسِها فتمايلـــتْ عليَّ هَضيمَ الكَشْحِ ريّا المُخلخَلِ

هذان شاعران سبقا علقمة زمنيا في قول الشعر ، وكان من الجائـــز ، و من المظنون أن يستقي منهما علقمة . و لكنّه في غزله لم يكـــن مثلهما بل كان عفًا مرتفعا عن كل هذه التفصيلات في وصف المحبوبـــة الحسي ، و ذكر اللقاءات التي تعم تحت جنح الظلام . و إذا ما تصفـــح الباحث ديوان علقمة لم يجد له سوى ما ذكرت من غزل في إطار قصائـــده

---

١ - مختار الشعر الجاهلي : مصطفى السقا - ص ٢٤ ، ٢٥ .
٢ - المرجع السابق - ص ٢٦ ، ٢٧ .

اللهم إلاّ قطعة غزلية تتكون من ثلاثة أبيات يذكر فيها علقمة ذهابه إلى محبوبته متخفيا . و لكنه لم يصرّح فيها بما صرّح به سابقاه كذلك توجد قطعة أخرى غزلية أيضا تتألف من ستة أبيات يتحدث فيها عن محبوبته (هُنَيْدَة) و التى كنّاها " بابْنَةِ الزَّبْدِيِّ " و هذه القطعة الغزلية بعيدة هى الأخرى عن الفحش و الصراحة كل البعد.

يقول علقمة عن محبوبة لم يصرح باسمها :(1)

تَوَاءَتْ و أَسْتَارٌ مِنَ البَيْتِ دُونَهَا ... إِلَيْنَا و حَانَتْ غَفْلَةُ المُتَفَقِّدِ

بِعَيْنَيْ مَهَاةٍ يَحْدُرُ الدَّمْعَ مِنْهُمَا ... بَرِيمَيْنِ شَتَّى مِنْ دُمُوعٍ وَإِثْمِدِ (أ)

وَ جِيدِ غَزَالٍ شَادِنٍ فَرَدَتْ لَهُ ... مِنَ الحَلْيِ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وَ زَبَرْجَدِ

و من الواضح فى هذه الأبيات أن " علقمة " ذهب إلى هذه المحبوبة بعد أن غفل عنه الرقيب ، و لكنه فى تصويره لهذه المحبوبة يذكر أنها برزت له و عيناها تفيض بالدمع الغزير . و ما ذلك الدمع الا دمع محبوبة قد زاد شوقها لمن تحب ، ذلك المحبوب الذى طال غيابه عنها ، فلم تره منذ فتره من الزمن ، و لم يحتمل ذلك الحبيب العف أكثر من هذا فذهب إليها. و هذه هى المرة الأولى فى غزل علقمة التى يذكر فيها أنه يغشى ديار محبوبته فى غفلة من القوم .

---

١ - ديوان علقمة - ص ١٠٥ .

أ - البريمين : اللونين المختلفين .

و ربما كان ذلك أيام شبابه . و لو كان أيام الشباب كما أظن لكان ذلك دليلا و برهانا أصدق برهان على تعقله حتى في هذه المرحلة من العمر .

و القطعة الثانية في غزل علقمة و التي يذكر فيها لقاءه بمحبوبته "هنيدة" أو "ابنة الزبدي" يقول فيها "علقمة"[1]:

كأنّ ابنةَ الزّبديِّ يوم لقيتُها ... هُنيدةُ مكحولُ المدامعِ مُرشِقُ[أ]
تُراعي خذُوًا لا ينقضُ المُردَ شادِنًا ... تنوشُ من الضَّالِ القِدافِ و تَعلقُ[ب]
و قُلتُ لها يومًا بوادي مُبايِضٍ ... ألا كلُّ عانٍ غيرِ عانيكِ يُعلقُ[ج]
يُصادفُ يومًا من مَليكٍ سَماحةً ... فيأخذُ عرضَ المالِ أو يتصدَّقُ[د]
و ذكّرنيها بعدما قد نسيتُها ... ديارٌ علاها وابلٌ مُتبعِّقُ[هـ]
بأكنافِ شمّاتٍ كأنّ رسومَها ... قضيمُ صَناعٍ في أديمٍ مُنمّقُ[و]

فهل كان علقمة في كل غزله الذي مرّ بنا وحتى ذلك الذي صرّح فيه بمغافلته للرقيب و ذهابه لمحبوبته دون أن يراه أحد ، أو ذاك الذي صرّح فيه بلقائه إياها بوادي " مبايض " - أقول - هل كان " علقمة " في هذا الغزل أو ذاك فاحشا عاهرا ، واصفا أعضاء جسد محبوبته كما فعل كل من عبيد بن الأبرص ، و امرىء القيس بن حُجر " .

أ - مكحول المدامع : أي ظبية شديدة سواد العين ، و مرشق : اي معها ولدها ب - تراعي خذولا :: أي تلاحظ ابنها و تحفظه و المرد : ثمر الأراك . تنوش : تتناول ، و الضال : السدر البري و تعلق : أي تتناوله بلسانها . ج - العاني : الأسير .
د - عرض المال : ما ليس بدراهم ولادنانير . هـ - متبعق : مندفع بالماء الغزيز فجأة و - الأكناف : النواحي و الجوانب ، و القضيم: حصير منسوج . و الأديم : الجلد مطلقا ، أو الاحمر ، أو المدبوغ . و المنمق : المنقوش . 1 - ديوان علقمة - ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

كلا .. ما كان علقمة فى غزلة كهذا ، ولا كذاك و إنما/عفا طاهرا ، متعففا ذا شخصية متزنه رزينـــة .

يبدو ذلك كله من وصفه لمحبوبته . فقد وصفها غير مفصل فى ذلـــــك الوصف فلم يتناول جسدها بالتشريح كما فصل معظم شعراء الجاهلية . لـــم يتحدث علقمة عن شعر محبوبته ولا عن ثغرها و وجهها ، و جيدها ، و قدّ ها ، إلى آخر هذه التفصيلات التى ترفعت عنها نفس هذا الشاعر العف .

و صف علقمة محبوبته بالتنعم و بأنها تظهر عليها مخايل النعمـــــة و السعادة و هناءة العيش ، وصفها فى جمالها بظبية أو بغزال شادن ، هــذا عن وصفها الحسى المادى ، وإلى جانب ذلك الوصف الحسى فقد وصف لنـــا علقمة أخلاق محبوبته فهى الأمينـة التى لا تفشى سرا و تحفظ غيبـة زوجهـا هذا عن واحدة . و المحبوبة عنده فى وصف آخر هى المماطلة فى وعدها المرهفة سمعها لوشاية الواشين فتعكر صفو حبها مع حبيبها .

هكذا نأى علقمة عن كل ما يشين فى غزلة . و لم يفعل مثلما فعل سابقــوه ، أو معاصروه ، أو حتى من جاءوا بعـــده .

و بعد هذه الجولة فى شعر الغزل عند عقلمة . أتناول الآن غرضا شعريـــا جديدا من أغراض الشعر عنده ، و ليكن هذا الغرض هو المديح .

رابعا - المديح :

المديح فن من الفنون الشعرية القديمة ، عرف به شعراء كثيرون ، بل منهم من وقف شعره على المديح ، يتقرّب به إلى أولى الأمر ، طامعا في عطاياهم ، و قرباهم .

و " علقمة " كواحد من هؤلاء الشعراء ، بل من أوائلهم ، مدح كما مدح غيره .. لكن المدح عنده لم يكن مدحا رخيصا مبنيا على النفاق ،والرياء و المخادعة . فكيف يكون ذلك وهو سيد من سادة قبيلةٍ سادت القبائل التى عاشت مجاورة لها ، و كانت لها بينهم الكلمة و الرأى .

و قد مرّ بنا عند دراستنا لقبيلة " تميم " أن دولة " كفارس " مثلا كانت تهابها و تحاول إرضاءها ما وجدت إلى ذلك من سبيل . و لقد وصل الأمر فى إرضائهم لهذه القبيلة أن " الفرس " أقروا لهم بالردافة حتى يأمنوا غضبهم و شرهم(1)

فإذا كانت هذه هى حال قبيلة علقمة ، إذن فقد نشأ علقمة نشأة السادة و الأشراف و ليس هو فى حاجة إلى أن يتقرب بالمديح لحاكم ، أو سلطان فما به حاجة إلى مدح هذا أو ذاك .

---

١ - المعارف : لابن قتيبة - ص ٦٥١ .

و لذا كان نصيب المديح فى شعر " علقمة " ضئيلا لدرجة كبيرة إذ لم نر له فى ديوانه مدحا اللهم إلا تلك القصيدة التى مدح بها " الحارث بن أبى شمر الغسانى " .

و ما دفع " علقمة " إلى هذا المدح طمع فى وصل أو عطاء ، بل دفعته إلى ذلك ظروف قاسية على النفس مؤلمة . فقد وجد " علقمة " أن من واجبه - و هو الذى تعلقت بهآمال قومه - أن يذهب إلى " الحارث " و يمدحه فى هذه القصيدة حتى يطلق له سراح أخيه " شاس بن عبدة " و بقية أسرى بنى تميم ، أولئك الذين أسرهم " الحارث " فى معركة مع المنذر بن ماء السماء " و التى قتل فيها " المنذر " ذاك .

هذه هى ظروف و ملابسات مديح " علقمة " للحارث بن أبى شمر الغسانى و هى تبدو أنها ظروف أوجبتها عليه صلة الرحم ، و رابطة الدم ، و دفعه إليها غرض شريف سام يسمو به ، و يعلى مكانته فى أعين الناس عامة ، و فى أعين بنى " تميم " خاصة .

مدح " علقمة " الحارث " بقصيدته البائية . التى يقول فى مطلعها [1] :

طَحَا بِكَ قلبٌ فِي الحِسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

١ - ديوان علقمة - ص ٣٣ .

و بعد أن ذكر " علقمة محبوبته ، و ما كان منها من صدٍ و هجـــران ، ومحاولات للمماطلة و الروغان ، و بعد أن عاتب نفسه على تتبعه لهــذه المرأة المماطلة ، الحروم بعدكل هذا رأى علقمة أنه لا فائدة فى التعلـــق بهذه المرأة ، و رأى أنه من الخير له أن يمتطى ناقته الجسرة القويـــة، و يقطع بها الفيافى و الصحراء ذاهبا إلى ممدوحـه .

و لقد صور " علقمة " فى قصيدته ، و فى مقطع وصف الناقة بالـــذات ، كل ما لاقاه فى رحلته إلى ذلك الممدوح من أيْنٍ و مُعَانَاةٍ . يتمثل هـــذا الأيْنَ و تلك المعاناة فى طول الطريق ، و وحشته . حتى وصل آخر الأمـــر بعد لأيٍ و مجهدةٍ إلى ممدوح طالما تمنى لقاءه .

و ماأحسب كل هذا السرد الطويل من الشاعر إلا ليجعل الممــــدوح قريبا منه و يجعله يحس من داخله بالعطف على رجل لاقى كل هذه الصعاب و تلك المشقات حتى وصل إليه . و كأن " علقمة " بذلك كله يهيىء ممدوحه نفسيا لتقبل كل ما يريده منه .

فإذا ما مدحه ، و أطال فى مدحه عرض عليه حاجته و عايته فيجد منه استجابة سريعه لقضاء مآربه و حاجاته .

و هذا ما كان من " علقمة " فلم يكد يقول للحارث - عن أخيه قولتـــه المشهورة " فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ " إلا و قال الحارث له علـــى الفور : " نَعَمْ وأَذْنِبَةٌ " .

و يجدرالآن أن أورد أبيات " علقمة " التى مدح بها " الحارث " حتى تكتمل الصورة أمام أعيننا وحتى نعرف يقينا أن علقمة لم يمدح طالبا لمال ولا طمعا فى جاه يقول علقمة[1]:

إِلى الحارثِ الوهّابِ أعملتُ ناقتِي ... لِكلكلِها و القُصْريينِ وجِيبُ

لِتُبلغَنِي دار امْرِئٍ كان نائِيًا ... فقد قربتنِي مِنْ نداكَ قَرُوبُ

إِلَيْكَ أَبيتَ اللّعنَ كان وَجيفُها ... بِمُشتبِهاتٍ هَوْلُهنّ مَهِيبُ

تتبّعُ أفياءَ الظِّلالِ عشيّةً ... على طُرُقٍ كأنّهنّ سُبُوبُ

هدانِي إِليكَ الفرقدانِ ولاحِبٌ ... لهُ فوقَ أصْواءِ المِتانِ عُلُوبُ

بِها جِيفُ الحَسْرى فأمّا عِظامُها ... فَبيضٌ و أمّا جِلْدُها فَصلِيبُ

فأوْردتُها ماءً كأنّ جِمامَهُ ... مِنَ الأجْنِ حِنّاءٌ معًا و صَبِيبُ

تُرادُ على دِمْنِ الحِياضِ فإِنْ تعَفْ ... فإِنّ المُنَدّى رِحْلةٌ فرُكُوبُ

وهذه أبيات تمهيدية كما نرى ، يحاول فيها الشاعر أن يثبت لممدوحه كثرة ما لاقى من عناء فى رحلته إليه . فها هو ذا يكلف ناقته فوق طاقتها لتوصيله إلى دار الممدوح تلك الدار التى كانت عنه نائية .

ثم جاء بعد ذلك حديث طويل " لعلقمة " وصف فيه الطرق المشتبهات التى تضل من يسير فيها ، فكم لاقت ناقته من قسوة الحر ، و وهج الشمس حتى كانت تتبع أماكن الظل فتأوى إليها مخففة عن نفسها بعض ما تلاقى .

---

١ - ديوان علقمة من ٣٩ الى ٤٢ .

و إنها لطرق قاسية على النفس ، موحشه توحي للسائر فيها ما بين اللحظة و اللحظة ، بالهلاك المؤكد . فقد حُفَّت هذه الطرق بجيف نوق ماتت من كثرة التعب و تصلب جلدها ، و ابيضت عظامها .

ظلت ناقة " علقمة " فى سيرها تجد وتكد إذا أحست العطش أوردها الشاعر ماء قد تغير لونه من كثرة تراكمه ، فأصبح يشبه الحناء لونا ، فإنْ عافته الناقة ، و فضلت العطش على أن تشرب منه ردها الشاعر إلى المرعى ثانية ، ثم واصل رحلته إلى ممدوحه .

و هكذا استطاع الشاعر بلباقته ، أن يجسد للممدوح عناءه ، و نصبه ، و عناء ناقته و نصبها فى رحلتهما الشاقة إليه . حتى إذا ما أحس الشاعر من الممدوح تجاوبا عاطفيا ، بدأ فى مدحه ، ذاكرا له شجاعته يوم " عَيْنِ أُبَاغَ " و قضاءه على " المنذر بن ماء السماء " و انتصاره الساحق عليه . يقول علقمة[1] :

وَ أَنتَ امْرُؤٌ أَفْضَتْ إِلَيكَ أَمَانَتِي ... وَ قَبْلَكَ رَبَّتْنِي فَضِعْتُ رُبُوبُ

فَأَدَّتْ بَنُو عوفِ بنِ كَعْبٍ رَبِيبَهَا ... وغُودِرَ فى بَعْضِ الجُنُودِ رَبِيبُ (أ)

فَوَ اللهِ لولَا فارِسُ الجَوْنِ مِنْهُمُ ... لَآبُوا خَزَايَا وَ الإِيَابُ حَبِيبُ (ب)

تُقَدِّمُهُ حَتَّى تَغِيبَ حُجُولُهُ ... وَ أَنْتَ لِبَيْضِ الدَّارِعِينَ ضَرُوبُ (جـ)

مُظَاهِرُ سِرْبَالَيْ حَدِيدٍ عَلَيهِمَا ... عَقِيلَا سُيُوفٍ مِخْذَمٌ وَ رَسُوبُ (د)

فَجَالَدْتَهُمْ حَتَّى اتَّقَوْكَ بِكَبْشِهِمْ ... وَ قَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبُ

---

١ - ديوان علقمة من ص ٤٣ إلى ٤٧ . أ - غودر ربيب : أى أسر مع الأسرى وهو يقصد أخاه شاسا . ب - الجون : اسم فرس الحارث .

جـ - الحجول : بياض فى أقدام الفرس (أى تغيب فى دماء الأعداء التى سفكت . د - مظاهر سربالى حديد : أى لابس درعى الحديد أحدهما فوق الآخر . و العقيل : الكريم من كل شئ ، و مخذم : أى قاطع ، رسوب : أى فى الضريبه ولا ينبو عنها وهذا اسمان لسيفى الحارث .

وَ قَاتَلَ مِنْ غَسَّانَ أَهْلُ حِفَاظِهَا ... وَ هِنْبٌ وَ قَاسٌ جَالَدَتْ وَشَبِيبُ [أ]

تَخَشْخَشُ أَبْدَانُ الحَدِيدِ عَلَيْهِمُ ... كَمَا خَشْخَشَتْ يُبْسَ الحَصَادِ جَنُوبُ

تَجُودُ بِنَفْسٍ لا يُجَادُ بِمِثْلِهَا ... وَ أَنْتَ بِهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ تَطِيبُ

كَأَنَّ رِجَالَ الأَوْسِ تَحْتَ لَبَانِهِ ... وَ مَا جَمَعَتْ جُلٌّ مَعًا وَ عَتِيبُ [ب]

رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فَدَاحِصٌ ... بِشِكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَ سَلِيبُ [ج]

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ ... صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ [د]

فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا شِطْبَةٌ بِلِجَامِهَا ... وَإِلَّا طِمِرٌّ كَالقَنَاةِ نَجِيبُ [هـ]

وَإِلَّا كَمِيٌّ ذُو حِفَاظٍ كَأَنَّهُ ... بِمَا ابْتَلَّ مِنْ حَدِّ الظُّبَاتِ خَضِيبُ

و فى هذا المقطع الذى يمدح فيه علقمة " الحارث " حرص على أن يصفه بصفات محببه إلى نفسه من قوة ، و شجاعة تحققان له النصر المؤزَّر على عدوه . ثم يقسم " علقمة " بأنه لولا الحارث فى ميدان القتال لتغيرت مجريات الأمور . فقد كان يتقدم بجواده خائضا فى دماء الأعداء التى سُفكت ، ضاربا أعداءه الذين احتموا بدروعهم ، لابسا درعين من حديد من أجود أنواع الدروع هما " مِخْذم " و " رسوب " و ظل الحارث يجالد أعداءه و يذيقهم صنوف الموت حتى أسلمواله قائدهم ، و رئيسهم و هو " المنذر بن ماء السماء " و جعلوه بينه و بينهم يتقون

أ - هنب و قاس ، و شبيب : كلهم من اليمن . ب - الأوس: (ومن كان منها فى طاعة الحارث) ، وجل ، وعتيب : من غسان ، وتحت لبانه: أى تحت حكمه و طاعته ، و يحتمل : تحت لبان فرسه يتقدمون بين يديه يدافعون عنه . جـ - السقب : ولد الناقة : أى هلك أعداؤه كما هلكت ثمود .. و داحص : أى سقط على الأرض من أثر الضربه حاملا سلاحه .

د - يشبههم بطير صعقت من أثر سحابة قاسية فلم يستطيعوا حراكا .

=

به الموت و الفناء . و حمى القتال و صدقت غسان ومن معها ما عاهدوا " الحارث " عليه ، فقد كان يقاتل غير آبه بالموت ، بل كان على استعداد أن يجود بنفسه فى هذا اليوم العصيب . و ظلوا هكذا حتى قضى على أعدائهم ، فأصبحو كالطير التى أصابتها صاعقة من السماء . و لم يستطع النجاة فيى هذا اليوم إلا الخيل القوية السريعة و الفرسان الكماة المحافظون على شرفهم فلا يتركون أنفسهم حتى تقع بهم الهزيمة لما عليهم فى ذلك من الضعف و الخزى و العار .

و فى هذا السرد الدقيق لوصف المعركة ، و ما دار فيها ، و ما كان من الحارث و رجاله و فى هذه الصفات التى أسبغها " علقمة على ممدوحه ما جعله يستحوذ على قلب المحبوب و وجدانه .

و لما أحس " علقمة أنه قد مهد الطريق لقلب هذا الممدوح ، يسادره بحاجته التى من أجلها جاء إليه طالبا منه قضاءه إياها . فهو الجدير بذلك و له من الأيادى و النعم ما يشهد بها كل مكان و زمان . يقول " علقمة " مبديا حاجته للحارث طالبا منحه تحقيقها [1]:

= هـ - الشطبه : الفرس الطويله ، و الطمر : الجواد الخفيف الوثوب .
يورد د. " هداره " بيتا " لعلقمة " و يصفه بعده بالمبالغة الشديده فى مدحه للحارث فى قوله :
وَلَسْتَ لإنسِيٍ و لَكِنْ لِمَلْأَكٍ   تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ .
يقول د. " هدارة " : و تكمن مغالاته فى جعله الحارث منسوبا إلى الملائكة لا إلى البشر " الشعر العربى من الجاهليه حتى نهاية القرن الرابع الهجرى " : د. محمد مصطفى هدارة . ص ٤٦ .

١ - ديوان علقمة - ص ٤٨ .

وَ فِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ   فَحَقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ (أ)
وَ مَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا قَبِيلُهُ   مُسَاوٍ وَلَا دَانٍ لِذَاكَ قَرِيبُ (ب)
فَلَا تَحْرِمَنِّي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ   فَإِنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ الْقِبَابِ غَرِيبُ (جـ)

وهكذا استطاع " علقمة " أن يستخدم كل ما يستطيع من ذكاء ، وحسن تدبير في مدحه " للحارث " حتى استطاع أن يصل إلى غايته ، و أن يطلق سراح أخيه و أسرى قومه من " بني تميم " . و لكي يؤكد " علقمة للممدوح ثقته فيه يذكر له أفضاله و أنعمه التي يشهد بها الناس في كل زمان و مكان . و إن هذا الممدوح لا يوجد من يساويه أو يدانيه فضلا و شرفا و في آخر بيت يناشد " علقمة " " الحارث " ألا يرده خائبا و هو رجل بعدت به الدار و أصبح غريبا في جوار الممدوح . و للغريب حق تقدسه العرب منذ كانت .

و هكذا كان " علقمة " مادحا ، لا من أجل المال أو أي غرض آخر و إنما كان مادحا من أجل غرض سام ، نبيل . غرض فرضه عليه الواجب ، و فرضته عليه الإنسانية .

أ - خبطت : أي انعمت و تفضلت ، و أصل الخبط : ضرب الشجر بعصا ليتساقط ورقه فتأكله الماشية . ب - أي لا يساوي أحد هذا الممدوح ولا يدنو منه في الفضل و الشرف إلا " قبيله "

جـ - عَنْ جَنَابَةٍ : أي عن بعد و غربه عن الديار ، و عن : هنا بمعنى: بعد.

و اذا ما تصفح الباحث ديوان " علقمة " وقع له على أبيات ثلاثة في المدح يمدح فيها فارسا مجهول الاسم ، تركه جنوده لحما للسباع ، و الطير . و ما كان هذا الفارس بالجبان ، ولا كان بالضعيف . فقد كان في استطاعته أن ينجو من الموت هربا ، لكن شيمه ، و خلاله تأبى عليه ذلك . فهو شجاع و مدرك أن لكل أجل كتابًا . يقول علقمة في مدحه لهذا الفارس[1] :

فَارِسٌ ما غَادَرُوهُ مُلْحَمَا   غَيْرَ زُمَّيلٍ وَلَا نِكْسٍ وَكَلْ[أ]

لَوْ يَشَا طَارَ بِهِ ذُو مَيْعَةٍ   لَاحِقُ الآطَالِ نَهْدٌ ذُو خُصَلْ[ب]

غَيْرَ أَنَّ البَأْسَ مِنْهُ شِيمَةٌ   و صُرُوفُ الدَّهْرِ تَجْرِي بِالأَجَلْ

فها هو ذا " علقمة " يمدح فارسا قد مات ، و أكلته السباع والطير فهل ينتظر جزاء على مدحه هذا ؟ كلا . فما مدحه إلا إعجابا بهذا الفارس ذي الكرامة و الشهامة . و هكذا يبدو لنا مدح علقمة في ترفعه و سموه مدح إنسان جبل على عزة النفس ، وحب الكرامة ، و البعد عن كل ما من شأنه أن يزري بصيان المرء و وقاره ، و أن يسقطه في أعين الناس .

و هكذا يبدو لنا " علقمة " شاعرا متميزا ينفرد بكثير من الصفات و الأخلاق . رأيناه واصفا دقيقا ، و رأيناه مفتخرا بنفسه ، و قبيلته ،

---

١ - ديوان علقمة - ص ١٣٣ - ١٣٤ .

أ - ملحما : أي لحما للسباع و الطير ، و زميل : أي جبان ضعيف ، و نكس : أي لاخير فيه . و الوكل : الذي يكل أمره الى غيره .

ب - ذو ميعه : فرش نشيط ، ولا حق الاطال : هو الضامر الخصر ، و النهد : الغليظ .

و رأيناه متغزلا فى عفة و طهارة ، و صون لسان، و رأيناه آخر الأمــــــر مادحا لا من أجل مال أوعطاء ، بل من أجل ما تفرضه عليه نفسه الأبيــه، و روحه الطاهرة المحبة للإيثار . و لن نراه هاجيا أبدا فلم يشأ أن يتنزل من مقامه الأسمى ليتطاول على الناس ، معرضا بآبائهم ، و أمهاتهـــم، و لكننا سوف نراه فى نهاية هذه الجوله مع شعره حكيما أكسبته الأيــام تجربة ، و حنكة ، و علما فانتفع بكل ما مرّ به فى حياته و أراد أن ينفع به غيره . فنظم الحكمه فى شعره ، ليهدى من يريد أن يهتدى و ليرشــد من كان العلم غايته و الحقيقه هدفه ، و ليعظ من غرّته الحياه بزخرفهـــا فنسى النهاية المؤلمة التى تنتظر كل إنسان .

خامسا - الحكمـــــة :

كانت الحكمة عند الجاهليين جماع الحياة الفكرية ، و الاجتماعيـــــه ، فقد كان الشاعر حكيما لأنه يجمع بين تجربة القبيله ، و تجربته الفردية. و من الجاهليين من كان يفرد للحكمة قصائد معينه . و منهم من كانـــت تأتى الحكمة عنده للزينة فى ثنايا قصائده ، و منهم من كانت تأتـــــى الحكمة عنده لحسن التخلص لينتقل من غرض إلى غرض .

و " علقمة " لم يتخلف عن ركب الحياة الجاهليه فنظم فى الحكمـــه أشعارا تعطى نظرته فى الحياة ، و أحوالها . و لكن إلى أى مدارس الحكمه كان ينتسب علقة ؟ أكان يفرد للحكمة قصائد بعينها ؟ أم كان يستخـــدم الحكمة لتزيين قصائدة ؟ أم كان يستخدمها لحسن التخلص و الانتقـــال

من غرض إلى غرض ؟. و أظن و أحسب أن علقمة ينتمي إلى المدرســة الأخيرة فكان يقول الحكمة ليخدم بها الموقف الذى يتحدث عنه ثم لينتقل بها إلى غرض آخر حتى لا يكون للانتقال عنده فجائية .

في قصيدته الميمية تطالعنا أبيات يدل مضمونها على ان الشاعــر قد خبر الحياة و عرف أحوالها ، و وقف على دقائقها و أسرارهــا ، فوصفها بالتقلب ، و عدم الاستقرار . فهي إن أعطت ، أخذت ، لا يــدوم فيها عز لعزيز ، و العاقل من لا يكون عبدا لماله ، بل يجود به سخيــا راضيا ، مهلكا إياه ، ليغنم رضى الناس و حبهم ، و ليبعد نفسه عــن البخل ، ما استطاع إلى ذلكمن سبيل . فلن يرث الإنسان من وراء البخل سوى ذم الناس و كراهيتهم . و ليعلم الإنسان أن المال إن زاد يوما نقـص أياما ، فلن تدوم زيادته . و حمد الناس ، و ثناؤهم لا يكون إلا بثمــن يدفعه الإنسان عن رضى نفس ، و طيب خاطر .

و العاقل أيضا من تجنب الغضب و الثوران ، و آثر الحلم والهوادة و علم أن رزقه مقدر ، فمن كتب له رزق فسوف يأتيه ، و من حرم شيئـا فلن يناله ، و لو اتخذ لذلك كافة السبل ، و مختلف الحيل . و ليتفــاءل الإنسان بخير دائما ، ولا يجعل للتشاؤم طريقا إلى نفسه ، حتى لا يحطمها ، و يؤذيها ، فنهاية كل شيء محتومة، و كل شيء إلى فناء . يقول علقمــه في ذلــك[1] :

---

١ - ديوان علقمة - من ص ٦٤ الى ٦٧ .

بَلْ كلّ قومٍ و إنْ عزّوا و إنْ كثُروا ... عريفُهم بأثافي الشرّ مرجومُ [أ]

و الجودُ نافيةٌ للمالِ مُهلكةٌ ... و البُخل مُبقٍ لأهليهِ و مذمومُ [ب]

و المالُ صوفُ قرارٍ يلعبونَ بهِ ... على نِقادتِه وافٍ و مَجلومُ [ج]

و الحمدُ لا يُشترى إلّا لهُ ثمنٌ ... مما تضِنُّ بهِ النفوسُ معلومُ

و الجهلُ ذو عرضٍ لا يُستَرادُ لهُ ... و الحِلمُ آونةً فى الناسِ معدومُ [د]

و مُطعَمُ الغُنمِ يومَ الغُنمِ مُطعَمُهُ ... أنّى توجّهَ و المحرومُ محرومُ

ومَن تعرّضَ للغِربانِ يزجرُها ... على سلامتِه لا بُدَّ مشؤومُ

و كلُّ بيتٍ و إنْ طالتْ إقامتُهُ ... على دعائمِهِ لا بُدَّ مهدومُ

و هكذا يبدو علقمة من خلال الأبيات ، الرجل ، العاقل ، المتزن، الذى عاش حياة طويلة ، ممتده ، وأفاد من كل ما مرّ به ، و إن كانت هذه هى نظرته للحياة بعامة ، و للمال بخاصة ، فإننى أرى أنها نظرة بعد أن كبرت سنه ، و صار شيخا كبيرا . إذ أن له أبياتا أخرى فى الحكمه ينظر فيها إلى المال نظرة ربما تختلف عن نظرته تلك إلى حد ما .

و أغلب الظن أن هذه النظرة الأخيرة هى نظره علقمة للمال أيام كان شابا فتيا . يقول علقمة [1]:

أ - العريف : سيد القوم . و أثافى الشر : دواهيه .

ب - ادخل الشاعر الهاء فى نافية و مهلكة : للمبالغة .

ج - القرار : غنم صغار الأجساد و الآذان ، و احدتها قرارة . و كذلك النقد و احدتها : نقدة .. د- ذو عرض : أى يعرض لك قبل أن نطلبه و ترتادة .

١ - ديوان علقمة - ص ١٢١ ، ١٢٢ .

وَ يلمّ لذاتِ الشّباب معيشةً ... مَعَ الكثرِ يُعطاه الفتى المتلف النّدي (أ)

و قد يَعقِلُ القُلُّ الفتى دون همّهِ ... وَ قد كانَ لولا القلّ طلاعَ انجُدِ (ب)

فعلقمة هنا ينظر إلى المال على أنه إذا قل من يد الإنسان ، فإنه يقيده عن الوصول إلى غاياته و مآربه . و هذه نظره تبدو - بما لا يقبل مجالا للشك مختلفة كل الاختلاف مع نظرته الأولى للمال ، على أنه ضائع ، و لن يستمر . فخير للإنسان أن ينفقه في وجوه الخير و الجود و الكرم و السخاء ، فينال بذلك حمد الناس ، و ثناءهم .

و كما أوضحت من قبل أنه ربما اختلفت النظرتان هذا الاختلاف لاختلاف زمن كل منهما عن الأخرى . فنظرته الأولى للمال ، أغلب الظن أنها كانت أيام شيبه و شيخوخته . و نظرته الأخيرة يغلب الظن أنها كانت أيام شبابه حيث تضمنت أبياتها كلمة " الفتى " و ربما كان الشاعر يترجم عن حاله بهذه الأبيات فكأنها قراءة من الشاعر لما بداخله .

على أية حال ، فعلقمة حكيم ، مجرب ، خبير ، و نظرته التي حاولت استكشافها فيما مضى كانت نظره ، عامة ، فاحصة ، للحياة ككل لا يتجزأ.

فإذا ما نظر إلى جانب معين منها - كنظرته للنساء مثلا - أعطانا خبرته عنهن و معرفته بهن المعرفة التي لا تخطيء .

لننظر إليه مثلا بعد أن يئس من محبوبته " لَيْلَى " والتي تحدثت عنها من ذى قبل - أقول بعد أن يئس من محبوبته هذه - قطع حبل وصالها ، و ألقى لنا بحكمته البالغة ، و خبرته الطوية عن النساء بعامه.

أ - و يلم : دعاء في معنى التعجب ، و المتلف : المفرق ماله له.
و الندى : السخي ب - يعقل : من العقال أي يمنع .

يقول علقمة معطيا تجربته فى الحياة عن النساء[1] :

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي ... بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

يُرِدْنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ ... وَ شَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ

هكذا عرف علقمة " النساء ، و هكذا خبرهن ، لطول ما عاش فى هذه الحياة . فهن لا يردن الرجل إلا فتيا قويا ، ولا يحببنه إلا غنيا موسرا فإن تنكّر الدهر له فافتقر بعد غنًى ، كانت هذه هى مصيبته معهن . كذلك إذا ولّى شبابه ، و أيام فتوته و بدأ الشيب يدب إلى رأسه ، أخذن فى الابتعاد عنه و هجره ، فلم يعد لهن من ورائه طائل ، ينتظرنه ، و يمنّين أنفسهن به .

و ما أقسى تلك النظرة من "علقمة " إلى النساء . و لكنه هكذا رآهن ، و لن يتغير رأيه فيهن ، و ربما وافقه كثيرون من الشعراء فى مذهبه هذا ، و فى نظرته تلك إلى النساء .

هذه هى حكمة " علقمة " ، آثرت أن اختتم بها هذا الفصل الذى اشتمل على موضوعات الشعر عنه . و تمثلت هذه الموضوعات ، فى الوصف ، و الفخر ، و الغزل ، و المديح ، و الحكمة .

و نأى علقمة عن الهجاء - كما أوضحت - و هذا مما يسمو به كرجل عاش محافظا على كرامته و مكانته .

الفصل الرابـــــع

شعر علقمة " دراسة فنيـــــــــة "

تناولت فى الفصل الثالث من هذا البحث شعر " علقمة بن عبدة " من الناحية الموضوعية وأوضحت الأغراض التى جال فيها الشاعر ، وقد ظهر لى من البحث الموضوعى لشعر علقمة أن الوصف كان له النصيب الأكبر من شعر الشاعر ، فقد نظم علقمة فيه كثيرا ، وتناول فى وصفه موضوعات شتى كالناقة ، والفرس ، والظعن ، والمرأة ، والطريق ، والصحراء وميادين القتال وأدواته ، كالسيف ، مثلا ثم وصف إلى جانب ذلك كله مجالس الخمر ، ولقد تناولت وصفه لكل هذه المحسوسات بالتفصيل .

ونظم علقمة أيضا إلى جانب وصفه المتعدد ـ نظم ـ فى الفخر فافتخر بنفسه شجاعا مقداما ، وكريمًا جوادا لا يبخل بما يملك على فقراء أهله ، وذويه ، والمحتاجين من ضعفاء قومه .

ثم كان للغزل نصيب كبير فى شعر الشاعر لكنه كان الغزل العفيف الذى يدل على عفة قائله وطهارته ، وأوضحت اختلاف علقمة فى الغزل مع شاعرين عاصراه بل كانا سابقين عليه فى نظم الشعر وهما " عبيد بن الأبرص " و " امرؤ القيس بن حُجر " .

كذلك نظم علقمة فى المديح ، لكنه لم يكن المديح من أجل السؤال أو من أجل أى عرض من أعراض الدنيا ، فما كان علقمة فقيرا ولا كان

مغمورا حتى يسعى إلى ذلك النوع من المديح ، ولكنه مدح لأن ظروفا ومواقف قاسية فرضت عليه ذلك ، إذ وقع أخوه " شأس " فى أسر " الحارث بن أبى شمر الغسانى " ومعه جماعة من بنى تميم " قبيلة علقمة " فاضطر علقمة إلى أن يذهب إلى الحارث شفيعا فى هؤلاء الأسرى واضطر إلى مدحه ليفك أسر من أسر .

وأخيرا كان للحكمة نصيبها أيضا فى شعر علقمة ذلك الشاعر الذى عمر طويلا وأكسبته الأيام من تجاربها ما كفل له أن يكون حكيما فى زمنه ، يلقى بحكمته لكل من أراد أن يرى الحياة بعين حاذقة أريبة .

ولقد اتضح لى من خلال دراستى لشعر علقمة أنه لم ينظم فى الهجاء ولقد كان ذلك دليلا عندى على كمال شخصيته ، ورفعة منزلته ، وعلو شأنه .

كل هذه الأغراض تناولتها بالدراسة والتحليل كما أوضحت من الناحية الموضوعية .

ولسوف أتناول إن شاء الله ـ فى هذا الفصل شعر علقمة من الناحية الفنية ، تحدثت عن ألفاظ الشاعر وتراكيبه ، وعن معانيه وأفكاره وعن صورة البيانية وألوان البديع عنده ، ثم عن موسيقاه وأوزان شعره .

أولا : الألفـــاظ والأساليـــب :

علقمة شاعر جاهلي ، بل من أوائل شعراء الجاهلية عاش في زمن تفصلنا عنه سنوات عديدة فاقت الألف وخمسمائة عام ، ولذا تجابهنا في الشعر الجاهلي بعامة وفي شعر المتقدمين ـ أمثال علقمة ـ بخاصة ـ تجابهنا ـ صعوبة ألفاظ ذلك الشعر واختفاء معانيه خلف هذه الألفاظ الصعبة الغريبة ، وكأن بيننا وبينها حاجزا جعل هذا الشعر متهدلا على من يقرأه للمرة الأولى ، فيحتاج قارئه إلى معاجم لغوية توضح له ما استغلق عليه فهمه ، فتتهده المعاجم اضطرابا وحيرة ، لكثرة اختلافها مع بعضها ، وربما هذا هو نفسه ما حدا بواحد كالدكتور / طه حسين أن يقول عن هذا الشعر وعن قارئه : " ألفاظ ضخمة تنبو عنها أذنه ، وتستغلق معانيها عليه فإذا حاول فهمها لجأ إلى الشروح والمعاجم ، فإذا هذه الشروح والمعاجم مضطربة شديدة الاختلاط ، كثيرة الاستطراد ، وإذا فهمها ليس أدنى إليه وأيسر عليه من فهم النص الشعري الذي يلتمس تأويله ، وتفسيره " (1)

وإن كان هذا هو رأي الدكتور/ طه حسين في ألفاظ وتراكيب الشعر الجاهلي فإنني أرى من الأجدر في هذا المقام أن أورد رأيا آخر لباحث قديم هو الدكتور/ شوقي ضيف يقول فيه وهو بصدد حديثه

(1) حديث الأربعاء : لطه حسين ، دار المعارف بمصر الطبعة ١١ ج١ ص١١ .

عن ألفاظ الشعر الجاهلي ، وخصائصها يقول د . شوقي ضيف : " من أهم ما يلاحظ على الشعر الجاهلي أنه كامل الصياغة فالتراكيب تامة ولها دائما رصيد من المدلولات تعبر عنه ، وهي في الأكثر مدلولات حسية والعبارة تستوفي أداء مدلولها ، فلا قصور ، ولا عجز ، وهذا الجانب في الشعر الجاهلي يصور رقيا لغويا ، وهو رقي لم يحدث عفوا ، فقد سبقته تجارب طويلة في غضون العصور الماضية قبل هذا العصر ، ومازالت هذه التجارب تنمو وتتكامل حتى أخذت الصياغة الشعرية عندهم هذه الصورة الجاهلية التامة فالألفاظ توضع في أماكنها ، والعبارات تؤدي معانيها دون اضطراب " .(١)

والباحث لا يرى كبير اختلاف بين الأستاذين الجليلين في نظرتهما لألفاظ الشعر الجاهلي فالدكتور/ طه حسين يراها صعبة والدكتور/ شوقي ضيف يراها بسيطة سهلة ، وليس هذا تناقضا بينهما فهي صعبة مستغلقة قبل الرجوع إلى المعاجم ، فإذا ما رجع المرء إلى معجم لغوي مستعينا به على ما استغلق عليه من معان ، بدت هذه الألفاظ سهلة يسيرة ، فيها بساطة الشاعر الجاهلي وعدم تكلفه .

هذه اللغة البسيطة السهلة التي استخدمها كل شعراء الجاهلية كانت تنتمي إلى لهجة واحدة أطلق عليها د . شوقي ضيف " لهجة أدبية فصحى " .(٢)

---

(١) تاريخ الأدب العربي ـ في العصر الجاهلي ـ د . شوقي ضيف ص ٢٢٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣١ .

يقول د . شوقي ضيف متحدثا عن لغة الجاهليين : كان الشعراء على اختلاف قبائلهم ، وتباعدها ، وتقاربها ، ينظمون فيها شعرهم فالشاعر حين ينظم شعره ، يرتفع عن لهجة قبيلته المحلية إلى هذه اللهجة الأدبية العامة ومن ثم اختفت جملة الخصائص التي تميزت بها كل قبيلة في لهجتها ، فلم تتضح في شعر شعرائها إلا قليلا جدا " .(١)

ثم يورد د . شوقي ضيف آراء المستشرقين حول أصل هذه اللهجة الموحدة و واختلافهم الشديد فيما بينهم ومنهم نولدكه، وجهيدي ولهم رأي واحد . ثم جاء فيشر برأي مغاير ، وكذلك كان لنالينو رأي آخر ولها رتسان " وفولرز " رأي جديد ، ولبروكلمان " رأيه في أصل هذه اللهجة يختلف عنهم و" لبلاشير " رأي يهتدي به على ضوء رأي " نالينو " .(٢)

ثم يقول د . شوقي ضيف مؤكدا أن هذه اللهجة إنما هي لهجة قريش التي نزل بها القرآن الكريم على " محمد " صلوات الله وسلامه عليه : " وواضح أن كل هذه الآراء تعتمد على الفرض والحدس ، وقد أراد بها أصحابها أن يناقضوا أشد المناقضة ما استقر في نفوس أسلافنا من أن هذه اللهجة الفصحى إنما هي لهجة قريش التي نزل بها الذكر الحكيم " .(٣)

وحول سبب سيادة لهجة مكة للهجات الأخرى يحدثنا د . شوقي ضيف قائلا : ومعنى ذلك أن هناك أسبابا دينية ، واقتصادية ، أعدت لهجة مكة لتسود اللهجات القبلية في الجاهلية " (٤)

---

(١) العصر الجاهلي د . شوقي ضيف ص ١٣١ .
(٢) المرجع السابق ص ١٣١ـ١٣٢ (٣) المرجع السابق ص ١٣٢ .
(٤) المرجع السابق ص ١٣٢ .

وقد وافق الدكتور/ شوقي ضيف في هذا الرأي باحثون آخرون أمثال الأستاذ الدكتور/ سيد حنفي والدكتور/ سعد إسماعيل شلبي [1] .

وإذا أردنا الوقوف على لغة علقمة الشعرية واستخدامه للفظة ، وما توحي به هذه اللفظة من حالة نفسية ، أدركنا قيمة من قيم الجمال تمتع بها الشاعر في أسلوبه ، وتراكيبه .

فها هو ذا علقمة في قصيدته البائية التي مدح بها الحارث بن أبي شمر الغساني ليطلق له سراح أخيه ، وبني قومه نراه قد بدأ قصيدته بالغزل ، لائما نفسه على تتبعها لهوى قلبه ، ذلك القلب الذي ذهب بصاحبه كل مذهب في حبه لهذه المرأة التي لم تصدقه الوعد ، يقول علقمة : [2]

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسَانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

تُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلْيُهَا ... وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وخُطُوبُ

إن المتأمل للفظة " طحا " التي استهل بها الشاعر قصيدته ، ليدرك مدى لوم الشاعر لنفسه التي تركت العنان لقلب جامح لم يجد من يقيده بأغلال المنطق والعقل ، أيحدث هذا من رجل انصرم طور شبابه وآذن مشيبه بالحلول ، وجهل قول " علقمة " بعيد الشباب " ثم إتباع

(١) الشعر الجاهلي ـ مراحله واتجاهاته الفنية د . سيد حنفي حسنين ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٧١ ص ٢٣ ، وكذلك : الأصول الفنية للشعر الجاهلي د . سعد اسماعيل شلبي ، مكتبة غريب بالفجالة ١٩٧٧ ص ٢٤٩

(٢) ديوان علقمة ص ٣٣ .

ذلك بقوله: عصر حان مشيب" كل هذا بعد دهشة عبر عنها بكلمة " طحا " ثم دهشة أعظم عبر عنها بتساؤل حائر ألقى به الشاعر إلى ذلك القلب الطائش الهائم على وجهه فى بحار الخيالات والأوهام هذا الاستفهام من الشاعر يكمن فى قوله مخاطبا ذلك القلب: " تُكَلِّفنى ليلى " ثم يؤكد تعجبه من قلبه بقوله: " وقد شَطَّ وَلْيُهَا " ثم يزداد تعجبا وتأكيدا لهذا التعجب بقوله: " وعادت عواد بيننا وخطوب" .

فالمتأمل الكلمات بعينها وردت فى هذين البيتين مثل " طَحَا " تُكَلِّفنى شَطَّ ، عَادَت ، ثم ذكر الشاعر للقلب على سبيل التنكير ، كل ذلك يوحى بأننا أمام رجل متزن عاقل ، يرى فى الجرى وراء النساء عيبا ، ومنقصة وخاصة لمن كان فى مثل سنه .

ثم يتبع علقمة هذين البيتين بأبيات يصف فيها هذه المحبوبة مستخدما من الألفاظ والتراكيب ما يلائم وصف امرأة أحبها قلبه ، وتعلق بها وجدانه يقول " علقمة " فى وصفه لهذه المحبوبة :(1)

مُنَعَّمَةٌ لا يُسْتَطاعُ كَلامُها .. عَلَى بابِها مِنْ أَنْ تُزارَ رَقِيبُ
إِذا غابَ عَنْها البَعْلُ لَمْ تُفْشِ سِرَّهُ
وَتُرْضِي إِيابَ البَعْلِ حِينَ يَؤُوبُ
فَلا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرٍ .. سَقَتْكِ رَوايا المُزْنِ حِينَ تَصُوبُ
سَقاكِ يَمانٍ ذُو حَبِيٍّ وَعارِضٌ .. تَرُوحُ بِهِ جُنْحَ العَشِيِّ جَنُوبُ

---

(1) ديوان علقمة ص ١٣٢ الى ٣٥

وما أنت أم ما ذكرها ربعية ∴ يخط لها من ثرصداء قليب

فالشاعر فى هذه الأبيات يصف محبوبته بالتنعم ، وبالأمانه والعفة إذ أنها " لايستطاع كلامها " ولفظه " لايستطاع " هنا أفادت تمام عجز الإنسان عن الوصول إلى ما يريد من هذه المحبوبة ، ولم يقل " علقمة لايستطاع وصالها " بل قال "لايستطاع كلامها " والتحدث إلى المحبوبة أمر سهل يسير ، لايشكل عقبة ، فى طريق المحبوبه ، أما محبوبة علقمة فحتى الكلام معها من الصعوبة بمكان ، ولا سبيل إلى ذلك مطلقا فالرقباء المانعون لحوزتها منتبهون لا تغمض لهم عين ولا يرقأ لهم جفن ، كذلك وصف " علقمة " محبوبته بالعفة والأمانة فهى حافظة لغيبة الزوج حتى يرجع ، فيسره منها ذلك الخلق ، وتلك الأمانة .

وإن ألفاظ علقمة فى هذه الابيات ممثلة فى كلمات مثل : " منعمة ، لايستطاع كلامها ، على بابها رقيب ، لم تفش سره ، ترضى إياب البعل " كل هذه الصياغات التى استخدمها علقمة ، والتى تظهر فيها الكلمات حاملة فى واقعية بعيدة عن التكلف ، ما يعتمل فى وجدان هذا الشاعر وما يحتبس فى صدره من حب لهذه المحبوبة ، ومن تهكم وسخرية من قلبه الذى يصر على استمراره فى حبه لها ، وتعلقه بها رغم ما بينه وبينها من موانع شتى وعوائق جمة كثيرة .

يقول د . فتحى أحمد عامر عن رؤيته لهذه الأبيات : " ولا يخفى أن هذه المحبوبة المنعمة التى لايستطاع القرب منها فيها شىء من الرمز إلى منزلة الممدوح ، وهو ملك مهيب " . (1)

---

(1) فى مرآة الشعر الجاهلى د . فتحى أحمد عامر دار الشروق القاهرة .

وكأن غزل الشاعر هنا ووصفة لحيرته ، وما بثنا به من هواجس ، وآلام ، إنما هو مدخل يدخل منه الشاعر إلى المدح ، الذى هو غرضه الأساسى فى هذه القصيدة .

يقول د . فتحى أحمد عامر ، نقلا عن د . عبدالله الطيب : " وكان شعراء الجاهلية ، يبدءون مديحهم بالنسيب ، غرضهم بذلك أن يرفعوا حجاب الكلفة بين الشاعر والممدوح ، ليطرب ويستمع إليه ثم يذكر الشاعر رحلته إلى الممدوح ، وما لقى فيها من مشقة ، فإذا فعل ذلك أوجب عليه حق الإكرام من أجل أنه قصده ، ولقى فى ذلك تعبا ، ثم بعد ذلك يأخذ الشاعر فى المدح ويذكر حجته ، وعلى الممدوح أن يستجيب إليه ولا يرده خائبا " (١)

إلا ان الدكتور فتحى عامر يرجح كما يقول " أن تكون هذه المحبوبة زوجته فعلا . وقد هجرته لبعض الدواعى التى تقتضى الزوجه أن تهجر زوجها وكانت عزيزة عليه ، أثيره عنده ، فأراد أن يستدر بذلك عطف الحارث فى أن يفرج عن أخيه فيتحقق وقع الهجر عن كسير قلبه ، وهجر الزوجة الوفية المخلصة التى تعرف واجب الزوج فى حله وترحاله ، فى شديدة توشك أن تصيب مقتل الرجل . (٢)

ونحن لا ندرى ما الذى أوحى للباحث بهذا الرأى وبهذا الاستنتاج بأنها زوجته ألم يقل " على بابها من أن تزار رقيب " وألم يقل مخاطبا نفسه " وما انت أم ما ذكرها ربعية .... " كل هذا يدل على أنها محبوبة

---

(١) فى مرآة الشعر الجاهلى د . فتحى عامر ص ٢٧٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٧٥ .

فحسب . ثم ماهذا الذى يذكره الباحث من أن الشاعر إنما اراد أن يظهر هجر زوجته له ليرق له قلب الممدوح .

وإن كان كذلك فإننى أرى أنه إن فعل ذلك مظهرا ضعفه أمام زوجة تعامله هكذا فلن يرق له قلب الممدوح بل سيسخر منه ويطرده من بلاطه فلن يشرفه مدح رجل هذه هى حاله .

" وعلقمة يقيس ألفاظه بمقياس حساس ، فلا يستخدم منها إلا ما كان دالاً على حالة نفسية يعيشها ويمرّ بها فبعد هذا الموقف من المحبوبة يلقى إلينا الشاعر بأبيات حكمته التى تعلمها من الحياة ، التى عرف فيها كل شئ عن النساء " فإن تسألونى بالنساء ..... " ثم يصل إلى التخلص الجميل من هذا النسيب إلى وصف الناقة التى ستوصله للممدوح إذ يقول : (١)

فَدَعْهَا وسلِّ الهمَّ عنك بجَسْرَةٍ ∴ كَهَمِّك فيها بالرِّدافِ خَبِيبُ

وَناجيةٍ أفنَى ركيبَ ضُلُوعِهَا ∴ وحَارِكَها تَهَجُّرٌ فَدُؤُوبُ

وتُصبِحُ عَنْ غِبِّ السُّرَى وكأنَّهَا ∴ مُوَلَّعَةٌ تخشَى القَنِيصَ شَبُوبُ

تَعَفَّقَ بالأرْطَى لَهَا وَأرادَهَا ∴ رِجَالٌ فَبَذَّتْ نَبْلَهُمْ وكَلِيبُ

ففى هذا المقطع الذى يصوِّر فيه الشاعر ناقته ، نراه قد استخدم من الألفاظ ما يوحى بقوة هذه الناقة وصلابتها تلك الناقة التى سوف تنسيه هذه المحبوبة المماطلة والتى سوف تصله بممدوحه وتقربه من دياره التى كانت نائية عنه . والمتأمل فى لفظتى " فدعها " و " وسلّ الهم " يجد

(١) الديوان ص ٣٧ ، ٣٨

أنهما توحيان بما بالشاعر من هموم تتكاثر عليه ويريد التخلص منهـــا ٠ كذلك فإن المتأمل فى الصفات التى أضفاها علقمة على هذه الناقة مثل : جسرة ، خبيب ، ناجية ، أفنى ركيب ضلوعها وحاركها ، مولعـــة فهذّت نبلهم ، يجد أن كل هذه الألفاظ توحى لنا بالجو النفسى الرهيب الذى كان الشاعر يعيشه ، ويستعين على أهواله بمثل هذه الناقة ، تلك الأهوال التى قابلت الناقة ، التى يمتطيها علقمة فى أسفاره ممثله فى ألفاظ مثل " تخشى القنيص ، تحقّق بالأرطَى ، وأرادها ، رجال وكليـــب " لم يذكر علقمة أن رجل قد اختبأ لناقته ، بل اختبا لها رجال ، ومعهم كلابهم الضارية ٠

بهذا الوصف للمخاطر والأهوال التى أراد علقمة أن يبرزها للمـــدوح ليدرك هذا الممدوح كم من العناء تجشم هذا الشاعر حتى وصل إليـــه فيرق له ويلين قلبه ويلبى رغباته التى من أجلها مرّ بكل هذه الأهـــوال وفجعته كل تلك المخاطر ، ولذا نرى علقمة بعد هذا الوصف مباشـــرة يدخل إلى مديح الحارث مستخدما من الألفاظ والتراكيب ما يرضى مـــثل هذا الممدوح : (١)

إِلَى الحَارِثِ الوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقَـــتِى
لِكَلْكَلِهَا وَالقُصْرَيَيْنِ وَجِيـــبُ

لِتُبْلِغَنِى دَارَ امْرِئٍ كَانَ نَائِيًا ∴ فَقَدْ قَرَّبَتْنِى مِنْ نَدَاكَ قَرُوبُ

إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كَانَ وَجِيفُهَا ∴ بِمُشْتَبِهَاتٍ هَوْلُهُنَّ مَهِيـــبُ

تَتَبَّعُ أَفْيَاءَ الظِّلَالِ عَشِيَّـــةً ∴ عَلَى طُرُقٍ كَأَنَّهُنَّ سُبُـــوبُ

---

(١) ديوان علقمة ص ٣٩ إلى ص ٤٢ ٠

هداني إليك الفرقدان ولاحبٌ ∴ له فوق أصواء المتان علوبُ

بها جيف الحسرى فأما عظامها

فبيض وأما جلدها فصليبُ

فأوردتها ماء كأن جمامه ∴ من الأجن حناء معا وصبيبُ

تراد على دمن الحياض فإن تعف

فإن المندى رحلة فركوبُ

لقد نجح علقمة فى استخدام ألفاظ مثل : الوهاب ، أعلت ناقتى إليك كان وجيفها (بما فى هذا الأسلوب من قصر ، وتخصيص ، بتقديم الجار والمجرور) هولهن عجيب ، هدانى ، دلالة على أنه ضل كثيرا حتى اهتدى " بها جيف الحسرى ، ماء كأن جمامه ، فإن تعف " كل هذه الألفاظ جسدت ما يعيشه الشاعر وناقته من أهوال ، حتى إذا ما أحس الشاعر أنه قد مهد الطريق إلى قلب ذلك الممدوح بدأ فى مدحه قائلا (1) :

وأنت امرؤ أفضت إليك أمانتي ∴ وقبلك ربتني فضعت ربوبُ

فأدت بنو عوف بن كعب ربيبها ∴ وغودر فى بعض الجنود ربيبُ

فوالله لولا فارس الجون منهم ∴ لآبوا خزايا والإياب حبيبُ

تقدمه حتى تغيب حجوله ∴ وأنت لبيض الدارعين ضروبُ

مظاهر سربالى حديد عليهما ∴ عقيلا سيوف مخذم ورسوبُ

فجالدتهم حتى اتقوك بكبشهم ∴ وقد حان من شمس النهار غروبُ

---

(1) ديوان علقمة من ص ٤٣ الى ص ٤٨ .

وقاتل من غسان أهل حفاظها ∴ وهنب وقاس جالدت وشبيب

تخشخش أبدان الحديد عليهم

كما خشخشت يبس الحصاد جنوب

تجود بنفس لا يجاد بمثلها ∴ وأنت بها يوم اللقاء تطيب

كأن رجال الأوس تحت لبانه ∴ وما جمعت جل معا وعتيب

رغا فوقهم سقب السماء فداحض ∴ بشكته لم يستلب وسليب

كأنهم صابت عليهم سحابة ∴ صواعقها لطيرهن دبيب

فلم تنج إلا شطبة بلجامها ∴ وإلا طمر كالقناة نجيب

وإلا كمي ذو حفاظ كأنه ∴ بما ابتل من حد الظباة خضيب

لقد رسم علقمة صورة للممدوح ، وهو يقاتل مع قومه بشجاعة وقوة ، ولقد استمدت هذه الصورة ملامحها من الألفاظ التى أتى بها الشاعر ليكمل خطوط هذه الصورة مثل " امرؤ ، غودر ربيب ، القسم والتوكيد فى قوله (فوالله لولا ... لآبوا) فارس الجون تقدمه ، ضروب ، سربالى حديد ، فجالدتهم ، اتقوك ، تخشخش ، أبدان الحديد ، تجود بنفس صواعقها ، فلم تنج إلا شطبة ، طمر ، كمي " كل هذه الألفاظ والتراكيب مجتمعة ، استطاعت أن تبرز صورة الممدوح يوم القتال واستطاعت أن تعيد إلى ذهن هذا الممدوح صورة ذلك اليوم الذى حقق فيه على أعدائه من الانتصارات ما أثلج صدره ، وأراح قلبه ، وملأ نفسه سرورا وبهجة ، ولقد استطاع الشاعر أن يكثر من تكرار ضمير المخاطب (أنت

وكاف الخطاب ، وتاء المخاطب) فى مثل قوله : " وأنت امرؤ ءإليك وقبلك ، تقدّمه ، وأنت لِبَعْضٍ . . . ، فجالدتهم ، أتَّقوك ، تجود بنفس وأنت بها " فالشاعر يجسم دور هذا الممدوح فى المعركة ، وكأنه لم ير سواه فى هذه المعركة ، كذلك استطاع الشاعر أن يشد انتباه هذا الممدوح باستخدامه للالتفات فى مثل قوله : " فوالله لولا فارس " ثم قوله "تقدمه حتى تغيب حجوله " وكذلك استطاع علقمة أن يستخدم ضمير المتكلم موحيا بذلك الاستخدام إلى ضعفه وقلة حيلته وذلك من مثل قوله " أمانتى ، ربَّتْنِى ، ضِعتُ " .

وهكذا استطاع الشاعر أن يمهد بهذه الألفاظ الطريق لنفسه لكى يستطيع الكشف عما جاء من أجله ، وكله ثقة واطمئنان إلى أن الممدوح لن يرده خائبا أبدا ولذا نراه بعد ذلك مباشرة يفصح عن بغيته بقوله : (١)

وَفِى كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ ∴ فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ
وَمَا مِثْلُهُ فِى النَّاسِ إِلَّا قَبِيلُهُ ∴ مُسَاوٍ وَلَا دَانٍ لِذَاكَ قَرِيبُ
فَلَا تَحْرِمَنِّى نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ ∴ فَإِنِّى امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيبُ

وهنا يعمد علقمة إلى تكرار ضمير المخاطب فى قوله : " خبطت ، نداك فلا تحرمنى " ثم استخدم الالتفات ثانية فى قوله " قد خبطت ، ثم قوله وما مثله فى الناس " واستخدم كذلك ضمير المتكلم لينبِّه إلى نفسه بقوله " فلا تحرمنى ، إنى امْرُؤٌ " كذلك استخدامه للفظة : " وفى كل حَيٍّ " ثم " فحق لِشأسٍ من نداك " ثم استخدامه لِلَفظتىّ " مساوٍ ، دَانٍ " ثم محاولته جذب انتباه ممدوحه بألفاظ تؤثر فى النفس مثل " فلا تحرمنى

(١) ديوان علقمة ص ٤٨ .

عن جنابة ، إنّى غريب " .

فما كان من الممدوح بعد أن سيطر الشاعر على عاطفته هذه السيطرة إلّا أنْ استجاب له مُطلِقاً سراح أخيه وبنى قومه .

وهكذا نرى الشاعر قد استطاع من خلال ألفاظه وتراكيبه ان يجسد حالته النفسية بادئاً بهذا الهجر الذى خلف وراءه حسرات القلوب ، ثم أتبع ذلك برحلة شاقة مضنية ، حشد لها من الألفاظ ما يبرزها جلية واضحة ، بعنائها ، وخطوبها ، واستطاع أن يستميل بذلك كله قلوب سامعيه ، ثم شرع فى مدح الحارث مضفيا عليه صفات يتمنى كل إنسان أن يوصف بها ، وبعد هذا كله صرح الشاعر بما جاء من أجله فى لفظ صريح دون تعمية ، أو مجازية ، مستخدما فى ذلك ألفاظ الرجاء والتشفع كذكره لنفسه على أنه غريب احتواه ملك الحارث ، وما مثل الحارث أحد فى جوده وكرمه وعدله لا يضيع حق الغرباء .

وهكذا ارتبطت أجزاء القصيدة كلها ، إذا أنها تعبّر عن حالة نفسية قاسية يعيشها الشاعر بكل ما فيها من آلام ، وأشجان ، وكل ما يتمناه أن يعود وقد تحققت أمانيه وآماله ، فتزول عنه تلك الحالة النفسية بل تلك الغاشية التى تؤلمه وتقض مضجعه .

وإذا ما انتقلنا إلى قصيدة علقمة الميمية ، وجدنا موقفا نفسيا يختلف تمام الاختلاف عن الموقف النفسى فى تلك القصيدة التى سقنا أبياتا منها سالفا .

فالشاعر فى ميميته لا يمدح أحدا ، إذ ليس هناك ما ينغص على الشاعر حياته كذلك الموقف الذى مرّ به وأخوه فى أسر الحارث ، فالشاعر فى هذه القصيدة يتحدث عن نأى محبوبة أيضا ، وأقول " نأى " ولا أقول " هجر " ففرق كبير بين دلالة كل من اللفظتين ، فليلى فى القصيدة السابقة هى التى هجرته ، أما " سَلْمَى " فى هذه القصيدة قد نأت عنه عندما أراد قومها الارتحال . ولقد أخذت الشاعر المفاجأة ، فلم يكن يدرى عن رحيل محبوبته وأهلها شيئا ، فلقد فوجئ بجمال القوم وقد ردّها الإماء من المرعى استعدادا للرحيل ، وأخذوا يجللونها بالهوادج التى ستُحْمَلُ فيها نساء القوم وبينهن محبوبة علقمة .

وتتعاون ألفاظ هذا المقطع لتوحى بالألم النفسى الذى سيطر على الشاعر لحظة فراق محبوبته له ، فالشاعر يجرى على ما جرى عليه من ذى قبل ، فيجرد من نفسه إنسانا يخاطبه ، ويحاوره ، بما كان من شأنه مع هذه المحبوبة النائية . يقول علقمة : (١)

هَلْ ما عَلِمْتَ وما اسْتُودِعْتَ مكتُومُ
أمْ حبلُها إذْ نَأتكَ اليومَ مصرومُ

أمْ هلْ كبيرٌ بكى لمْ يقضِ عبرتَهُ
إثرَ الأحِبَّةِ يومَ البينِ مشكومُ

لمْ أدرِ بالبينِ حتّى أزمعُوا ظَعَنًا ... كُلُّ الجِمالِ قُبيلَ الصُّبحِ مَزمومُ

رَدَّ الإماءُ جِمالَ الحَيِّ فاحتملوا ... فكُلُّها بالتَّزيدِيَّاتِ مَعكُومُ

عَقلًا ورَقمًا تَظَلُّ الطَّيرُ تتبعُهُ ... كأنّهُ مِنْ دَمِ الأجوافِ مدمُومُ

(١) ديوان علقمة ص ٥٠ ، ٥١

فالشاعر يستهل أبياته باستفهامات حائرة تحمل هذه الاستفهامات فى ثناياها قلق الشاعر وحيرته التى يعيش فيها — وتسيطر عليه . ثم يستخدم الشاعر ألفاظا تجسد هذا القلق وتلك الحيرة والضياع مثل قوله : " نأتك مصروم ، بكى ، إثر الأحبة ، لم أدر ، البين ، كل الجمال ، فكلها تظل الطير ، من دم الأجواف ، مدموم " كل هذه الألفاظ يشع منها ألم وحزن دفينان ، يعتصران قلب الشاعر لفراق محبوبته ، تلك التى تحملها الهوادج التى نصبت فوق هذه الجمال : (١)

يَحْمِلْنَ أُتْرُجَّةً نَضْخُ العَبِيرِ بِها ∴ كَأَنَّ تَطْيابَها فِى الأَنْفِ مَشْمُومُ
كَأَنَّ فَارَةَ مِسْكٍ فِى مَفارِقِها ∴ لِلْباسِطِ المُتَعاطِى وَهْوَ مَزْكُومُ

فعندما أراد أن يصف هذه المحبوبة استخدم من الألفاظ ما يدل على تنعمها وسعادة عيشها : " أترجه ، نضخ العبير بها ، تطيابها ، كأن فارة مسك فى مفارقها " كل هذه الألفاظ تعاونت فى رسم صورة محبوبة منعمة سعيدة ، هانئة ، تلك المحبوبة التى ما إن نأت عن الشاعر حتى هطلت عيناه بالدمع الغزير الذى يشبهه فى غزارته ماء متدفقا من دلو عظيم تجذبه ناقة قوية ضخمة . يقول " علقمة " واصفا حالته تلك بعد فراق محبوبته : (٢)

فَالعَيْنُ مِنِّى كَأَنْ غَرْبٌ تَحُطُّ بِهِ ∴ دَهْماءُ حارِكُها بِالقَتْبِ مَحْزُومُ
قَدْ عُرِّيَتْ حِقْبَةً حَتَّى اسْتَطَفَّ لَها ∴ كِتْرٌ كَحافَةِ كِيرِ القَيْنِ مَلْمُومُ
كَأَنَّ غِسْلَةَ خَطْمِىٍّ بِمِشْفَرِها ∴ فِى الخَدِّ مِنْها وَفِى اللَّحْيَيْنِ تَلْغِيمُ
قَدْ أَدْبَرَ العُرُّ عَنْها وَهْىَ شامِلُها ∴ مِنْ ناصِعِ القَطِرانِ الصِّرْفِ
تَسْقِى مَذانِبَ قَدْ زالَتْ عَصِيفَتُها ∴ حَدُورُها مِنْ أَتِىِّ الماءِ مَطْمُومُ
مِنْ ذِكْرِ سَلْمَى وَما ذِكْرِى الأَوانَ لَها ∴ إِلَّا السَّفاهُ وَظَنُّ الغَيْبِ تَرْجِيمُ

---

(١) ديوان علقمة ص ٥١ ، ٥٢ (٢) المرجع السابق ص ٥٣ الى ٥٦

صُفْرُ الْوِشَاحَيْنِ مِلْءُ الدِّرْعِ خَرْعَبَةٌ
كَأَنَّهَا رَشَأٌ فِى الْبَيْتِ مَلْزُومُ

فألفاظ علقمة فى هذه الأبيات توحى بما يعيشه الشاعر من حالة نفسية تبدو جلية من بكائه الغزير بعد فراق محبوبته فعيناه تهطلان بدمع غزير يشبه ماء الدلو الكبير الذى تشده ناقة قوية شديدة فألفاظه التى استخدمها تدل دلالة قوية على قوة هذه الناقة من مثل : " دهماء و استعف لها كِتْرٌ قد أدبر العَرُّ عنها ، تسقى مذانب ماء الماء ، مطموم " فهذه ألفاظ صلبة قوية متينة ، تبرز لنا تمنيا يراود علقمة داخل نفسه لو أصبح قوية متينة ، تبرز لنا تمنيا يراود علقمة داخل نفسه لو أصبح قويا كقوة هذه الناقة فيتحمل ما يجابهه من صعاب ونكبات .

ثم يعود الشاعر لذكر محبوبته مرة أخرى ، معترفا أنَّ تذكره لها سفه ورجم بالغيب . لكن لماذا ؟ الأنها لا تستحق كل هذا الحب منه؟ كلا فهى ليست محبوبته السابقة " ليلى " إذ أن ليلى هى التى آذنته بالهجر والقطيعة ، أما " سلمى " فلا حيلة لها وما كانت تود ذلك ، لكنها إذعانًا لأمر قومها ، اضطرت إلى الفراق اضطرارا ، وما كانت تريده ، ولا تبغيه يذكر الشاعر هذه المحبوبة وهو بصدد وصفه لها ويستخدم فى هذا الوصف ألفاظا تنم عن نعيمها المطلق ، من مثل قوله : " صفر الوشاحين خرعبة ، كأنها رشأ فى البيت ملزوم " فذكره للوشاحين دليل على تنعمها وسوارها . ثم يؤكد الشاعر هذا التنعيم والليونة بقوله : " خرعبة " ثم تشبيهه لها بغزال تربيه الجوارى فى البيت ، وهذا مما يدل على أن لها من الخدم والجوارى ما يدل على غناها ، ونعيمها ، ووصف علقمة لمحبوبته " بصفر الوشاحين " دليل على ضمر بطنها ، وهذا مما يستحب فى

النساء ، وهذه الصورة يعجب بها أستاذنا الدكتور / النويهي إذ يقول : "قيل لبعض العرب : صف لنا النساء ، فقال : خذودها بيضاء ، جعدة لا يصيب قميصها منها إذا قامت إلا مشاشة منكبيها ، وحلمتي ثدييها ورانفتيْ إليتيها " . وهي نفس الصورة التي نظمها عمر بن أبي ربيعة في بيته :

أَبَتِ الرَّوَادِفُ والثُّدِىُّ لِقُمْصِهَا
مَسَّ البُطُونِ وأَنْ تَمَسَّ ظُهُورَا

لكن أَيْنَ هذا النظم البارد ، الركيك من التعبير الدقيق الذكي الموجز الذي يستحث الخيال " صفر الوشاحين ، ملء الدرع " (١)

والشاعر بعد ما ذكر مفاجأته برحيل المحبوبة ، وأبان لنا عما يحتمل في نفسه ويجيش في صدره من أحزان لفراقها ، بل أبان عن صدق هذا الحزن بما رفت عيناه من دمع غزير في إثرها ، نراه ينتقل إلى مقطع جديد يتمنى فيه أن يلحق بركب هذه المحبوبة وتراه يعقد الأمل في ذلك على ناقة قوية متينة ، يصفها لنا بكل دقة فلم يترك لها وصفا إلا أتى به . يقول علقمة (٢)

هَلْ تُلْحِقَنِّي بِأُولَى القَوْمِ إِذْ شَحَطُوا
جُلْذِيَّةٌ كَأَتَانِ الضَّحْلِ عُلْكُومُ

تُلَاحِظُ السَّوْطَ شَزْرًا وَهْيَ ضَامِرَةٌ
كَمَا تَوَجَّسَ طَاوِى الكَشْحِ مَوْشُومُ

كَأَنَّهَا خَاضِبٌ زُعْرٌ قَوَائِمُهُ
أَجْنَى لَهُ بِاللِّوَى شَرْىٌ وَتَنُّومُ

---

(١) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه د . محمد النويهي جـ ١ صـ ٣٢١
(٢) ديوان علقمة صـ ٥٧ إلى صـ ٦٣

يَظَلُّ في الحنظل الخُطْبانَ يَنْقُفُه
وما اسْتَطَفَّ مِنَ التَّنُّومِ مَخْذُومُ

فُوهٌ كَشَقِّ العصا لأْياً تَبَيَّنُه
أَسَكُّ ما يَسْمَعُ الأَصْواتَ مَصْلُومُ

حَتَّى تَذَكَّرَ بَيْضاتٍ وهَيَّجَهُ
يَوْمُ رَذاذٍ عَلَيْهِ الرِّيحُ مَغْيُومُ

فلا تَزَيُّدُهُ في مَشْيِهِ نَفِقٌ
ولا الزَّفِيفُ دُوَيْنَ الشَّدِّ مَسْؤُومُ

يَكادُ مَنْسِمُهُ يَخْتَلُّ مُقْلَتَه
كأنَّهُ حاذِرٌ لِلنَّخْسِ مَشْهُومُ

يَأْوِي إلى خُرَّقٍ ذُعْرٍ قَوادِمُها
كأنَّهُنَّ إذا بَرَكْنَ جُرْثُومُ

وَضَّاعَةٌ كَعِصِيِّ الشَّرْعِ جُؤْجُؤُهُ
كأنَّهُ بِتَناهِي الرَّوْضِ عُلْجُومُ

حَتَّى تَلافَى وقَرْنُ الشَّمْسِ مُرْتَفِعٌ
أُدْحِيَّ عِرْسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرْكُومُ

يُوحِي إِلَيْها بِإِنْقاضٍ ونَقْنَقَةٍ
كَما تَراطَنُ في أَفْدانِها الرُّومُ

صَعْلٌ كأنَّ جَناحَيْهِ وجُؤْجُؤَهُ
بَيْتٌ أَطافَتْ بِهِ خَرْقاءُ مَهْجُومُ

تَحُفُّهُ هِقْلَةٌ سَطْعاءُ خاضِعَةٌ
تُجِيبُهُ بِزِمارٍ فِيهِ تَرْنِيمُ

وهكذا يصف لنا علقمة ناقته التي يعقد عليها أملى اللحاق بمحبوبته التي

نأت عنه يجيد فى وصفها ـ ولا غرو فى ذلك ـ فهو قديم ـ وأكثر القدماء يجيدون وصف الناقة لأنها مركبهم كما يقول ابن رشيق [1] .

فنراه يستخدم من الألفاظ ما يتناسب وهذه الناقة التى على مثلها تعقد الآمال : " جلذية ، كأتان الضحل ، علكوم ، ضامرة ، كأنها خاضب " هيجه ، وضاعة " ثم وصفها بالسرعة مشبها إياها بالظليم وهو ذكر النعام الذى يتذكر عشه وأفراخه فينطلق بدافع الحنان والحب إلى هذا العش وتلك الأفراخ الضعيفة والزوجة الوفية التى تنتظر عودته وتفرح بلقائه ، وتتلقاه بغناء ينم عن فرحة غامرة بعودة ذكرها إليها . ويستخدم علقمة من الألفاظ ما يوحى بهذا الجو النفسى الجميل مثل : " كأنها خاضب ، يكاد منسمه يختل مقلته ، يأوى إلى خرق ، كأنهن جرثوم وضاعة ، كعصى الشرع ، فيه البيض مركوم ، يوحى إليها بإنقاض ، ونقنقة كما تراطن الروم ، صعل ، خرقاء مهجوم " .

والمتأمل لهذا البيت الأخير الذى يصور لقاء النعامة لذكرها الذى غاب عنها شطرا من النهار ليدرك مدى ما يحتمل فى نفس علقمة من أمل فى لقاء محبوبته التى نأت عنه مع قومها وما يود الشاعر من حنين تفيضه عليه هذه المحبوبة مثلما فاضت تلكم النعامه على ذكرها .

والألفاظ فى هذا البيت الأخير تنم عن الحب والحنان والوفاء فى أسمى معانيه : " تحفه ، هقلة سطعاء خاضعة ، تجيبه بزمار فيه ترنيم " .

---

(1) العمدة لابن رشيق جـ٢ ص ٢٩٦ .

وكم يبدو لنا الشاعر متحسرا متألما وهو يرى هذا الموقف بين الظليم وأنثاه في حين أنه قد افتقده هو مع محبوبته "سلمى".

وهكذا جاء وصف علقمة لناقته ليصور مواقف نفسية تضطرب بانفعالات شتّى فلم يجئ وصفه حسيا ، ماديا ، تقوم الفضيلة فيه على دقة الملاحظة وصحة التشبيه أو كما يقول عنه د. مندور: " وهذا هو الاتجاه نفسه الذى غلب تلقائيا على فن الوصف عند شعراء العرب الأقدمين ، وبخاصة فى عصر الجاهلية ، وصدر الإسلام ، وهو الاتجاه الذى يسميه نقادنا ، ودارسوا أدبنا القديم ، بالوصف الحسى ". (١)

ولسنا هنا بحاجة إلى الوقوف طويلا عند هذه الصورة التى وصف فيها علقمة ناقته فشبهها بالظليم فليس هذا مكانها وإنما مكانها عند حديثنا عن الصورة عنده.

وإذا ما تحدث علقمة عن نفسه مفتخرا بشجاعته وقدرته وقوة فرسه التى تعينه على القتال وشدائده نراه يحشد من الألفاظ ما يوضح صورته ويجلوها يقول علقمة : (٢)

وَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى قِرْنِي يُشَيِّعُنِي
مَاضٍ أَخُو ثِقَةٍ بِالْخَيْرِ مَوْسُومُ

وَقَدْ عَلَوْتُ قُتُودَ الرَّحْلِ يَسْفَعُنِي
يَوْمٌ تَجِيءُ بِهِ الْجَوْزَاءُ مَسْمُومُ

(١) فن الشعر (العدد الثانى عشر من سلسلة المكتبة الثقافية) د. محمد مندور ص ٥٧.

(٢) ديوان علقمة من ص ٧١ إلى ٧٧.

حامٍ كأنّ أُوارَ النارِ شاملُهُ
دونَ الثيابِ ورأسُ المرءِ معصومُ

وقدْ أقودُ أمامَ الحيِّ سلهبةً
يهدي بها نسبٌ في الحيِّ معلومُ

لا في شظاها ولا أرساغِها عنتٌ
ولا السنابكُ أفناهنّ تقليمُ

سلاءةٌ كعصا النهديّ غُلّ بها
ذو فيئةٍ من نوى قرّانَ معجومُ

تتبعُ جوْنًا إذا ما هُيّجتْ زجلتْ
كأنّ دفًّا على علياءَ مهزومُ

يهدي بها أكلفُ الخدّينِ مختبرٌ
منَ الجمالِ كثيرُ اللحمِ عيثومُ

إذا تزغّمَ من حافاتِها ربعٌ
حنّتْ شغاميمُ في حافاتِها كومُ

وقدْ أصاحبُ فتيانًا طعامُهمُ
خضرُ المزادِ ولحمٌ فيه تنشيمُ

وقدْ يسرتُ إذا ما الجوعُ كلّفهُ
معقّبٌ من قداحِ النبعِ مقرومُ

لو ييسرونَ بخيلٍ قدْ يسرتُ بها
وكلُّ ما يسرَ الأقوامُ مغرومُ

فعلقمة وهو فى معرض الفخر نراه يستخدم الحرف " قد " ويكرر استخدامه ست مرات مدخلا إياه على الفعل الماضى والمضارع ليؤكد قيامه بهذا العمل " وقد غدوت ، وقد علوت ، وقد أقود ، وقد أصاحب ، وقد يسرت " ويكرر

الأخيرة مرة أخرى في البيت الأخير فهو شجاع مقدام ، وجواد متلف لماله في سبيل الضعفاء من أبناء قومه .

وعند حديثه عن فرسه يستخدم لها من الألفاظ ما يترفع بها مكانا عليا سلهبة ، نسبها معلوم ، شظاها وأرساغها ، وسنابكها قوية حادة ، سلاءة كعصا النهدى " وعند حديث علقمة عن الجمل الذى يتقدم الإبل ويهديها إلى الطريق يحشد له علقمة من الألفاظ ما يوحى بقوته وضخامته فهو : " أكلف الخدين ، مختبر ، كثير اللحم ، عيثوم " .

كل هذه الألفاظ التى حشدها الشاعر فى هذا المقطع إنما جاء بها لا لمجرد الوصف الحسى فقط ، وإنما ليبرز بها حالته الوجدانية ، وإحساسه بالعظمة ، والقوة وقد توفرت له أسباب هذه القوة التى كفلت له أن يفخر وأن يعلى صوته مجاهرا بهذا الفخر .

وإذا ما انتقلنا إلى قصيدة علقمة الثالثة والتى احتكم بها إلى أم جندب " زوج امرىء القيس " ضد زوجها ، وحكمت له هذه المرأة بالتفوق على زوجها مبرهنة لزوجها الذى رفض هذا الحكم لتجنبه العدل والإنصاف — بأن علقمة قد استخدم من الألفاظ ما يوحى بكرم فرسه الذى يصل إلى فريسته ثانيا من عنانه ، فى حين أن ألفاظ امرىء القيس أوحت بأن فرسه أدرك فريسته بعد ما ألهب فارسه ظهره بسوطه .

من هنا يتضح لنا أن الألفاظ والتراكيب كانت هى ركائز أم جندب وقواعدها فى حكمها لعلقمة بالتفوق على زوجها .

بدأ الشاعر قصيدته بالنسيب كعادته ذاكرا محبوبة أكبر الظن عندى أنها هى عينها " لَيْلَى " تلك المحبوبة التى تحدث عنها فى قصيدته البائية التى مدح بها الحارث بن أبى شمر الغسانى ، بدأ علقمة حديثه مع نفسه مخاطبا لها ولائما إيَّاها على تسرعها فى اتخاذ قرار بهجر محبوبته ، تلك المحبوبة التى زاد تدللها عليه ، يقول علقمة : (١)

ذَهَبْتَ مِنَ الْهِجْرَانِ فِى غَيْرِ مَذْهَبِ
وَلَمْ يَكُ حَقًّا كُلُّ هذَا التَّجَنُّبِ

لَيَالِى لا تَبْلَى نَصِيحَةُ بَيْنِنَا
لَيَالِى حَلُّوا بِالسِّتَارِ فَغُرَّبِ

مُبَتَّلَةٌ كَأَنَّ أَنْضَاءَ حَلْيِهَا
عَلَى شَادِنٍ مِنْ صَاحَةٍ مُتَرَبِّبِ

مُحَالٌ كَأَجْوَازِ الجَرَادِ وَلُؤْلُؤٌ
مِنَ الْقَلَقِىِّ وَالكَبِيسِ المُلَوَّبِ

إِذَا أَلْحَمَ الوَاشُونَ لِلشَّرِّ بَيْنَنَا
تَبَلَّغَ رَسُّ الحُبِّ غَيْرُ المُكَذَّبِ

فعلقمة هنا قد استخدم كلمتى "الهجران ، والتجنب" لما لهما من دلالة على تأكيد الهجر ، والبعاد . ولكى يزيد نفسه حسرة على فراق هذه المحبوبة أخذ فى وصفها مشبها لها بظَبْى تربيه الجوارى وتزينه بالحلى إمعانا فى تأكيد رقتها ونعومتها وحياتها المنعمة المرفهة . ثم يفصل علقمة فى وصف ما عليها من لؤلؤ متنوع بين القلقى والكبيس الملوب وليزداد الشاعر حسرة على حسرته أخذ يذكر ماضيه مع هذه المحبوبة ومحاولة الوشاة التفريق بينهما وعدم وصولهم إلى ذلك . بل كلما زاد الوشاة

(١) ديوان علقمة ص ٧٩ إلى ٨١

فى كذبهم ازداد الحب رسوخا وقوة ولهوضح علقمة مدى ذلك استخدم من الألفاظ ما يدل على أن الوشاة كانوا يبذلون قصارى جهدهم : "إذ الحم الواشون للشر بيننا " والنتيجة " تبلّغ رسّ الحب " أى ازداد الحب فى القلب ثباتا ورسوخا ، وما تستطيع لفظة أخرى أن توضح ما وضحته لفظة " تبلّغ " فى هذا المقام .

ومن وقع هذه الكارثة على الشاعر نراه متخبطا فى دياجير الشك بالاضطراب فمرة يلوم نفسه ، ومرة يبدى أنه على صواب فى موقفه من هذه المحبوبة . يقول علقمة : (1)

وما أنتَ أمْ ما ذِكرُها ربعيّةً
تَحُلُّ بإيرٍ أوْ بأكنافِ شُرْبُبِ

أطعتَ الوُشاةَ والمُشاةَ بصُرْمِها
فقد أنهجتْ حِبالُها للتقضُّبِ

وقد وعدتْكَ موعِدًا لو وفتْ بِهِ
كموعودِ عُرْقوبٍ أخاهُ بيثْرِبِ

وقالتْ : وإنْ يبخلْ عليكَ ويُعتلَلْ
تَشُكَّ وإنْ يُكشَفْ غرامُكَ تَدْرَبِ

فقلتُ لها : فِيئي فما تستفِزُّني
ذواتُ العيونِ والبنانِ المُخضَّبِ

ففاءتْ كما فاءتْ من الأُدْمِ مُغْزِلٌ
ببيشةَ ترعى في أراكٍ وحُلَّبِ

فعِشْنا بها من الشبابِ مُلاوةً
فأنجحَ آياتُ الرسولِ المُخَبِّبِ

(1) ديوان علقمة من ص ٨١ إلى ص ٨٤

فالفاظ الشاعر وتراكيبه هنا قد أوضحت بلا غموض تقلبه النفس الشديد اذ يذكر ، أن ما فعله هو وما كان يجب علية أن يفعله ، اذ انها بعدت عنه ، وحلت بمواضع بعيدة غن ديارة ، ثم يلوم نفسه بأنه أطاع الوشاة والمشاة بصرمها ، ثم يذكر مواعدها التى لم تصدق وكانت كمواعيد مرقوب مع أخيه ، ثم يذكر علقمة تدللها عليه ، وتثاقلها ، معه ذلك التثاقل الذى لم تطقه نفسه ، وليت الأمر وقف عن هذا التثاقل بل تعداه الى اظهارها لضعفه / " وقالت ان يبخل عليك ..... " وهنا تثور ثائرة الشاعر ويصيح فى وجهها " فقلت لها فيئى فما تستفزنى ... " وان كان الشاعر قد قال ذلك الا بعقله فمازال لقلبه تعقيب على هذا التسرع العقلى ولا يزال هذا القلب معلقا بهذه المحبوبة التى فارقته . ألا نراه يقول : " " فقاءت كما فاءت من الآدم مغزل " وأخذ مرة أخرى فى وصفها وتشبيهها بالطبية المغزل .

هذه ألفاظ الشاعر التى صاغها وهو فى حالة وجدانية صادقة وينتقل الشاعر من هذا النسيب الى وصف ناقته التى ستباعد بينه وبين من صرمته الود والوصال ، فيصفه هذه الناقة مستخدما من الألفاظ والتراكيب ما ينبىء عن قوتها وسرعتها ، وجلدها على تحمل المشاق والاعياء : (1)

فانك لم تقطع لبانة عاشق
بمثل بكور أو رواح صؤوب

بمجفرة الجنبين حرف شملة
كهمك مرقال على الأين ذعلب

---

(1) ديوان علقمة من ص ٨٥ الى ص ٨٧

اذا ما ضربت الدف أوصلت صوتـــــة
ترقب منى غير أدنـــى ترقـــب

بعين كمرآة الصناع تديرهـــــا
لمحجرها من النصيـــف المنقـــب

كأن بحاذيها اذا ما تشـــــذرت
عثاكيل عذق من سميحة مرطـــب

تذب بعطورا وطورا تمـــــره
كذب البشير بالـــرداء المهـــذب

فها هى ناقته التى تكاثفت الألفاظ لتبرز لنا صفاتها فهى : " مجفـــرة الجنبين ، حرف ، شملة ،مرقال على الأين ، ذعلب ، فعلقمة يحرص بعـد ذلك على أن يصفها خائفة منه حذره متوقية غضبه ، وثورته ،مترقبة سوطـــة بمؤخر عينيها وذلك لحدة نفسها وذكاء قلبها .

ويخلص الشاعر من وصف الناقة ليدخل فى وصف فرس الصيد غيـــر تارك جزئية من جزئياته مستخدما من الألفاظ ما له دلالة قوية على استيفاء صفات هذه الفرس من لون ، وصلابة ، وشدة ، وضخامة ،وملاسة ، ولـم ينس الشاعر أن يصف قوائم فرسه وحوافره ، فهذه الصفات جامعة هـــى التى كفلت له صفة السرعة التى بها استطاع ان يدرك فريسته وأن يضمن للقوم الذين نفذ زادهم أن يأتيهم بزاد غيره يقول علقمة :(1)

وقد اغتدى والطير فى وكناتهـــا
وماء الندى يجرى على كل مذنـــب

(1) ديوان علقمة من ص ٨٨ الى ص ٩٩ .

بمنجرد قيد الأوابد لاحه ۰٬۰ طراد الهوادى كل شأو مغرب

بغوج لبانيتم بريمه
على نفث واق خشين العمين مجلب

كميت كلون الأرجوان نضود ه
لبهيم الرداء فى الصوان المكعب

ممر كعقد الاندرى يزينه
مع العتق خلق مفعم غير جأنب

له حرتان تعرف العتق فيهما
كسامعتى مذعورة وسط ربرب

وجوف هواء تحت متن كأنه
من الهضبة الخلقاء وحلوق طعب

قطاة ككردوس المحالة أشرفت
الى سند مثل الغبيط المذأب

وغلب كأعناق الضباع مضيغها
سلام الشظى يغشى بها كل مركب

وسمر يغلقن الظراب كأنها
حجارة قيل وارسأت بطحلب

فعلقة وقد استخدم علقمة الحرف "قد" الذى ربط به بين وصفه للناقة ووصفه للفرس دون أن تكون هناك فجوة عند هذه الانتقالة وكأنه استمرار للحديث النفسى للشاعر وهو يتلذذ بذكرناقته وفرسه فبهما سيستطيع سلوان هذه المحبوبة التى غالت فى تدللها عليه ۰٬ يصف علقمة فرسة بالفاظ مثل : " منجرد ، قيد الآوابد ،لاحه ،طراد الهوادى ، غوج ، كميت ، ...

كمقد الاندرى ، تعرف العتق فيهما ، جوف هواء ، متن كأنه أعلى الهضبة قطاة ككردوس المحالة ، غلب كأعناق الضباع ، سمر يغلقن الظراب ، كأنها حجارة غيل ، وارثات بطحلب " .

ألفاظ لها من الضخامة والقوة ، ما يوحى بضخامة وقوة هذا الفرس الذى يقيد الأوابد وما كان يستطيع ذلك لولا هذه الصفات التى أضفاها الشاعر عليه . ثم ليؤكد الشاعر هذه الصفات لفرسه بدأ يتحدث عن سرعته الموثوق منها ، وبدأ يصف لنا عملية الصيد وانطلاق الفرس بين الشياه حتى أرادها محققا للشاعر وصحبه ما كانوا يريدون من طعام يقول علقمة : (١)

إذا ما اقتصنا لم نخاتل بجنـــــة
ولكن ننادى من بعيد ألا اركـــب
أخا ثقة لا يلعن الحى شخصـــه
صبورا على العلات غير مسبـــب
إذا أنفدوا زادا فإن عنانــــه
وأكرعه مستعملا خير مكســـب

فلثقتهم فى سرعة هذا الفرس لم يستتروا ويخفوا أصواتهم بل جاهروا لثقتهم من أن الوحش لن تفوته .

وعلقمة حين يصف فرسه لا ينسى أن يصف أخلاقه : " أخا ثقة ، لا يلعن الحى شخصه ، صبورا على العلات ، غير مسبب " .

وإنها الألفاظ توحى بما يكنه الشاعر لفرسه هذا من حب وتقدير وإعجاب ثم ليظهر الشاعر سرعة هذا الفرس تأكيدا لصفاته التى ذكرها عنه ، نراه

(١) ديوان علقمة ص ٩٢ ، ٩٣ .

يصور لحظة الصراع بين الفرس والشياه أو بقر الوحش ، ويوضح كيف استطاع هذا الفرس اللحاق بها والقضاء عليها يقول علقمة : (١)

رأينا شياها يرتعين خميلة
كمشى العذارى فى الملاء المهذب

فبينا تمارينا وعقد عذاره
خرجن علينا كالجمان المثقب

فاتبع آثار الشياه بصادق
حثيث كغيث الرائح المتحلب (٢)

فالمتأمل لقوله " خرجن علينا ٠٠ فاتبع " وهذا العطف بالفاء الذى أفاد سرعة الفرس فى اتخاذ قرار مطاردة بقر الوحش حتى لحق بهن ليدرك دقة علقمة فى اختيار ألفاظه : (٣)

فظل لثيران الصريم غماغم
يداعسهن بالنضى المعلب

فهاو على حر الجبين ومتق
بمدراته كأنها طلق مشعب

وعادى عداء بين ثور ونعجة
وتيس شبوب كالهشيمة قرهب

فعلقمة يستخدم كلمة " ظل " لتفيد استمرار غماغم الثيران وهى أصواتها عندما

(١) ديوان علقمة ص ٩٣ الى ٩٤
(٢) ويروى هذا البيت " فأدركهن ثانيا من عنانه ، يمر كمر الرائح المتحلب
(٣) ديوان علقمة ص ٩٦ الى ٩٧

طعنها الفرس فمنها ما هوى صريعا ، ومنها ما زال يتقى الطعنات ويؤكد علقمة جدية هذا الفرس فيما كلف به نراه يقول واصفا له : " وعادى عداء " ثم قوله " بين ثور ونعجة وتيس " والتيس ذكر الظباء ، كل هذه الألفاظ قد أبدت لنا صورة هذا الفرس وهو يقوم بمهمته خير قيام ، محققا مآرب صاحبه ورفاقه ويورد الشاعر فى آخر قصة الصيد هذه فرحته ورفاقه الغامرة بما حققوه فيقول : (1)

فقلنا ألا قد كان صيد لقانص
فخبوا علينا فضل برد مطنب

فظل الأكف يختلفن بحانذ
إلى جؤجؤ مثل السداك المخضب

كأن عيون الوحش حول خبائنا
وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

ورحنا كأنا من جواثى عشية
نعالى النعاج بين عدل ومحقب

وراح كشاة الربل ينفض رأسه
أذاة به من صائك متحلب

وراح يبارى فى الجناب قلوصنا
عزيزا علينا كالحباب المسيب

فكم كانت فرحتهم تلك التى جسدتها لنا هذه الألفاظ التى أحسن الشاعر اختيارها فقد ضربوا لهم بيتا من برد يأكلون فيه ثم استخدام علقمة للفظة " فظل الأكف " وما توحى به من فرحة عند التهامهم لطعامهم

---

(1) ديوان علقمة ص ٩٧ ، ٩٨

وكذلك كثرة عيون الوحش التي انتشرت هنا وهناك حول الخباء ثم عودتهم بعد استراحتهم وقد حملوا معهم ما بقي من صيد في أعدالهم وهم في عودتهم كأنهم تجار من جواثى جاءوا ومعهم بضاعتهم التي تملأ أعدالهم، كم هي فرحة أولئك القوم بما حققوه من صيد . ولم ينس الشاعر في آخر هذه الصورة أن يذكر صاحب الفضل في ذلك كله " فرسه " فصوره لنا وهو ينفض رأسه ليتخلص مما به من عرق . وفي طريق عودتهم سار إلى جانب القلوص ، يباريها ويسبقها لم يضعف من قوته كل ما لاقى من عناء طوال اليوم .

إن ألفاظ علقمة في وصفه لفرسه الذي استخدم يوم صيده لتشع منها البهجة والفرحة يبدو ذلك جليا من قوله : " ورحنا كأنا من جواثى ، وقوله وراح كشاة الربل " وقوله : " وراح يبارى " .

وهكذا يبدو لنا من خلال تتبعنا لألفاظ علقمة وتراكيبه دقته المطلقة في اختيار ألفاظ تساير الجو النفسي الذي يعيشه الشاعر ، فلا تبدو ألفاظه مناقضة للواقع ولا مجافية لسليقة البدوي الذي ولد ، وعاش ملازما للصحراء كلها مستمدا منها قيمته ومبادئه وأصول حياته .

وبعد هذه الجولة مع ألفاظ الشاعر وتراكيبه أخلص الآن إلى معانيه وأفكاره وأحاول تتبعها لأقف من خلالها على مدى ارتباط الشاعر ببيئته ومجتمعه .

ثانيا : المعاني والأفكار :

" علقمة " ربيب الصحراء ، فيها ولد ، وعلى أرضها عاش حياته الطويلة ، وخلال هذه الحياة الممتدة ، وقعت عيناه على ما بها من جمال ورمال ، وجدب ، وحيوان وطير ، وإنسان وكان لابد له من أن يصدر في هذا الشعر عن كل هذا الذي حوله . فتناول في وصفه بأمانه وصدق واقعه كما رآه .

يقول د . شوقي ضيف وهو يتحدث عن الخصائص المعنوية للشعر الجاهلي : " لعل أول ما يلاحظ على معاني الشاعر الجاهلي أنها معان واضحة بسيطة ، ليس فيها تكلف ، ولا بعد ، ولا إغراق في الخيال سواء حين يتحدث عن أحاسيسه أو حين يصور ما حوله في الطبيعة فهو لا يعرف الغلو ولا المبالغة التي قد تخرج به عن الحدود المعتدلة " (١)

وأنا أرى في هذا الرأي صوابا أي صواب ، فالشاعر الجاهلي بسيط ، يسير ، كحياته البسيطة السهلة ويرجع الدكتور شوقي ضيف ذلك كله إلى أن الشاعر الجاهلي كان أمينا في نقله لواقعه فيقول : " ومرجع ذلك في رأينا أنه لم يكن يفرض إرادته الفنية على الأحاسيس والأشياء بل كان يحاول نقلها إلى لوحاته نقلا أمينا ، يبقى فيه على صورها الحقيقية دون أن يدخل عليها تعديلا من شأنه أن يمس جوهرها ومن أجل ذلك كله كان

---

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) د . شوقي ضيف ص ٢١٩

شعره وثيقة دقيقة لمن يريد أن يعرف حياته وبيئته برملها وودبانها ومنعرجاتها ، ومراعيها ، وسباعها ، وحيوانها ، وزواحفها ، وعرف القدماء ذلك فكلما تحدثوا عن عادات الجاهليين وألوان حياتهم استشهدوا بأشعارهم ، وحينما كتب الجاحظ كتاب الحيوان وجد فى هذه الأشعار مادة لا تكاد تنفد فى وصفه ووصف طباعه وكل ما يتصل به من سمات وشخصيات ". (١)

وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على صدق الشعر الجاهلى ومجاراته للحياة بدقائقها وأسرارها ووصفها كما هى لا كما يراها خيال الشاعر . وها هو ذا أبو عثمان الجاحظ يثق فى الشعر الجاهلى ثقة كاملة ويستشهد به فى الرد على من يخالفه الرأى . قال الجاحظ بعد أن أورد قول " أرسطو فى عقوق العُقاب " : هذا قول صاحب المنطق فى عقوق العُقاب ، وجفائها لأولادها ، فأما أشعار العرب فهى تدل على خلاف ذلك . قال دريد بن الصمة :

وكل لجوج فى العنان كأنها
إذا اغتمست فى الماء فتخاء كاسر

لها ناهض فى الوكر قد مهدت له
كما مهدت للبعل حسناء عاقر (٢)

---

(١) تاريخ الأدب العربى ص ٢١٩.
(٢) تهذيب الحيوان للجاحظ : عبد السلام هارون . مكتبة النهضة مصر ١٩٥٧ ص ٩ (والفتخاء من العقبان : اللينة الجناح ، والناهض فرخ الطائر الذى وفر جناحه وتهيأ للطيران) .

وما صنعه الجاحظ يدل الدلالة القوية على واقعية الشعر الجاهلي وبعده عن الخيال ، وإذا كان الجاحظ قد وقف هذا الموقف من الشعر الجاهلي فإنني أرى باحثا حديثا هو الدكتور/ أحمد الحوفي يؤلف كتابا عن الحياة العربية في العصر الجاهلي ويعتمد فيه على الشعر الجاهلي كوثيقة لها أهميتها التي لا يجب إغفالها ، وهو في كتابه هذا يحدثنا عن حياة الجاهليين الاجتماعية ، وما يتصل بها من مكانة المرأة في الأسرة والمجتمع والزواج ، والطلاق ، وتعدد الزوجات ، والأولاد ، والغنى ، والفقر والثأر والخلاف ، والمحالفة ، والجوار.

ويحدثنا عن الحياة الخلقية بما فيها من كرم ، وبخل ، وشجاعة وطيش ، وسرعة انفعال ، وحلم ، وحمية ، وإباء ، ووفاء ، وعفة ، وغيرة.

ويحدثنا عن الحياة الدينية وما يتصل بها من عبادة للأوثان ، ومن توحيد ، وعبادة للكواكب والنار والجن والملائكة والشجر ، وعن الحج ومراسمه وعن الدهريين ، وإنكارهم للبعث ، وعن عادات الجاهليين ومعتقداتهم وشرب الخمر ، ولعب الميسر ، وتصور الجاهليين للجن وشياطين الشعراء والزجر والعيافة وعقر الإبل على القبور.

وفي كل هذا يعتمد الأستاذ الباحث اعتمادا كبيرا على شعر الجاهليين لثقته الكاملة في صدق هذا الشعر وواقعيته واستيعاب معانيه لشتى أحوال الحياة بجميع صورها الاجتماعية ، والخلقية ، والدينية .

يقول الأستاذ الباحث فى تقديمه لبحثه هذا : " هذا الكتاب قائم على الشعر الجاهلى ، وثيق الصلة بحياة العرب ، ما جل منها وما صغر فهو جداول ورواضع نابعة من هذه الحياة ، تحمل فى مجراها ما فى الينابيع من صفاء ومن كدرة ، ومن خير ، ومن شر ."

ويقول أيضا : " قصدت إلى شىء آخر هو أن أجلو الحياة العربية فى شتى صورها جلاء لا يعتمد على التاريخ وحده ، وإنما يستند أولا إلى الشعر الذى صور هذه الحياة ، فأحسن تصويرها ." (١)

فإذا كان هذا هو حال الشعر الجاهلى الذى استند إليه الباحثون قديمهم وحديثهم ـ كوثيقة صادقة يستمدون منها ما يشاءون ، فما بالنا بشعر " علقمة " الذى يعد من أقدم شعراء الجاهلية ، فقد عاصر أمرأ القيس " وامرؤ القيس من أقدمهم بعد " عبيد بن الأبرص " فقد كان تلميذا لعبيد بل يذهب أحد الباحثين وواحد من أساتذة الأدب العربى فى مصر إلى أنه كان راوية لعبيد . (٢)

" وعلقمة " يستمد معانيه وأفكاره من واقعه ويذكرها عارية دون خداع يقول د . شوقى ضيف عن جمهور الشعراء الجاهليين : " تعودوا أن يسندوا أقوالهم بذكر الحقيقة عارية دون خداع يموّهها أو طلاء يزيفها ومن هنا كانت معانيهم محددة تحديدا يبرزها فى أتم ما يكون من ضياء

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلى د . أحمد الحوفى ص ٣٠

(٢) الشعر الجاهلى ـ مراحله واتجاهاته الفنية ـ د . سيد حنفى ص ٥٨

ومن ثم تبدو فى كثير من جوانبها كأنها شئ راسخ ثابت . ويتضح ذلك فى حكمهم التى تصور أحكاما سليمة ، وخبرات صائبة ،كما يتضح فى جوانب كثيرة من تأبينهم ، ومديحهم وغزلهم ، وحماستهم إذ يقدم الشاعر المعانى منكشفة كأنها أشياء صلبة محسوسة فهى حقائق تسرد سردا وقلما شابها الخيال إلا لمزيدها إمعانا فى الوضوح ، والجلاء " (١) .

وشعر " علقمة " يمثل المرحلة الأولى للشعر الجاهلى ،الذى وصل إلى أيدينا والذى يرى نيكلسون أن معرفتنا به لا تتجاوز القرن الخامس الميلادى " (٢)

ويقول د . على الجندى متحدثا عن الأدب الجاهلى : " والأدب الجاهلى بالصورة التى وصل بها إلينا يدل دلالة قاطعة على أن العرب فى جاهليتهم قد قطعوا أشواطا كثيرة متباعدة فى سبيل التطور الأدبى . فهو أدب ممتاز فى درجة عالية من التقدم والكمال ولا يستطيع الإنسان معه أن يتصور أن هذا كله أول ما قاله العرب " (٣)

ويستطرد د . الجندى قائلا : " ولا شك أن الأدب الجاهلى كامل من ناحية اللغة ، والموسيقى ، والمعنى ، ويدل دلالة قاطعة على تطور ناجح عند العرب فى مجال التعبير والتصوير الأدبى الممتاز ، وما يدل

(١) الشعر الجاهلى د . شوقى ضيف ص ٢٢٠

(٢) Nichleson, Aliterary history of Arab, P. 30,31.

(٣) تاريخ الأدب الجاهلى د . على الجندى ج ١ ص ١٠٠

على روعته وعظم شأنه بقائه حيا خالدا إلى اليوم بعد مرور هذا الزمن الطويل منذ نشأته إلى عصرنا الحاضر . كما أن الأدباء كانوا وما زالوا قديما وحديثا ينسجون على منواله ، ويتخذونه المثل الأعلى ويتمنون أن يجئ إنتاجهم مثله أو قريبا منه قوة وروعة وجمالا ، وصدقا فى التعبير والتصوير "(١) .

ويحدثنا عنه " غرنباوم " فيقول : " لقد كان الشعر العربى القديم فنا غنائيا ذا طابع وصفى ، وملاحظة تبلغ منتهى الدقة فى أوصاف الحصان وحمار الوحش ، وأهوال الصحراء التى يجتازها ، متخذا من هذه الأوصاف وسيلة لزهوه برفعة منزلته ، مدللا على حسن اختياره لحصانه المطهم وبراعته فى ملاحقة الطرائد ، وشجاعته فى اقتحام الأخطار "(٢) .

ويأتى د . نجيب محمد البهبيتى ليؤكد ما قاله " غرنباوم " وغيره عن هذا الشعر ، فيحدثنا عن خصائص هذا الشعر فيقول : " وهى خصائص من مركب معقد تام ، بالغ منزلة من النضج لم يكد يبلغها فى ميزان الشاعرية الصحيحة شعر عصر جاء بعده ، فى العربية . وقد تناول كل موضوع يمكن أن يمر بخاطر شاعر ، ويحرك نفسه ، ويثير خطواطره وهو إن لم يبق لنا كله فقد بقى من الإشارات ، والدلالات ، الكافى الكاشف لخواصه وجوانبه(٣)

---

(١) تاريخ الأدب الجاهلى د . على الجندى جـ١ ص ١٠٠ .
(٢) دراسات فى الأدب العربى — جوستاف غون غرنباوم — ترجمة د . إحسان عباس وآخرون بيروت ١٩٥٩ ص ١٣٣ .
(٣) تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى — د . نجيب محمد البهبيتى — مؤسسة الخانجى القاهرة ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

وإن كان الدكتور طه حسين قد تشكك فى معظم هذا الشعر ورأى أن معظمه موضوع ، ونفى كل ما أورده ـ ليل صدق على وجوده وثباته ورسوخه بل أكثر من هذا فإن هناك من الباحثين من يتصدّى للرد على الدكتور طه حسين بكتاب أسماه صاحبه " النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى (١) هذا الباحث هو محمد أحمد الغمراوى ، ولست بحاجة إلى أن أثبت آراءه فى هذا الصدد فلن يتسع المجال لها .

وإذا ما حاولت الآن الوقوف على معانى " علقمة بن عبدة " فإننى واجده قد تناول فى أشعاره الحياة من حوله بكل قيمها المتعددة اجتماعية وأخلاقية ، ودينية .

فها هو ذا يصف محبوبته فيضفى عليها صفة أخلاقية عظيمة . هى الأمانة وحفظ غيبة الزوج إذا ما غاب ، يقول علقمة : (٢)

منعمة لا يستطاع كلامها ∴ على بابها من أن تزار رقيب

إذا غاب عنها البعل لم تفش سره
وترضى إياب البعل حين يؤوب

أليس المطلع على مثل هذه الأبيات يرى فيها مجتمعا يقدس القيم والمثل السامية ؟

---

(١) النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى ، محمد أحمد الغمراوى منشورات دار الحكمة ١٩٧٠ من ص ١٦٣ الى ١٩٥ .

(٢) ديوان علقمة ص ٣٣ .

إن " علقمة وهو يمدح الحارث بن أبى شمر الغسانى يكبر فيه صفة تدل على نفس كريمة ، وأخلاق نبيلة ، وهى أنه يجود بنفسه فى معركة الشرف والمجد ، والكرامة ، يقول علقمة : (١)

تجود بنفس لا يجاد بمثلها
وأنت بها يوم اللقاء تطيب

ويقول وهو يتوسل للممدوح أن يستجيب لما جاء من أجله ويذكره بقيمة أخلاقية لها مكانتها فى مجتمع يقدس القيم . ألا وهى إكرام وفادة الغريب عن الديار . : (٢)

فلا تحرمنى نائلا عن جنابة
فإنى امرؤ وسط القباب غريب

وإن كان مجتمعهم يقدس الكرم والعطاء والنجدة والمروءة وإكرام الغريب عن الديار فهو أيضا يقدس الشجاعة والبأس والقوة . يصف " علقمة فارسا " تخلى عنه جنوده ، لكنه لم يفر من المعركة وفضل الموت فى ساحة الشرف على حياة ملؤها الذل والهوان ، يقول علقمة : (٣)

فارس ما غادروه ملحما ∴ غير زميل ولا نكس وكل
لو يشا طار بهذو ميعة ∴ لاحق الآطال نهد ذو خصل
غير أن البأس منه شيمة ∴ وصروف الدهر تجرى بالأجل

وفى أبيات أخرى يلقى إلينا " علقمة " بحكمة الرجل الأريب ، المجرب للأمور ، العالم قدر صفات حميدة كالجود ، والحمد ، والحلم . العارف

(١) ديوان علقمة ص ٤٦ (٢) المرجع السابق ص ٤٨
(٣) المرجع السابق ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

مضار صفات ذميمة كالبخل ، والجهل ، والتشاؤم ، المقدر والواعى أن لكل أجل كتابًا يتساوى فى ذلك السادة ومن دونهم كالعبيد مثلا ، وأن لكل شىء نهاية فصبها طال البناء فهو مهدوم لا محالة وكذلك المال يزيد وينقص ومصيره إلى زوال ، يقول علقمة :(1)

بل كل قوم وإن عزوا وأن كثـــروا
عريفهم بأثافى الشـــر مرجـــوم

والجود نافية للمال مهلكـــة
والبخل مبق لأهلـــيه ومذمـــوم

والمال صوف قرار يلعبون بـــه
على نقادته واف ومجلـــوم

والحمد لا يشترى إلا له ثمـــن
مما تضن به النفوس معلـــوم

والجهل ذو عرض لا يستراد لـــه
والحلم آونة فى الناس معـــدوم

ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمـــه
أنى توجه والمحروم محـــروم

ومن تعرض للغربان يزجرهـــا
على سلامته لابد مشـــؤوم

وكل بيت وإن طالت إقامتـــه
على دعائمه لابد مهـــدوم

---

(1) ديوان علقمة ص ٦٤ إلى ص ٦٧ .

وهكذا يبدو لنا المجتمع من خلال أبيات علقمة الحكيم — يبدو لنـــا المجتمع على هذه الصورة من الرقى ، والتعقل .

كذلك من المعانى الاجتماعية التى وردت فى شعر علقمة وصف محبوبتـه بأنها تحيا الحياة الاجتماعية التى يتوافر فيها رغد العيش ، وسعادتـــه يقول علقمة : (١)

يحملن أترجة نضخ العبيـــر بهــــا
كأن تطيابها فى الأنـــف مشمـــوم

كأن فارة مسك فـــى مفارقهــــا
للباسط المتعاطى وهو مـــزكـــوم

ويكمل علقمة وصف محبوبته فيقول : (٢)

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبـــة
كأنها رشأ فـــى البيـــت ملـــزوم

ويبدو الشاعر حريصا على الزام صفة الغنى لهذه المحبوبة فهى فى كل قصائده المنعمة ، صاحبة الحلى المتنوع ، المختلف ، يقول علقمة : (٣)

بمثلة كأن أنضاء حليهـا ∴ على شادن من صاحة متربـــب

محال كأجواز الجراد ولـــؤلـــؤ
من القلقى والكبيس الملـــوب

---

(١) ديوان علقمة من ص ٥١ الى ٥٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٦ .
(٣) المرجع السابق ص ٨٠ .

ويردد علقمة هذا المعنى كثيرا في شعره فيذكر حلى محبوبته مرة أخرى فيقول : (١)

وجيد غزال شادن فردت لــــه
من الحلى سِمْطَيْنِ لؤلؤ وزبرجــد

وهكذا نلمح في شعر علقمة عادات اجتماعية قد انتشرت في مجتمعهم الجاهلى آنذاك كعادة شرب الخمر . يقول د . شوقى ضيف عن هذه العادة : " على أن هناك آفات كانت تشيع في هذا المجتمع الجاهلى ، لعل من أهمها الخمر واستباحة النساء ، والقمار ، ونحن نجد الخمر تجرى على كل لسان وقد اشتهر بالحديث عنها وعن كئوسها ودنانها وحوانيتها ومجالسها أعشى قيس ، وعدى بن زيد العِبادىّ الحيرىّ وعرض لها كثيرون في أشعارهم مفاخرين بأنهم يدمنونها ويقدمونها لرفاقهم . وأكثر من كان يتجرفيها اليهود والنصارى ، وكانوا يجلبونها من بصرى وبلاد الشام ومن الحيرة وبلاد العراق " . (٢)

وهذا مما يدل على أن الجزيرة العربية في العصر الجاهلى لم تكن منعزلة عما يجاورها وهذا الرأى يؤيده ما جاء عند " أوليرى " من أن الجزيرة العربية لم تكن منعزلة في الجاهلية عما يجاورها من بيئات أجنبية وإنما كانت دائبة الاتصال بتلك البيئات وهذه الحضارات مؤثرة فيها ومتأثرة بها " (٣)

---

(١) ديوان علقمة ص ١٠٥ .
(٢) العصر الجاهلى د . شوقى ضيف ص ٧٠ .
(٣) Oleary , Arabia Before Mohammed, المقدمة .

ويشير " أوليرى " إلى الطرق العديدة التى كانت تربط الجزيرة العربية بوسط آسيا وغيرها من الأقطار المجاورة " (١)

وعلقمة يحدثنا عن شربه للخمر مع صحبه فى مجلس من مجالسها المترفة مما يدل على مكانته الاجتماعية فى ذلك الوقت يقول علقمة : (٢)

قد أشهد الشرب فيهم مزهر رنم
والقوم تصرعهم صهباء خرطوم
كأس عزيز من الأعناب عتقها
لبعض أربابها حانية حوم
تشفى الصداع ولا يؤذيك صالبها
ولا يخالطها فى الرأس تدويم
عانية قرقف لم تطلع سنة ∴ يجنها مدمج بالطين مختوم
ظلت ترقرق فى الناجود يصفقها
وليد أعجم بالكتان مفدوم
كأن إبريقهم ظبى على شرف
مفدم بسبا الكتان ملثوم
أبيض أبرزه للضح راقبه ∴ مقلد قضب الريحان مفغوم

ومن خلال مجلس الخمر هذا ، ومن خلال نوعية الخمر التى يشربها علقمة وأولئك الأعاجم الذين تكفلوا بها ـ من خلال كل هذا ـ تظهر لنا الحياة الاجتماعية التى كان يحياها الشاعر وحاول أن ينقلها بكل

---

(١) المرجع السابق ص ٥٩ ، ٦٣
(٢) ديوان علقمة من ص ٦٨ الى ص ٧١

الصدق والأمانة إلى لوحات فنية يرسمها بكل دقة ٠

ويستطيع الباحث أن يلمح من خلال معانى الشاعر سمات هذه البيئة التى عاش "علقمة" فى أحضانها ، فإذا ما صور شيئا فلا بد أن يكون هذا الشيء مما تقع عليه عينه بين الفينة والفينة ، فهو حينما يشبه محبوبته يشبهها بالغزال الناعم الذى اعتنت الجوارى بتربيته أو يشبهها بالظبية المغزل ترعى هنا وهناك ٠ وصورة الغزال والظبية لا تبرحان مخيلة الشاعر البدوى لحظة واحدة ٠ يصف علقمة محبوبته فيقول : (١)

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة
كأنها رشأ فى البيت ملزوم

ويقول عنها فى موضع آخر : (٢)

مبتلة كأن أنضاء حليها ∴ على شادن من صاحة متربب

وها هو ذا فى موضع ثالث : (٣)

فقلت لها فيئى فما تستفزنى
ذوات العيون والبنان المخضب

ففاءت كما فاءت من الأدم مغزل
ببيشة ترعى فى أراك وحلب

وعنها يقول أيضا فى موضع رابع : (٤)

تراءت وأستار من البيت دونها ∴ إلينا وحانت غفلة المتفقد

---

(١) ديوان علقمة ص ٥٦ (٢) المرجع السابق ص ٨٠
(٣) المرجع السابق ص ٨٣ـ٨٤٠ (٤) المرجع السابق ص ١٠٥٠

بعيني مهاة يحدر الدمع منهمـــــا
بريمين شتى من دموع وإثمـــد
وجيد غزال شادن فودت لـــــه
من الحلى سمطى لؤلؤ وزبرجـــد
ولعلقمة أيضا فى معرض الغزل : (١)

كأن ابنة الزيدى يوم لقيتهـــا
هنيدة مكحول المدا مسع مرشـــق
تراعي خَذُولاً ينفض المرد شادنـــا
تنوش من الضال القذاف وتعلـــق

وهكذا ما رأيت علقمة يصف محبوبته بغير الغزال والظبية والمهـــاة وصورة كل منها عالقة بذهنه ، وعلقمة يراها فى كل مكان ينزل فيه أو يرحل إليه .

وعلقمة كما بدا من حياته واحد كبقية شعراء الجاهلية عاشرفى الصحراء وذاق أهوالها ومخاطرها وتناول كل هذا فى شعره يصف تلك الصحراء كما يراها ببره وبصيرته فهى الموحشة المقفرة التى لا يستطيع المرء أن يهتدى فيها إلا بعد لأى ومجهدة ، وبعد طول خبرة ومراس ، يقول علقمـــة واصفا صحراء قاتلة : (٢)

ودوية لا يهتدى لفلاتها ،، بعرفان أعلام ولا ضوء كوكـــب

---

(١) ديوان علقمة ص ١٢٧ .
(٢) ديوان علقمة ص ١٢٠ .

وإلى جانب ذلك فقد وصف علقمة الصحراء وطرقها المخيفة المهلكة وهو بصدد مدحه للحارث بن أبى شمر الغسانى ليوحى إليه بما تحملته نفسه من مشاق وأهوال حتى وصل إليه ٠ وكم كلف ناقته عناء السير فى طرق مشتبهات تضل من يسير فيها يقول علقمة فى وصفه لهذه الصحراء وطرقها :(١)

إليك أبيت اللعن كان وجيفهـا
بمشتبهات هولهـن مهيـب

تتبع أفياء الظلال عشيـة
على طرق كأنهن سبـوب

هدانى إليك الفرقدان ولاحـب
له فوق أصواء المتان علـوب

بها جيف الحسرى فأمّا عظامهـا
فبيض وأمّا جلدها فصليـب

فأوردتها ماء كأن جمامه ٠:٠ من الأجن حناء معا وصبيب

تراد على دمن الحياض فإن تعف
فإن المنـدّى رحلة فركـوب

وما كان يصلح لعلقمة وهو يقطع هذه الصحراء الموحشة سوى هذه الناقة المتينة القوية ذات الجلد والتحمل لكل هذه الأهوال والمصاعب ٠

وربما كانت الحياة الشاقة فى مثل هذه الصحراء هى التى فرضت على الشاعر أن يضفى على ناقته هذه الصفات بعينها وهى صفات توحى كلها

(١) ديوان علقمة من ص ٤٠ الى ٤٢٠

بالشدة والقوة والجسارة إلى جانب السرعة وقوة التحمل كوصفه لها بأنها : " جسرة ، وناجية ، ومولعة ، شبوب ، دهماء ، حاركها بالقتب مخزوم ، لها كتر كحافة كير القين ، كأن غسلة خطمى ، بمشفرها ، أدبر العوجها ، جلذية ، كأتان الضحل ، علكوم ، ضامرة ، كأنها خاضب مجفرة ، الجنبين ، حرف ، شملة مرقال على الأين ، ذعلب ، بازل كأن ضلوعها سقائف عرعر ، عنس ". (1)

بكل هذه الصفات وصف علقمة ناقته ، فهو يعلم أنه لن يستطيع العيش فى مثل هذه الصحراء ، وبين تلك الأهوال المطردة والمخاوف المتلاحقة إلا بناقة تتوافر لها كل هذه الصفات مجتمعة حتى يعيش الشاعر هادئ البال مطمئن النفس ، قد أعد لكل أمر عدته .

وما قاله علقمه عن ناقته ، قال مثله عن فرسه ، فهو فى بيئة صحراوية يعيش أبناؤها على الكلأ والماء ، وكثيرا ما تنشب بينهم الحروب ، فهو فى حاجة إلى فرس لصيده ، وأخرى لحربه وقتاله ، وفرس الصيد عند البدوى لا تقل عن فرس الحرب جسارة ، وشدة ، وقوة تحمل ، وسرعة .

حياة قاسية ، وبيئة متجبرة ، فرضت على من يعيش فيها هذه المصاعب وتلك الأهوال . والإنسان منذ خلقه الله يستخدم عقله ليحتال على هذه الحياة ويعيش فيها رغم تجبرها وقسوتها لينتصر آخر الأمر بعقله وإرادته

---

(1) ديوان علقمة صفحات : ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ .

وقوة تحمله وجلده . ولقد صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ يقول " كلٌ ميسَّرٌ لِما خُلِق له " .

وها هو ذا علقمة يصف فرس الحرب التي يقودها أمام قومه فيقول : (١)

وقد أقود أمام الحي سلهبة ** يهدى بها نسب في الحي معلوم

لا في شظاها ولا أرساغها عنت
ولا السنابك أفناهن تقليم

سلاءة كعصا النهدى غل بها
ذو فيئة من نوى قران معجوم

هذه هي فرس علقمة التي يمتطيها مقتحما بها الأهوال والمخاطر يوم أن يشتد الطعن ، والضراب ، ويوم نزال الأقران . أما فرس الصيد فيتناوله علقمة في وصفه أيضا إذ يقول : (٢)

وقد أغتدى والطير في وكناتها
وماء الندى يجرى على كل مذنب

بمنجرد قيد الأوابد لاحه
طراد الهوادى كل شأو مغرب

يخوج لبانه يتم بريمه ** على نفث راق خشية العين مجلب

كميت كلون الأرجوان نشرته
لبيع الرداء في الصوان المكعب

---

(١) ديوان علقمة ص ٧٣ ، ٧٤
(٢) المرجع السابق ص ٨٨ إلى ٩٢ .

مركعقد الأندرى يزينه ∴ مع العتق خلق مفعم غير جأنب

له حرتان تعرف العتق فيهما

كسامعتى مذعورة وسط ربرب

وجوف هواء تحت متن كأنه ∴ من الهضبة الخلقاء زحلوق ملعب

قطاة ككردوس المحالة أشرفت

إلى سند مثل الغبيط المذأب

وغلب كأعناق الضباع مضيغها

سلام الشظى يغشى بها كل مركب

وسمر يفلقن الظراب كأنها

حجارة غيل وارسات بطحلب

إذا ما قتنصنا لم نخاتل بجنة

ولكن ننادى من بعيد ألا اركب

أخا ثقة لا يلعن الحى شخصه

صبورا على العلات غير مسبب

صورة عريضة الخطوط كثيرة الألوان متعددة الحركات . صورة تختلف كثيرا عن صورة فرس الحرب . يبدو الشاعر فيها وقد أمعن التفكير ودقق النظر ونقل كل كبيرة وصغيرة عن فرسه التى يخرج عليها يبغى صيدا ويبدو الفرق واضحا بين صورة فرس الحرب التى مرّ بها الشاعر مرورا سريعا فليس لديه وقت للتدقيق وإمعان النظر ، فهو فى غارة شعواء يحتاج فيها لكل دقيقة من وقته ويبخل بهذا الوقت أن يضيع فى تأمل فرسه .

وهذه الحالة هي عكس حالته مع فرس الصيد الذي يمتطيه ويمعن فيه النظر متأملا مدققا يحمل له كل إعجاب ، وحب ، وتقدير .

وإذا كانت الحياة بقسوتها قد فرضت على الشاعر أن يقتني مثل هـــذا الفرس وهذه الناقة التي مرّ الحديث عنها ، فحديث الشاعر المتكرر عنهما يحمل معاني اجتماعية وأخلاقية تربطه بحيوانه من حب ولذة يجدها الشاعر كلما أعاد ذكره مرات ومرات .

ومن خلال تصفحنا لشعر علقمة تطل علينا عادات اجتماعية منها ما زال يلقى قبولا بيننا حتى يومنا هذا . من هذه العادات تعليق التمائـــم والأحجبة في رقاب خيولهم خشية عين الحاسدين . إذن فالحسد موجـود منذ القدم ودليل ذلك نجده في القرآن الكريم إذ يقول الله سبحانه وتعالـى في سورة الفلق : " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ. مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، وَمِنْ شَرِّ غَاسِــقٍ إِذَا وَقَبَ. وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ".(1)

وعلقمة يذكر هذا كله فيقول :

بغوج لبانه يتم بريمــه ... على نفث راق خشية العين مجلب

ومن عاداتهم التي شاعت وانتشرت ، عادة التطير ، والعيافة ، ويحدثنا د . شوقي ضيف عن هذه العادات وأسبابها فيقول : " وهذه الضــروب جميعها من المعروفة ضروب أولية تقوم على التجربة الناقصة ، ولا تؤسس على قاعدة ولا على نظرية ، فهم في جمهورهم بَدْوٌ لَيْسُوا أصحابَ علـــم

(1) القرآن الكريم : سورة الفلق .
(2) ديوان علقمة ص 88

ولا نظر عقلى مؤسس على أسلوب علمى ولعله من أجل ذلك شاعت بينهم العيافة وهى التنبؤ بملاحظة حركات الطيور ، وقد اشتهرت بها بنـــو أسد ، وبنو لهب ، وكانوا يتيامنون بها ويتفاءلون إن جرت يمنة ، ويتشاءمون إن جرت يسرة ولهم فى الطيرة أحاديث كثيرة. (١)

لكن علقمة يبدو أكثر واقعية ومعالجة للأمور فيحارب مثل هذه العادات التى شاعت مدللا على أنّ كل ما يصيب المرء قد كتب له أو عليه ، يقـــول علقمة : (٢)

ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمـــــه
أنّى توجه والمحروم محـــــــروم

ومن تعرض للغربان يزجرهــــــا
على سلامته لابـــد مشـــــؤوم

والمجتمع الجاهلى والبيئة الجاهلية مجتمع الجدب وبيئة الحاجة الماسة إلى ماء السماء ولذا فإننا نرى علقمة فى قصيدة من قصائده يدعو لمحبوبته بأعظم دعاء آنذاك ذلكم الدعاء هو السقيا . يقول علقمة : (٣)

فلا تعدلى بينى وبين مغمــــــر
سقتك روايا المزن حين تصــــوب

سقاك يمانٍ ذو حبىٍّ وعـــــارضٌ
تروح به جنح العشىّ جنــــوبُ

---

(١) المرجع : العصر الجاهلى د . شوقى ضيف ص ٨٥

(٢) ديوان علقمة ص ٦٦ ، ٦٧ (٣) المرجع السابق ص ٣٤ .

وهذا كله من ملامح الحياة الاجتماعية فى ذلك الوقت . وكذلك نرى الحروب والمنازعات سمة من سمات الحياة الجاهلية ووصف الحروب يكثر فى شعر علقمة ، فهو يفخر حينا بشجاعته ، وضربه للأعداء ويمدح حينا آخر الحارث بن أبى شمر الغسانى مشيدا بقوته وشجاعته القتالية وجوده بنفسه التى لا يجاد بمثلها . يقول علقمة :[1]

وقد غدوت على قرنى يشيعنى
ماض أخو ثقة بالخير موسوم

وقد علوت قتود الرحل يسفعنى
يوم تجئ به الجوزاء مسموم

حام كأن أوار النار شامله
دون الثياب ورأس المرء معموم

فهذه الأبيات تصور حياة الجاهليين التى زخرت بالخلافات والحروب والقتال بين قبائلهم المتعددة — والأبيات تحمل فى ثناياها معانى جليلة عظيمة كالشجاعة والإقدام والجلد والتحمل يوم القتال .

ومن هذا المنطلق ولأن الشاعر يدرك تمام الإدراك ما لهذه المعانى من قيم عظيمة فإننا نراه يضفيها على ممدوحه ويتوسع فيها حتى يرضيه فلن يرضى واحدا كالحارث سوى مثل هذه الصفات فإن علقمة يصفه يوم " عين أباغ " ذلك اليوم الذى قتل فيه الحارث المنذر بن ماء السماء وأسر عددا غير قليل من جنوده ، وفيهم " شأس بن عبدة " أخو الشاعر ، وجماعة من بنى تميم يصف علقمة الحارث فيضفى عليه صفات طالما قدسها الجاهليون يقول علقمة[2]

(١) ديوان علقمة ص ٧١ ، ٧٣ . (٢) المرجع السابق ص ٤٣ إلى ٤٦ .

فوالله لولا فارس الجون منهـــــم
لآبوا خزايا والإياب حبيـــب
تقدمه حتى تغيب حجولــــــه
وأنت لبيض الدارعين ضـــروب
مظاهر سربالَيْ حديدٍ عليهمـــا
عقيلا سيوف مخذم ورســـوب
فجالدتهم حتى اتقوك بكبشهـــم
وقد حان من شمس النهار غـروب
وقاتل من غسان أهل حفاظهـــا
وهنبٌ وقـاسٌ جالدت وشَبيـــبُ
تَخَشْخَشُ أبدانُ الحديد عليهـــمُ
كما خشخشـــت يُبْسَ الحصاد جَنُوب
تجود بنفس لايجاد بمثلهـــا
وأنت بها يوم اللقاء تطيـــب

صفات ومعان لها قدسيتها فى مجتمع يعتمد على القوة والشجاعـة والصبر والجلد . ولا ينسى عقل علقمة وفكره أن يسجلا لنا عادة اجتماعية شاعت فى بيئة الجاهليين ألا وهى الوشايةَ ونقل الأخبار مشوهة مزيفـة يبغى بذلك الواشون أن تعم القطيعة والفرقة بين الأحبة . يقول علقمة مسجلا هذه العادة الاجتماعية الذميمة (1) :

إذا ألحم الواشون للشر بيننـــا
تبلَّغ رسُّ الحب غير المكـــذب

(1) ديوان علقمة ص ٨١ .

وهكذا فكلما زاد الواشون فى وشاياتهم كان ذلك أدعى لتثبيت الحب فى قلوب المحبين ولكن الوشاة لا يتسرب اليأس إلى نفوسهم بل تـزداد وشاياتهم حتى يتحقق آخر الأمر كل ما يودون . يقول علقمة :[1]

أطعت الوشاة والمشاة بصرمهـــا

فقد أنهجت حبالها للتقضـــب

وهكذا يتراءى لنا من خلال أشعار علقمة كثير من العادات الاجتماعية والقيم الأخلاقية التى شاعت بينهم وانتشرت انتشارا بدا واضحا فى أشعـار الجاهليين فكانت أشعارهم وثائق تاريخية واجتماعية سجلوا فيها كل ما عـنّ لهم فى حياتهم .

وكذلك نجد لدى علقمة من المعانى الدينية ما يدل على أنه قد عـرف الله وآمن به إلها واحدا لا شريك له . وقد سبق علقمة كثيرون من الشعراء ذكروا الله فى أشعارهم وآمنوا به وبأنه الرازق الذى لا يخيب من يسألـه فها هو ذا عبيد بن الأبرص يقول :[2]

من يسأل الناس يحرموه ∴ وسائل الله لا يخيب

بالله يدرك كل خير ∴ والقول فى بعضه تلغيب

---

(١) ديوان علقمة ص ٨٢ .

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص ، تحقيق د . حسين نصار ص ١٥ .

ويقول فى موضع آخر : (١)

حلفت بالله إن الله ذو نعم ❊ لمن يشاء وذو عفو وتصفـــاح

وها هوذا امرؤ القيس يذكر الله فى شعره على لسان محبوبته ، إذ يقول : (٢)

فجئت وقد نضّت لنوم ثيابها ∴ لدى الستر إلّا لبسة المتفضل

فقالت يمين الله مالك حيلـــــة

وما إن أرى عنك الغواية تنجلـــــى

وها هو ذا علقمة يقسم بالله قائلا : (٣)

فوالله لولا فارس الجون منهم ∴ لآبوا خزايا والإياب حبيـــب

يقصد أنه لولا الحارث بن أبى شمر بين جنوده فى ذلك اليوم لفروا ناجين من المعركة وفرارهم أحب إلى نفوسهم حتى لا يقعوا أسرى فى أيـــدى أعدائهم . وقد أثر علقمة ومن قبله من الشعراء فيمن جاء بعدهم فكثر ذكر لفظ الجلالة فى أشعار الجاهليين كثرة ملحوظة . فها هـو ذا زهير بن أبى سلمى ، يقول : (٤)

فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما فى نفوسكم ∴ ليخفى ومهما يُكتَم اللهُ يعلـــم

يؤخّر فيوضع فى كتاب فيدّخر ∴ ليوم الحساب أو يُعجّل فيُنقَم

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص ٣٨ .

(٢) مختار الشعر الجاهلى : مصطفى السقا جـ ١ ص ٢٦ .

(٣) ديوان علقمة ص ٤٣

(٤) شرح ديوان زهير بن أبى سلمى : صنعة الإمام أبى العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيبانى ثعلب . نسخة صورة عن طبعة دار الكتب ـ

وها هو ذا لبيد بن ربيعة العامرى " يقول : (١)

فاقنع بما قسم المليك فإنمـــــــا
قسم الخلائق بيننا علامهـــــــا

وهكذا نرى أن الجاهليين السابقين منهم واللاحقين قد عرفوا اللـــه وآمنوا به وأقسموا بغير أيمانهم إلا أنّ الدكتور شوقى ضيف ينقل عن جواد على قوله : " ويزعم بعض المستشرقين أن الرواة الإسلاميين هم الذين وضعـــوا لفظة الجلالة فى شعر الجاهليين بدلا من كلمة " اللات " التى تتفـق معها فى الوزن " (٢)

وإنْ كان لى كباحث وكمسلم أن أرد على هؤلاء المستشرقين الذين تقولوا على الرواة الإسلاميين بذلك . فسوف أرد عليهم بشعر شاعر جاهلى يقسم " باللات " ، والعزى " ويؤكد قسمة هذا " بالله " فإن الله سبحانـــه وتعالى فى رأيه أكبر من هؤلاء جميعا ذلكم الشاعر هو أوس بن حجر " الذى يقول : (٣)

وباللّات والعزى ومن دان دينَهـــــا
وباللّهِ إنّ اللهَ منهُنّ أكبـــــرُ

وها هو ذا القرآن الكريم يذكر أن الجاهليين قد عرفوا الله وما اتخذوا

ـ ١٣٦٣ هـ/١٩٤٤م الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة ـ بيروت ـ الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٤ ص ١٨ .

(١) شرح القصائد التسع المشهورات . صنعة أبى جعفر أحمد بن محمد النحاس تحقيق أحمد خطاب وزارة الاعلام بالعراق ١٩٧٣ جـ ١ ص ٤٤٤ .
(٢) العصر الجاهلى : د . شوقى ضيف ص ١٠٢ .
(٣) كتاب الأصنام : لابن الكلبى ص ١٧ .

هذه الآلهة إلا لتقربهم إلى الله ، ولتشفع لهم عنده سبحانه ، يقول سبحانه وتعالى على لسان هؤلاء : ("وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى" (١)

وهكذا نجد شعر علقمة بن عبدة وثيقة تاريخية واجتماعية تظهر فيها كل عادات الجاهليين الاجتماعية ، والأخلاقية ، والدينية . ومن هنا يبدو إلى أي مدى ارتبط هذا الشاعر بمجتمعه وبيئته فسجل في معانيه وأفكاره كل ما وقعت عليه عينه في الطبيعة من صامت ومتحرك ويحدثنا د . الطاهر أحمد مكي عن الطبيعة الصامتة هذه فيقول : " تعني الطبيعة الصامتة ظواهر الصحراء وما ينتظمها من السماء والأفلاك ، والنجوم والكواكب والسحب والأمطار والرعد والبرق ، والليل والنهار . وقد كان حظ بلاد العرب منها وافرا ومتلونا كالسماء صافية آنا وتلفها السحب آونة ، غزيرة المياه حينا جارفة المطر أحيانا ، وفيها الصحاري والرياض والجبال والأودية والوهاد والنجاد والرياح العواتي والنسيم الرقيق " (٢)

لقد جمعت معاني علقمة وأفكاره كل ما أحاط به فتحدث عن الصحراء ومخاطرها وتحدث عن الناقة والفرس وتحدث عن العادات الحسنة والذميمة في المجتمع الجاهلي من جود ونجدة ومروءة ، وحلم . يقابلها بخل وخسة وجهل ووشاية وحسد . كل هذا قد تحدثت عنه مفصلا فيه عند حديثي عن معاني علقمة وأفكاره . والآن أتناول بالحديث الصور البيانية عند علقمة .

---

(١) القرآن الكريم : سورة الزمر آية (٣)

(٢) امرؤ القيس : د . الطاهر أحمد المكي ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٤م ص ٣٣٢ .

ثالثا : الصور البيانية وألوان البديع :

استعان الشعراء الجاهليون جميعهم بطائفة من الصور البيانية ، يعبرون بها عن معانيهم ليصوروها ، ويضفوا عليها الجمال والحسن ليستطيعوا بذلك أن يؤثروا في سامعيهم ويقربوا المعاني إلى أذهان هؤلاء السامعين والقارئين .

وعلقمة كواحد من هؤلاء قد استعمل معظم ألوان البيان التي نعرفها الآن وكان استعماله لها طبيعيا لا تكلف فيه ولا غموض فما كان من همه الإتيان بتشبيه ، أو استعارة أو كناية ، وإنما كان همه الأول والأخير أن ينقل إلى قارئه ، وسامعه ما يعتمل في نفسه وما يجول بخاطره ليطمئن آخر الأمر إلى أن سامعه قد أصبح على دراية بتجاربه كما لو كان يرى ويسمع ويحس . والحق أن أدوات البيان التي استخدمها علقمة كانت كلها طيعة في يده ، والمتصفح لديوان الشاعر يجد أن عمدة الصور البيانية كلها عنده هو التشبيه ، ولا غرو في ذلك . فالتشبيه أقرب الألوان البيانية إلى الفطرة الإنسانية بل هو أقدرها على التجسيم والتصوير ومن الممكن إدراكه بسهولة ويسر .

وإذا ما تتبع الباحث تشبيهات علقمة وجدها قد زادت زيادة

ملحوظة . فهو يشبه محبوبته فى أكثر من موضع إما بغزال شادن ترى فى البيوت ، وتعهدت بتربيته جوار أعجبن به و لازمنه وإما يشبهها بظبية مغزل ترعى الأعشاب وقد مدت عنقها إلى الأمام وذلك أتم لحسنها . وإما يشبهها فى جمال عينها بمهاة جميلة عيناها .

يقول علقمة فى معرض وصف محبوبته :(1)

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة
كأنها رشأ فى البيت ملزوم

و يقول عنها مرة أخرى :(2)

مبتلة كأن أنضاء حليها
على شادن من صاحة متربب

و يقول واصفا لها وقد زجرها طالبا منها أن تهجره بعد أن رأى تثاقلها عليه و تدللها ذلك التدلل الذى لم تطقه نفسه :(3)

فقلت لها فيئى فما تستفزنى
ذوات العيون والبنان المخصب

ففاءت كما فاءت من الأدم مغزل
ببيشة ترعى فى أراك و حلّب

و يصف علقمة عينى محبوبته و جيدها فيشبه عينيها بعينى مهاة و جيدها بجيد غزال فيقول فى ذلك :(4)

---

(1) ديوان علقمة صـ ٥٦ (2) المرجع السابق صـ ٨٠
(3) المرجع السابق صـ ٨٣ ، ٨٤ (4) المرجع السابق صـ ١٠٥

تـــراءت وأســتار من البيت دونها
إلينـــا وحانــت غفلة المتفقـــد
بعـينَيْ مهاةٍ يَحْدُرُ الدمـع منهمـا
بريمـــين شَــتَّى من دموع وإثمـــد
وجيد غـزال شــادن فردت لــه
من الحلــى سِمْطَىْ لؤلـؤ وزبرجد

وعلقمة في موضع آخر يصف محبوبته في صورة أكثر جمالا وقوة إذا يقـــول :(١)

كأنَّ ابنـــةَ الزيْـدِيِّ يـوم لقيتهـا
هَنِيدَةَ مكحـولُ المدامـعِ مُرشِقُ
تُـراعـى خَذولا ينفـض المرد شَادِنًا
تنـوش من الضَّالِ القِـذافَ وتَعلَقُ

وكما صـور علقمة محبوبته كما رأينا صوَّر كذلك أحب شيء إلى قلبه ، صور ناقته وفرسه فعليهما يعتمد الاعتماد كله في حياتــــه في أحضان هذه البادية . فناقته هي سفينته ، وهي معاونـــه على السفر والتنقل والترحال . ومنها جل فـوائده ، ومنافعـه من غذاء وكساء . فكيف لا تحظى إذن بحبه وتقديره ؟

شــبه علقمة ناقتـــة بالبقـرة الوحشيـــة المذعـــورة :(٢)

---
(١) ديوان علقمة صـ ١٢٧ (٢) المرجع السابق صـ ٣٨

وتصبح عن غب السُّرى وكأنها
مولعة تخشى القنيص شبوبُ

فهى تخشى الصائد الكامن لها يبغى حياتها ٠ وعلقمة يخص "الشبوب" وهى المسنة ٠ ولا يخفى علينا لماذا خصَّها بالذات ٠ لأنها بطبيعة الحال أحذر من غيرها لطول تجربتها فى الحياة ٠

وعلقمة إذا ما شبه سنام ناقته يشبهه بموقد الحداد الذى يبنيه ، وينفخ فيه فتحمى ناره وتشتعل :[1]

قد عريت حقبة حتى استطف لها
كتر كحافة كير القين ملموم

وليوضح علقمة قوة ناقته وشدتها يشبهها بالصخرة التى تكون فى الماء الكثير فذلك مما يوفر لها الصلابة والشدة ٠ يقول علقمة :[2]

هل تلحقنى بأولى القوم إذ شحطوا
جلذية كأتان الضحل علكوم

ويرسم علقمة صورة لناقته يجسد فيها جَلَدَها وقوة تحملها

(١) المرجع السابق ص ٥٤ (٢) المرجع السابق ص ٥٧

وضمورها من كثرة أسفارها و يشبه فيها عينيها بمرآة المرأة الصائعة و ذلك لصفاء عينها ، و يشبه ذنبها فى كثرة فروعه و غزارة شعرة بعناقيد النخل المرطبة . و يشبه تحريكها لذنبها تذب به بذب البشير بالرداء المهدب . يقول علقمة فى هذه الصورة المركبة :[1]

فإنك لم تقطع لبانة عاشق
بمثل بكور أرواح مُـوَّوبِ

بمجفرة الجنبين حرفٍ شِمِلَّةٍ
كَهَمِّكَ مِرقالٍ على الأَيْنِ ذِعْلِبِ

إذا ما ضربت الدف أُصلت صولة
ترقب منِّى غير أدنى ترقب

بعين كمرآة الصناع تديرها
لمحجرها من النصيف المنقب

كأن بحاذيها إذا ما تشذرت
عثاكيل عذق من سميحة مرطب

تذب به طورًا و طورا تُمِرُّه
كذب البشير بالرداء المهدب

وإنها لصورة تنبئ عن أصالة هذه الناقة و قوة تحملها وشدتها و جلدها وعتقها وعلقمة حريص إذا ما وصف ناقته أن يلزمها صفة

(1) ديوان علقمة من ص ٨٥ الى ٨٧

الضمور ، فالناقة الضامرة أشد من غيرها و أقدر على تحمل الأعباء في السفر والترحال . يقول علقمة واصفا ناقته بعد ما أفنى لحمها طول السير والجد فيه :[1]

و رفعت راحلة كأن ضلوعها
من نصر راكبها سقائف عرعر

و في هذا المعنى نفسه يقول علقمة مشبها عيون نوق براها و رفاقه من كثرة السفر حتى جفت عيونها ـ يشبه علقمة هذه العيون بقوارير طيب جف فيها الطيب فيقول في ذلك :

وعيس بريناها كأن عيونها
قوارير في أدهانهن نضوب

و يستمر هذا الشاعر المحب لناقته سائرا فيما سار فيه من وصف ناقته بالنحافة والضمور فيشبهها في صورة أخرى بغمد السيف الفارسي و يشبه ذراعيها بذراعيْ رجل شمّر ذراعيه ليستقي من بئر و قد بدا عليه الكلال و الضعف والفتور . يقول علقمة :[2]

و قد أقطع الخرق المخوف به الردى
بعنس كجفن الفارسي المسرد

---

(١) المرجع السابق صـ ١٠٨
(٢) المرجع السابق صـ ١١٧
(٣) المرجع السابق صـ ١٢٢

كأن ذراعيها على الخـل بعد ما
ونـين ذراعـا ماتـح متجـرد

وإنها لصورة تحيل لنا كل ما يحس به الشاعر نحو ناقته مـن إشفاق عليها وحزن لما أصابها . يظهر لنا ذلك الحزن الذى يعتصر قلب الشاعر من خلال ألفاظه التى ساقها متحدثا بها عـن ناقته تلك .

وفوق كل ماتقدم فإن لعلقمة صورة انفرد بها عن سائر شعـراء الجاهلية تأنق فيها وأجاد ، وتعددت ألوانها ، وزادت ، خطوطها ، وكثرت الحركة فيها . هذه الصورة هى الصورة الـتى رسمها علقمة لناقته فشبهها فيها بذكر النعام الذى يرعى الشـرى والتنوم ثم فجأة يتذكر عشـا وبيضات يحويها ذلك العـش وزوجـة وَقَيّةً تحتضن ذلك البيض ، فيسرع بما آتاه الله من قـوة ويهيجه المطر والريح الشديدة فينطلق فى سرعة خاطفة ليصـل إلى أفراخ صغار ضعاف قبل غروب شمس ذلك اليوم . وتلقاه أنثاه بفرحة وبهجة غامرتـين مرددة من الأنغام ما يدل على عظـيم فرحتهـا وجميل بهجتها بقدوم ذكـرها إليها وإلى أفراخهـا الصغار . يقول علقمة فى هذه الصورة :(١)

---
(١) ديوان علقمة من صـ ٥٨ الى صـ ٦٣ .

كأنها خاضب زعر قوائمه ∴ أجنى لها باللوى شرى وتنوم

يظل فى الحنظل الخطبان ينقفه
وما استطف من التنوم مخذوم

فوه كشق العصا لأيا تبينه ∴ أسك ما يسمع الأصوات مصلوم

حتى تذكر بيضات وهيجه ∴ يوم رذاذ عليه الريح مغيوم

فلا تزيدة فى مشيه نفق ∴ ولا الزفيف دوين الشد مسؤوم

يكاد منسمه يختل مقلته ∴ كأنه حاذر للنخس مشهوم

يأوى إلى خرق زعر قواد مها ∴ كأنهن إذا بركن جرثوم

وضاعة كعصى الشرع جؤجؤه ∴ كأنه بتناهى الروض علجوم

حتى تلافى وقرن الشمس مرتفع
أدحى عرسين فيه البيض مركوم

يوحى إليها بإنقاض ونقنقة ∴ كما تراطن فى أفدانها الروم

صعل كأن جناحيه وجؤجؤه
بيت أطافت به خرقاء مهجوم

تحفه هقلة سطعاء خاضعة
تجيبه بزمار فيه ترنيم

• صورة حافلة بالحركة واللون والصوت صورة طويلة كاملة زاخرة بحرارة العاطفة وسعادة اللقاء • يظهر فيها علقمه أطول باعا من غيره وهكذا اعترف له بذلك القدماء فها هو ذا ابن الأعرابى يقول : (ما من أحد

وصف نعامة إلا واحتاج إلى علقمة بن عبدة) (١)

ومن خلال هذه الصورة يستنبط د . محمد النويهى : " أن لدى علقمة معرفة بأحوال الحيوان الوحشى فى الصحراء ودقائق حياته ، لا يمكن أن تنجم إلا عن خبرة طويلة ومراقبة متكررة ، ودراسة مشغوفة صابرة لهذا الحيوان فى مختلف مراحل حياته وأحداث معيشته . وكذلك يستنبط الدكتور/ النويهى " أن مقدرة هذا الشاعر لا تقتصر على التسجيل الدقيق لحقائق الطبيعة وإلا لكان عالما ولم يكن شاعرا " ويستنبط الأستاذ الباحث إلى جانب ذلك كله " مقدرته الفائقة على أن يصور لنا بألفاظه دقائق الصور المنقولة ، وأن يحمل إلينا بهذه الألفاظ ظلال عواطفه المرهفة فهو يضع لنا فى لوحته اللفظية التفاصيل الحسية الدقيقة ، والحركة النشيطة ، والأصوات الناطقة ويصوغ إيقاعه ونغمه بحيث يثير فينا نظير انفعالاته " (٢)

ومن خلال حديث الدكتور النويهى يظهر لنا علم علقمة ومعرفته للنعام ذلك الحيوان الذى تعاطف معه الشاعر تعاطفا نفسيا وطالما شغل هذا الحيوان عقل القدامى والمحدثين . فكتبوا عنه وحدثوا عن صفاته فها هو ذا الدميرى فى " حياة الحيوان الكبرى " يحدثنا عن النعام فيقول : "النعام اسم جنس مذكر يؤنث كقولنا حمام ، وحمامة ، ويقال للذكر " الهيق " ، بفتح الهاء وسكون الياء وقد تزاد إليه الميم فيكون " الهيقم " ويسمى الظليم كذلك " (٣)

(١) الشعر الجاهلى ـ منهج فى دراسته وتقويمه د . محمد النويهى جـ١ صـ٣٧٨
(٢) المرجع السابق جـ ١ صـ ٣٧٩ ، ٣٨٠ .
(٣) حياة الحيوان الكبرى : للدميرى بالاوفست . نسخة للمطبعة الخيرية ١٣٠٩هـ بيروت جـ ٢/صـ ٣١٠ ـ ٣٤٠ .

ويذكر الدميرى عجيبة من أعاجيب النعام فيقول : " ومن أعاجيب النعامة أنها تضع بيضها طولا بحيث لو سد عليه خيط لا شتمل على قدر بيضها ولم نجد لشئ منه خروجا عن الآخر " (١)

وعن خلقته يحدثنا القلقشندى فى " صبح الأعشى " فيقول : النعامة حيوان مركب من خلقة الطير والجمل ، أخذ من البعير العنق والوظيف والمنسم وأخذ من الطير المنقار ، والجناح ، والريش " . (٢)

ولعل " القلقشندى " يتفق فى رأيه السابق مع النويرى الذى ذكر ذلك وأفاض فيه فقال " والنعامة تسمى بالفارسية " اشترمرغ " ومعنى " اشتر " جمل ، ومعنى " مرغ " طائر . فكأنهم قالوا " جمل طائر " ومن أعاجيبها أنها تضع بيضها عند الحضان تحضن أربعين بيضة أو ثلاثين ، وتخرج لطلب الطعام فتمر فى طريقها ببيض نعامة أخرى فتحضنه وتنسى بيضها . قال ابن هرمة :

فإنى وتركى ندى الأكرمين ∴ وقدحى بكفى زنادا شحاحا

كتاركة بيضها بالعراء ∴ وملبسة بيض أخرى جناحا (٣)

ونظرا لسرعتها يبدو لنا السر فى وصف الجاهليين لنياقهم وتشبيهها بالظليم حيث إن الظليم معروف بالسرعة حتى إن الخيل لتعجز عن إدراكه

---

(١) حياة الحيوان الكبرى : للدميرى ج ٢ ص ٣١١ .

(٢) صبح الأعشى : للقلقشندى . طبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩١٣ ج ٢ ص ٦٩ .

(٣) نهاية الأرب للنويرى السفر التاسع ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ وكذلك شعر ابراهيم بن هرمة القرشى - تحقيق محمد نفاخ ، وحسين عطوان دمشق ١٩٦٩ ص ٨٧ .

وكثيرون غير علقمة قد شبهوا نياقهم بالظليم . فها هوذا " الحارث بن حلزة " اليشكرى يشبه ناقته السريعة بنعامة لها ولد ، تنتقل به فى أرض بعيدة الأطراف حتى أحست بالقناص فانطلقت مسرعة يقول فى ذلك : (١)

بزفوف كأنها هقلـــة .:. أم رئـــال دوية سقفـــاء

آنست نبأة وأفزعها القناص عصـــرا وقد دنا الإمســـاء

وإن كان القدماء قد تحدثوا عن النعام ، فمن المحدثين من تعرض للنعام بالبحث والتنقيب . يقول د . أحمد الحوفى : " عاش النعام فى بلاد العرب زمنا طويلا ، وعرفوا من أوصافه شيئا كثيرا ، وتبين فى أعمالهم وفى شعرهم ، وأمثالهم ، فقد روى عن الصعاليك أنهم كانوا ذوى دراية بالدروب والمسالك التى لا يهتدى إليها غيرهم . وأنهم كانوا يعرفون مواطن الماء التى لا يعرفها سواهم . وكانوا يختزنونه فى بيض النعام ، ليستقوا منه إذا ما بعد عنهم الماء . وجاء فى أمثالهم قديما " اطرق كرا إن النعامة فى القرى " يضربونه للمعجب المغتر حيث يوجد من هو أعظم منه وأنفع ، وفى هذا المثل دلالة على كثرة النعام ، ووجوده بالقرى ، وهم قد ضربوا المثل فى خرق الرأى وفساد العمل ، وإيثار البعيد على القريب ، والستغنى عن المحتاج بالنعامة تهجر بيضها وتتركه فى العراء وتذهب لتحضن بيض نعامة أخرى . ثم يورد الدكتور الحوفى قول علقمة وهو يصف ناقته حين شبهها بالظليم " . (٢)

---

(١) شرح المعلقات السبع : لأبى عبد الله الحسن بن احمد بن الحسين الزوزنى - المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١م ص ١٢٥ .

(٢) أغانى الطبيعة فى الشعر الجاهلى : د . أحمد محمد الحوفى مكتبة نهضة مصر بالفجالة ١٩٥٨ ميلادية ص ١٠٨ .

فبالظليم صور علقمة ناقته تصويرا امتاز بالأناة ، والتأمل ، وزخر بالحركة والصوت واللون والعاطفة ، وتميز بالعمق إلى جانب البساطة ، والسهولة واليسر ، وأضفى عليه شيئا غير يسير من نفسيته ووجدانه .

وللدكتور سيد نوفل فى صورة علقمة تلك رأى أعمل الرجل فيه فكره ووجدانه وآراء يفرض نفسه على من يبحث فى شعر علقمة أن يذكر ذلك الرأى . يقول د . سيد نوفل : " ويبدو أن الظليم عنده – يعنى علقمه – هو العريس فى صورة طائر بري ، فإذا تذكر داعى النجدة ترك المكان الخصيب وسار لا يلوى على شيء إلا حماية العشيرة وحياته مع أسرته إنسانية خالصة بل إنسانية مهذبة فيها أحاديث وقوة وضعف من الرجل ونغمات وعذوبة من المرأة مع تحيات للقادم ، وترفيه عنه . وإذا كانت فى مظهرها حياة ساذجة ، فهى فى حقيقتها كحياة الروم فى القصور العالية . وهذا اللون من الوصف للظليم يعتبر فريدا فى هذا الدور ، وروحه تهب فى الواقع من ميدان عقلى فسيح ، ومعنى الإنسانية فيه أظهر ، لا يبدو من وراء الحجب وإنما يبدو متجردا صريحا وصفة القص فيه أقوى وأتم " . (1)

فإن كانت الناقة قد شغلت عقل وفكر هذا الشاعر إلى هذا الحد فهذا لما لها من قيمة اجتماعية أحسّ بها البدوى منذ ولادته وحتى آخر يوم له فى الحياة . فهى المعطاة بلا حدود ، وهى المعوان ، وهى الطيعة الوفية التى لا تتأبى عليه ، ولا ترفض له رغبة ، ولا تقصر عن غاية أو هدف .

---

(1) شعر الطبيعة فى الأدب العربى د . سيد نوفل ص ٥٤ .

وكما شبه علقمه ناقته بأشياء كثيرة كما مر بنا ، كذلك شبه فرسه ورسم له صورا مختلفة توضح عتقه " وأصالته " يقول علقمة عن فرسه : (١)

وقد أقود أمام الحي سلهبة
يهدى بها نسب فى الحى معلوم
لافى شظاها ولا أرساغها عنت
ولا السنابك أفناهن تقليم
سلاءة كعصا النهدى غل بها
ذو فيئة من نوى قران معجوم

فعلقمة فى هذه الأبيات يشبه فرسه فى دقة صدرها وعظم عجزها بشوكة النخلة وشبهها أيضا بعصا الرجل النهدى (ونهد من نجد) وعيدان نجد أصلب العيدان وأعتقها .

وهذه الفرس التى وصفها علقمة هى فرس الحرب إذ جاءت هذه الأبيات مباشرة بعد أبيات وصف فيها علقمة قوته ، وهجومه على أعدائه ، وصبره يوم القتال .

أما فرس : " فرس الصيد " إذ ما وصفها علقمة فإنه يقف عندها طويلا يحلل جزئياتها ويشبهها بتشبيهات كثيرة ملحوظة ومن الملاحظ عنه أن فرس الحرب يتحدث عنها بضمير المؤنث ، أما فرس الصيد فيتحدث عنه بضمير المذكر . يقول علقمة عند حديثه عن فرس الصيد : (٢)

---

(١) ديوان علقمة ص ٧٣ ، ٧٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٨٨ الى ٩١ .

كميت كلون الأرجوان نشرتـــه
لبيع الرداء فى الصوان المكعب
مسر كعقد الاندرى يزينـــه
مع العتق خلق مفعم غير جأنب
له حرتان تعـرف العتق فيهمـا
كسامعتى مذعورة وسـط ربـرب
وجوف هواء تحت متن كأنـه
من الهضبة الخلقاء زحلوق ملعب
قطاة ككردوس المحالة أشرفـت
إلى سند مثل الغبيط المذأب
وغلب كأعناق الضباع مضيغهـا
سلام الشظى يغشى بها كل مركب
وسمر يفلقن الظراب كأنهـا
حجارة غيل وارسات بطحلب

ومن الملاحظ فى هذه الابيات أنه لم يخل بيت واحد منها من التشبيه فقد شبه علقمة لون فرسه بالأرجوان " وهذا الفرس الشديد كأنه حبل مضفور من جلود الأندرين وشبه أذنيه باذنى بقرة مذعورة وظهره أملس كأنه زحلوق ملعب فوق هضبة ضخمة ، وموضع الردف من مؤخره ككردوس البعير ، كذلك شبه علقمة قوائم فرسه الغلاظ الشداد بأعناق الضباع ، ثم شبه حوافره فوصفها بالصلابة والشدة وإنها تحطم ما تلمس الحجارة فهى فى شدتها كأنها حجرة وسط ماء جار تزداد صلابتها يوما بعد يوم .

وهكذا كان الشاعر دقيقا فى تشبيهاته لأجزاء جسد جواده . وكثرت التشبيهات عنده كثرة ملحوظة ، وكلها جاءت لتقرب إلى الأذهان صورة ذلك الجواد .

وكما كثر تشبيه طرفة لناقته وفرسه فقد شبه أشياء كثيرة أخرى يقول طرفة فى وصف بعض الشياه : (١)

رأينا شياها يرتعين خميلة
كمشى العذارى فى الملاء المهدّب

فهو يشبه بقر الوحش بالعذارى فى الملاء ذى الهدب لحسن مشيتهن وسبوغ أذيالهن . وها هو ذا يشبه بقر الوحش مرة أخرى بالجمان فيقول : (٢)

فبينا تمارينا وعقد عذاره
خرجن علينا كالجمان المثقب

أى خرجت هذه الشياه منتظمة متتابعة كأنها الجمان المنظوم .

عندما جلس الشاعر وصحبه يأكلون من صيدهم وأراد طرفة أن يصف ذلك استخدم التشبيه ليوضح الصورة ويكشفها فقال : (٣)

فظل الأكف يختلفن بحانذ
إلى جؤجؤ مثل المداك المخضب

---

(١) ديوان طرفة ص ٩٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٩٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٩٧ .

كأن عيون الوحش حول خبائنـــــا
وأرحلنـــا الجزع الذى لم يثقــــب

فهو يشبه الوحش المشوى النضيج مع ما عليه من الآسم بالمداك وهــــى الصخرة التى يسحق عليها الطيب • وشبه عيون الوحش بالخرز لما فيه من البياض والسواد •

واستخدم علقمة إلى جانب هذا كله التشبيه وهو يصف إبريق الشـــرب الذين يصبون كئوس الخمر المترعة فقال :

كأنّ إبريقهم ظبيٌ على شـــرف
مفدم بسبا الكتان ملثــــوم

وكما وضح من خلال ما سبق استخدام علقمة للتشبيه وكثرة التشبيه عنـــده نراه يستخدم صورا بيانية أخرى غير التشبيه •

فالكناية مثلا يستخدمها علقمة بكثرة أيضا يقول علقمة واصفا محبوبته [1] :

منعمة لا يستطاع كلامهــــــــا
على بابها من أنّ تزار رقيـــــب

فكنّى هنا عن احتجابها وخوف أهلها عليها بقوله " لا يستطاع كلامها " وقولــه " على بابها من أن تزار رقيب " وفى هذا المعنى يقول أيضا : [2]

تراءت وأستار من البيــت دونهــا
إلينا وحانت غفلــة المتفقــــد

---

(١) ديوان علقمة ص ٣٣•
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥

وحين أراد علقمة أن يصف شجاعة الحارث بن أبي شمر الغساني قال : (١)

فجالدتهم حتى اتقوك بكبشهم
وقد حان من شمس النهار غروب

فهذه كناية عن شدة الحارث على أعدائه ويأسهم من النصر وتحققهم بالهزيمة وقوله " وقد حان من شمس النهار غروب " كناية عن قصر وقت القتال ودلالة على عدم تكافؤ القوتين .

ويقول علقمة مخاطبا الحارث بن أبي شمر : (٢)

تجود بنفس لا يجاد بمثلها
وأنت بها يوم اللقاء تطيب

وهذا كناية عن إيمان الحارث المطلق بهدفه ، وحبه لشرف القتال والموت في سبيل هذا الشرف . يقول علقمة في موضع آخر للحارث أيضا : (٣)

وفي كل حي قد خبطت بنعمة
فحق لشأس من نداك ذنوب

كناية عن اشتهاره بالكرم والعفو حتى طبقت شهرته الآفاق ، وكذلك يقول علقمة (٤)

فلا تحرمني نائلا عن جنابة
فإني امرؤ وسط القباب غريب

---

(١) ديوان علقمة ص ٤٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٦ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٨ .
(٤) المرجع السابق ص ٤٨ .

فقوله " إنى امرؤ غريب " كناية عن ضعفه أمام ذلك الممدوح الذى لن يرده خائبا ورجل فى غير دياره وديار ذويه أنى له القوة والمنعة " ويقول علقمة واصفا ناقته : (١)

تلاحظ السوط شزرا وهى ضامرة
كما توجس طاوى الكشح موشوم

يقول د . أحمد الحوفى عن هذا البيت : "فهو يصفها بالسرعة ويكنى عن هذا بأنها تجرى مخافة أن ينزل بها سوط كما يجرى غزال خوفا من صائدة " (٢)

ويقول علقمة مستخدما الكناية فى صورة من أجمل صوره وذلك عندما يريد التعبير عن وقت البكور : (٣)

أوردتها وصدور العيس مسنفة
والليل بالكوكب الدرى منحور

يقول الدكتور / نجيب البهبيتى عن هذا التصوير : " ولا شئ يبلغ من الروعة ومن الدلالة على الإحساس بجمال الصبح من تلك اللمحة الخاطفة يلقيها علقمة بن عبدة فى معرض الحديث عن إبله يوردها حين يقول :
" أوردتها وصدور العيس مسنفة .... الخ " (٤)

---

(١) ديوان علقمة ص ٥٧ .
(٢) أغانى الطبيعة فى الشعر الجاهلى : د . احمد محمد الحوفى ص ١٦٥ .
(٣) ديوان علقمة ص ١١٣ .
(٤) تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى د . نجيب البهبيتى ص ٦٨ ، ٦٩ .

ويقول الدكتور/ البهبيتى عن هذا البيت أيضا فى موضع آخر: " وعلقمة ابن عبدة " إذ أراد الدلالة على الصبح عند أول طلوعه قال :

أوردتها وصدور العيس مسنفة
والليل بالكوكب الدرى منحور

والسنف : ثياب توضع فى العادة على كتفى البعير، وبرد الصبح من أشد البرد فى الصحراء ولذلك تغطى صدور الإبل عند مقترب طلوع الصبح ، وقاية لها منه ، فلما أراد علقمة أن يعبر عن ذلك الوقت من الصبح دل عليه بلازم لازمه ، فذكر الإسناف ليفهم البرد ، فإذا فهم البرد اتجه معه الخاطر إلى الصبح ، ولم يقف عند هذا الوجه من الدلالة فزاد عليه : " والليل بالكوكب الدرى منحور " والكوكب الدرى : هو الزهرة ، والزهرة : تسمى فيما تسمى به " كوكب الصبح " وفى هذه الصورة ما فيها من جمال يزيد مذكر الكوكب الدرى ثم تشبيهه إياه بالسيف ينحر به الليل وإنما ينحر الحيوان . فاجتمع له بذلك فى البيت من وجوه الصناعة البيانية مع الجمال والوفاء ، ما تتقطع دونه الرقاب" (١)

كذلك كانت الكناية عند علقمة . كثيرة متعددة الأمثلة .

وإلى جانب الكناية ومن قبلها التشبيه فقد كان للاستعارة نصيبها عند علقمة . فها هو ذا يدعو لمحبوبته بالسقيا مستخدما الاستعارة المكنية حيث يقول : (٢)

(١) تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى د . نجيب البهبيتى صـ ٨٢ .
(٢) ديوان علقمة ص ٣٤ .

فلا تعدلي بيني وبين مغمـــــر

سقتك روايا المزن حين تصـــوب

سقاك يمان ذو حبي وعـــارض

تروح به جنح العشي جنـــوب

فاستعار للروايا وللمطر والسحاب اليماني صفة السقيا وهي للإنسان ٠

وكذلك يستخدم علقمة الاستعارة عند حديثه عن ناقته التي أهلكها بكثرة أسفاره حيث يقول : (١)

وناجية أفنى ركيب ضلوعهـــا

وحاركها تهجر فـــدءوب

ففي قوله : " أفنى ركيب ضلوعها التهجر " استعارة مكنية ٠ ولعلقمة استعارة جميلة في قوله وهو في معرض إلقاء حكمته عندما يقول : (٢)

والجود نافية للمال مهلكـــة

والبخل مبـــق لأهليه ومذمـــوم

فاستعار للجود صفة إضاعة المال وإهلاكه ، واستعار للبخل صفة الحفـــاظ على هذا المال وهاتان الصفتان مما يتصف بهما الإنسان ٠

وكذلك يقول علقمة : (٣)

والحمد لا يشترى إلا له ثمـــن

مما تضن به النفوس معلـــوم

---

(١) ديوان علقمة صـ ٣٧ ٠

(٢) المرجع السابق صـ ٢٤ ٠

(٣) المرجع السابق صـ ٦٥ ٠

تجسد الحمد وهو شئ معنوى وجعل له ثمنا يشرى به . وكذلك استعار علقمة صفة النحر لليل وهى للحيوان فى قوله :(١)

أوردتها وصدور العيس مسنفة
والليل بالكوكب الدرى منحور

وما قلته عن الكناية أقوله عن الاستعارة من أنها كثيرة متعددة .

وما قدمته من أمثلة منها تكفى للدلالة على أن علقمة قد استخدم معظم ألوان البيان فى أشعاره فكثر التشبيه عنده كثرة ملحوظة رغم قلة شعره المنسوب إليه ، وجاءت الكناية وكذلك الاستعارة كثيرتين فى أشعاره على أن الذى أود أن أثبته هنا هو أن التصوير عند علقمة جاء كله منتزعا من البيئة العربية التى عاش الشاعر فى أكنافها ، تقع عينه كل آن على دقائقها وعظائمها فالشاعر يعتمد فى تصويره على مشاهده الملموسة ولم نر عند الشاعر صورة مغرقة أو موغلة فى الخيال ، بل كلها صور لا تحتاج فى فهمها إلى إعمال فكر أو قدح ذهن . بل يتضح المراد منها بعد قراءتها أو الاستماع إليها .

والتصوير بعامة أيا كان شكله إنما يقوم على العلاقة بين الشاعر وبين الواقع الخارجى ويؤدى كل من التشبيه والكناية والاستعارة دوره إذا ما جاء وثيق الصلة بالواقع الذى يعيشه الشاعر وقبله ذوق القارئ والسامع ، أما إذا لم يكن وثيق الصلة بواقع الشاعر وجاء وقد أصابه خلل ما فلم يستمد من نبع الحياة كان تصويرا رديئا .

---

(١) ديوان علقمة صـ ١١٣ .

ولم أقع عند علقمة على تصوير لم يستقده الشاعر من البيئة ، كما أخـــذ النقاد مثلا على كثيرين من الشعراء عدم واقعية تشبيهاتهم ، يقول ابن رشيـــق: " وقد عاب الأصمعي بين يدي الرشيد قول النابغة :

نظرت إليك بحاجة لم تقضهـــــــا
نظر السقيم إلى وجوه العُـــــوَّدِ (١)

ولم يعيبوا على علقمة سوى قوله :

كأن إبريقهم ظبي على شـــــــــرف
مفدم بسبا الكتان ملثـــــــوم

والعيب في هذا البيت ليس في التشبيه بل العيب في أنه جاء " بسبـــا " محذوفة منها بقية حروفها ، وهذا ما يسمونه " التثليم " .

يذكر المرزباني في عيوب الشعر ذلك " التثليم " إذ يقول : ومنها — أي العيوب — " التثليم " وهو أن يأتي الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض فيضطر إلى ثلمها ، والنقص منها . قال علقمة بن عبدة :

كأن إبريقهم ظبي على شرف .. مفدم بسبا الكتان ملثـــــوم
أراد : " بسبائب الكتان " فحذف للعروض " (٢)

وكما أخذ الأصمعي على النابغة تشبيه محبوبته بالسقيم فقد أخذ العسكري على ابن المعتز رداءة تشبيه إذ يقول في كتابه الصناعتين : " ومن ردئ

---

(١) العمدة : لابن رشيق جـ ١ ص ٣٠١ .
(٢) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء : لأبي عبد الله محمد بن عمـــران المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) عنيت بنشره جمعية نشر الكتب العربيــــة بالقاهرة المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٤٣ هـ ص ٢٣٤ .

التشبيه قول ابن المعتز :

أرى ليلا من الشعـــــر .:. على شمس من النـــاس

الجمع بين الليل والناس ردئ" وقد وقع هنا باردا " (١)

ولعبد القاهر الجرجانى أقوال كثيرة فى الاستعارة أورد هنا قوله فيهـا مبينا ما لها من قيمة فى الصورة وإنها تعطى الكثير من المعانى باليسير مـن اللفظ حتى تخرج عن الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنى من الغصن الواحد أنواع من الثمر " (٢)

أما شاعرنا علقمة الذى يعد من أوائل الجاهليين فقد جاءت صوره البيانية ممثلة للواقع مستمدة منه ولقد وضح ذلك جليا عند استعراضنا لألفاظ الشاعـر وتراكيبه ، ومعانيه وأفكاره .

وبعد هذه الإلمامة بالصور البيانية عند علقمة وبعد أن تحدثت عـن التشبيه والكناية والاستعارة عنده ، وضربت لها الأمثلة المسهبة حينـا والمقتضبة أحيانا .

فإننى أرى الآن أن أقف عند أوزان الشاعر ، وموسيقـاه .

---

(١) الصناعتين : لأبى هلال العسكرى _ تحقيق على محمد البجاوى _ ومحمد أبو الفضل ابراهيم . طبعة الحلبى . ص ٢٦٥ .

(٢) أسرار البلاغة : لعبد القاهر الجرجانى _ تعليق محمد عبد العزيز النجار طبعة (صبيح) ١٩٧٧م ص ٤٧ .

رابعا : الأوزان والقوافي عند علقمة :

ان أول ما يلفت نظر الباحث وهو بصدد التحدث عن أوزان الشاعر وموسيقاه أنه كان ينظم قصائده ، ومقطوعاته ، على خمسة بحور لم يزد عليها ، هذه البحور الخمسة حسب كثرة ما نظم عليها هي على الترتيب : الطويل ، والبسيط ، ثم السريع والمديد ، والوافر . وهي كلها بحور طويلة . ويبدو أن شاعرنا قصد إلى هذه الأوزان لأنه أراد أن يستغلها في تحليل عواطفه تحليلا دقيقا فيه استقصاء ، وعمق . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن هذه البحور شاعت في الجاهلية وتعرف الشعراء الجاهليون عليها قبل غيرها ، فقد عرفت بكثرة حركاتها وباتساعها لمعاني الشعراء الضخمة المليئة بالحركة .

ويبدو لي من خلال دراسة أوزان الشاعر أن البحر الطويل هو البحر الرئيسي الذي استخدمه علقمة في أكثر قصائده ومقطوعاته ، فقد نظم فيه قصيدتين طويلتين ، وأربع عشرة مقطوعة . القصيدتان احداهما خمسة وأربعون بيتا ، والثانية تسعة وثلاثون والمقطوعات يتراوح عدد أبياتها ما بين سبعة أبيات ، وبيت واحد . وهناك مقطوعتان كل منهما شطرة من بيت .

أولى القصائد التي نظمها علقمة على البحر الطويل هي قصيدته

التى مدح بها الحارث ابن أبى شمر ليطلق سراح أخيه و بنى قومه و هى التى يقول فى مطلعها : [1]

طحا بك قلب فى الحسان طروب

بعيد الشباب عصر حان مَشِيبُ

تكلفنى ليلى و قد شط وليها

و عادت عواد بيننا و خطوب

و ثانى القصيدتين . تلك القصيدة التى عارض فيها امرأ القيس و احتكما إلى أم جندب والتى يقول علقمة فى مطلعها : [2]

ذ هبت من الهجران فى غير مذ هب

و لم يك حقا كل هذا التجنب

ليالى لا تبلى نصيحة بيننا

ليالى حلوا بالستار فَغُرَّبِ

و المقطوعات التى نظمها علقمة على البحر الطويل هى على الترتيب : المقطوعة الخامسة وعدد أبياتها ثلاثة أبيات و هى التى يقول علقمة فى مطلعها : [3]

---

(١) ديوان علقمة ص ٣٣
(٢) المرجع السابق ص ٧٩
(٣) ديوان علقمة ص ١٠٥

تراءت وأستار من البيت دونها
إلينا وحانت غفلة المتفقد

ثم جاء بعدها المقطوعة السادسة وأبياتها أربعة . وقد قالها الشاعر في يوم " الكلاب الثاني " . ومطلعها :[1]

ود نفير للمكاور أنهم
بنجران في شاء الحجاز الموقر

ثم كانت بعدها المقطوعة السابعة وعدد أبياتها أربعة أيضا ومطلعها :[2]

وأخس محافظة طليق وجهه
هش جرت له الشواء بمسعر

ثم كانت المقطوعة الثامنة وعدد أبياتها أربعة أيضا ومطلعها :[3]

ومولى كمولى الزبرقان دملته
كما دملت ساق تهاض بها وقر

وإلى جانب هذه المقطوعات فقد جاءت مقطوعات أخرى من الطويل أيضا هي على الترتيب المقطوعة العاشرة ، والحادية عشرة والثانية عشرة ، والثالثة عشرة ، والرابعة عشرة ، والسادسة عشرة ، والثامنة عشرة ، والتاسعة عشرة ، والعشرون ، والحادية والعشرون ، والثالثة والعشرون ، والخامسة والعشرون .

---

(١) ديوان علقمة صـ ١٠٥
(٢) المرجع السابق صـ ١٠٦
(٣) المرجع السابق صـ ١٠٩

ويمكن أن نفسر هذا بأن موسيقا هذا البحر من بين البحور الطويلة بحماسة هادئة ، ورزينة ، وبذلك تتلاءم مع مواقف النفس الحزينة الباكية ، وذلك لما تحتويه موسيقاه من طول وكثرة في المقاطع ، وخفاء في الجرس . وكلها صفات تتيح للقارئ أن يتفهم شعر الشاعر دون أن يشغل بدندنة النغم ، وجلبة التفاعيل وهو بحر فيه مجال واسع للتفصيل (١)

وفي نغمه صلاحية للجد الصريح الذى لا تفسده قعقعة ولا جلبة .(٢)

فهو ملائم للغزليين العذريين لأن غزلهم مفعم بمعاني الجد والعمق التي تصلح له ، وهو ملائم حق الملاءمة للنغم المتلطف في تفعيلات هذا البحر .(٣)

وللوقوف على ما لهذا البحر من هدوء موسيقى يناسب النفس الحزينة ، سأحاول تطبيق ذلك على شعر علقمة نفسه . فعلقمة وقد ألم به حزن عميق لهجر محبوبته له نراه بكل الأسى والحزن يلقي إلينا بحكمته البالغة الهادئة ، الحزينة عن النساء فيقول : (٤)

---

(١) المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها : د / عبدالله الطيب المجذوب . دار الفكر بيروت ١٩٧٠م . ج ١ صـ ٣٧٠ .
(٢) المرجع السابق ج ١ صـ ٣٩١
(٣) المرجع السابق ج ١ صـ ٣٩٩
(٤) ديوان علقمة صـ ١٣٥ ـ ١٣٦

فإنْ تسألونى بالنساء فإننى
بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله
فليس له من ودّهن نصيبُ
يُردْن ثراء المال حيث علمنه
وشرخ الشباب عندهن عجيبُ

ويقول علقمة فى موضع آخر مخاطبا نفسه لائما إياها على تسرعها فى هجر محبوبته . ومع الحزن نرى الشاعر متقلبا غير مستقر على رأى . أيلوم نفسه على تسرعها فى هذا الهجران ؟ أم يوافقها على ما أقدمت عليه ؟ يقول علقمة : (1)

أطعت الوشاة والمشاة بصرمها
فقد أنهجت حبالها للتقضب
وقد وعدتك موعدا لو وفت به
كموعود عرقوب أخاه بيثرب
وقالت وإنْ يُبْخل عليك ويُعْتلل
تَشُكّ وإنْ يكشف غرامك تدرب

وعن البحر الطويل يحدثنا د . إبراهيم أنيس فيقول :
" فى هذا البحر يصب الشاعر أشجانه ، ويجتر فيه ذكريات ماضيه الحزينه فى رزانة وترسل وجلال وتؤدة ، تلائم مقام الحسرة

---

(1) ديوان علقمة ص ٨٢ ـ ٨٣

والأسف الهادئ" (١)

وعنه يحدثنا د. على الجندى فيقول : " يسبح فيه كل ذى صدر قوى ، ونفس مديد وحنجرة ضخمة " (٢)

وعن البحر نفسه يحدثنا د. محمد النويهى فيقول : " فبحر الطويل بإيقاعه البطئ " الهادئ" نسبيا ، يلائم العاطفة المعتدلة ، الممتزجة بقدر من التفكير ، والتملى ، سواء كانت حزنا هادئا لا صراخ فيه ، أم كانت سرورا هادئا لا صخب فيه " (٣)

وكل هذه الصفات التى تحدث عنها النقاد والباحثون الذين تحدثت عنهم تتلاءم كل الملاءمة مع شخصية علقمة المعتدلة السوية ومع موضوعات شعره من وصف ، ونسيب ، وغزل عفيف غير فاحش وأظن أننى أوضحت هذا بجلاء عند الحديث عن موضوعات علقمة الشعرية ، وعند مقارنة لغزله مع غزل غيره من الشعراء الجاهليين المعاصرين له أمثال " عبيد بن الأبرص " و " امرئ القيس بن حجر

---

(١) موسيقى الشعر : د. ابراهيم أنيس . الطبعة الثالثة ١٩٥٢م . صـ ١٧٥ .

(٢) الشعراء وانشاد الشعر : د. على الجندى . دار المعارف بمصر ١٩٦٩م . صـ ١٠٠

(٣) الشعر الجاهلى ــ منهج فى دراسته وتقويمه ــ د. محمد النويهى جـ ١ صـ ٦١

أما البحر الثاني الذى احتل عند علقمة المركز الثاني فى النظم عليه ، هو البحر البسيط ولقد نظم فيه علقمة قصيدة عدد أبياتها خمسة وخمسون بيتا ، وست مقطوعات يتراوح عدد أبياتها ما بين ثلاثة أبيات وبيت واحد ، وبينهن مقطوعة هى شطرة من بيت.

نظم علقمة على هذا البحر جيميته التى يقول فى مطلعها : (١)

هل ما علمت وما استودعت مكتوم
أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته
إثر الأحبة يوم البين مشكوم

ونظم على البسيط إلى جانب هذه القصيدة مقطوعات أخرى هى على الترتيب : المقطوعة الخامسة عشرة وهى بيت واحد يقول فيها علقمة : (٢)

للماء والنار فى قلبى وفى كبدى
من قسمة الشوق ساعور وناعور

وجاءت بعدها المقطوعة السابعة عشرة التى قالها علقمة فى خلف بنى نهشل وبنى يربوع وعدد أبياتها ثلاثة والتى يقول فى مطلعها : (٣)

---

(١) ديوان علقمة ص ٥٠
(٢) المرجع السابق ص ١٢٣
(٣) المرجع السابق ص ١٢٦

أمسى بنو نهشل نيام دونهم

المطعمون ابن جارهم إذا جاعا

وإلى جانب ما سبق فهناك مقطوعات أخرى نظمها علقمة على البحر البسيط هي على الترتيب المقطوعات : الثانية والعشرون والرابعة والعشرون ، والسابعة والعشرون ، والثامنة والعشرون

وهذا البحر من البحور الطويلة ، كالطويل والوافر والكامل ينظم فيه الشاعر إذا كان ثائرا منفعلا ، فهو يصلح إذا كان انفعال الشاعر من النوع الرزين ، لا التأثر العنيف .(١)

ويقول عنه د. عبد الله الطيب المجذوب: "إن في رنة البسيط من القوة ما يجعله صالحا لمواقف العنف والانفعال الظاهر" (٢)

أما بقية البحور التي نظم فيها علقمة بقية شعره الذي وصل إلى أيدينا فهي السريع ، والمديد ، والوافر. وكان نصيب كل بحر من هذه البحور مقطوعة واحدة .

---

(١) موسيقى الشعر د. ابراهيم أنيس صـ ١٧٦

(٢) المرشد في فهم أشعار العرب د. عبد الله الطيب المجذوب الطبعة الأولى ١٩٥٥ جـ ١ صـ ٤٧١.

نظم علقمة فى السريع مقطوعة عدد أبياتها خمسة . وهى المقطوعة التى قالها علقمة مفتخرا بشفاعته ودفاعه عن أسرى قومه لدى الحارث بن أبى شمر الغسانى ويقول علقمة فى مطلعها : (١)

دافعت عنه بشعرى إذ
كان لقوس فى الفداء جحد
فكان فيه ما أتاك وفى
تسعين أسرى مقرنون صفد

ونظم علقمة فى الوافر مقطوعة عدد أبياتها بيتان . وهى التى يقول فيها : (٢)

وهل أسوى براقش حين أسوى
ببلقعة ومنبسط أنيق
وحلوا من معين يوم حلوا
لعزهم لدى الفج العميق

ونظم علقمة فى المديد مقطوعة عدد أبياتها ثلاثة وهى التى نظمها فى مدح فارس ترك جنوده لحما لسباع الأرض وطيور الجو الجارحة وهى التى يقول فى مطلعها : (٣)

(١) ديوان علقمة ص ١٠٣
(٢) المرجع السابق ص ١٢٩
(٣) المرجع السابق ص ١٣٣

فـــارس مـــا غادروه ملحمـــــا
غـــير زميـــل و لا نكـــس وكـــل

عن البحـر السريع يحدثنا د ٠ على الجندى فيقول : " هـــو بحـر يمتاز بخفة الحركة ، و سرعـة التدفق ، وفيه سلا مــــة وعذوبـة " ٠ (١)

أما البحـر الوافـر فهو " سـريع النغمات ، فيه رنـــــة قوية " ٠ (٢)

و يقول عنه د ٠ على الجندى : " من صفات هذا البحــــر الرشاقة ، والخفة ، و أنه يصلح للأداء العاطفى ، فيه عذوبـــة و سهولة ، سريع النغمات ، متتابع النبرات " ٠ (٣)

و هو عند د ٠ النويهى : " يصلح للعاطفة إذا مازادت حدتها و يتلائم مع اهتزازها " ٠ (٤)

---

(١) الشعراء و انشاد الشعر : د ٠ على الجندى صـ ١٠٧
(٢) المرشد الى فهم أشعار العرب : د ٠ عبد الله الطيب المجذوب طبعة ١٩٥٥ جـ ١ صـ ٣٥٨ ـ ٣٥٩
(٣) الشعراء و انشاد الشعر : د ٠ على الجندى صـ ١٠٦
(٤) الشعر الجاهلى ـ منهج فى دراسته وتقويمه ـ د ٠ محمـــد النويهى جـ ١ صـ ٦١

وبعد هذه الوقفات المتأملة لأوزان الشعر عند علقمة يتضح مدى مناسبة هذه الأوزان لأغراض شعره . ويمكن لي القول بأن علقمة كان موفقا في اختيار الوزن الذي يتفق وحركة نفسه ، وينبئ عن حالته الشعورية بوجه عام .

ومما يؤيد ذلك ما ذهب إليه د . ناصر الدين الأسد : "من أن علقمة الفحل كان يعد من المغنين في الجاهلية " (١)

ويذكر د . ناصر الدين الأسد بعد ذلك نتيجة يقول إنه قد توصل إليها وهي : " أنه كانت في الجاهلية نظرية غنائية تقوم على الإيقاع الموزون ، ولها طرائق ومصطلحات فنية " (٢)

وليؤكد د . ناصر الدين الأسد أن شعر علقمة كان يغنى في الجاهلية نراه يأتي بخبر نقلا عن " فارمر " يقول فيه :

" ومع ذلك فإننا نعلم أن علقمة كان ممن يغني شعره ، وأنه حين وفد على الغساسنة لم يسمع له ، قبل أن يلحن شعره ويغنيه " (٣)

---

(١) القيان والغناء في العصر الجاهلي : د . ناصر الدين الأسد
طبعة دار المعارف بمصر ص ٩٩ .
(٢) المرجع السابق ص ١٢٨ (٣) المرجع السابق ص ١٦٩
وانظر أيضا H. G. Farmer, History of Arabian Music, Luzac Co. 1929 P. 18.

والناظر فى ديوان علقمة يجد له ثلاث قصائد طوال وستا وعشرين مقطوعة ، ومن الجائز أن تكون مقطوعاته تلك بقايا قصائد ضاعت وبقيت منها هذه المقطوعات . أو تكون على ما هى عليه من القصر ، فإن كانت الأخرى فهذا مما يؤيد التغنى بشعره كما أثبت د . ناصر الدين الأسد من قبل إذ أننا نجد عند أستاذنا الدكتور/ محمد مصطفى هدارة ما يؤيد ذلك إذ يقول : وثمة سبب آخر يكمن فى تأثير الغناء الذى يقتضى هذا الميل إلى المقطوعات" (1)

من خلال ما سبق يتضح لنا ما تتميز به موسيقا الشعر عند علقمة من هدوء ، ورزانة ، تتلاءم مع نفسه وروحه وسمات عصره . وبعد حديثى عن أوزان علقمة أتناول الآن قوافيه بالدراسة والتحليل .

استخدم علقمة فى أشعاره تسعة أحرف شكل منها قوافيه هى على الترتيب حسب كثرة ورودها فى شعره : الباء ، والميم والراء ، واللام ، والدال ، والقاف ، والطاء ، والعين والكاف .

جاءت الباء قافية فى قصيدتين طويلتين ، وأربع مقطوعات وجاءت متحركة فيها جميعها . جاءت قافية لقصيدته التى مدح

(1) اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى : د . محمد مصطفى هدارة . دار المعارف بمصر ١٩٦٣م . ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

بها الحارث بن أبى شمر الغسانى والتى يقول فى مطلعها : (١)

طحا بك قلب فى الحسان طروب

بُعَيْد الشباب عصر حان مشيب

وجاءت كذلك قافية لقصيدة التى بارى بها امرأ القيس بن حجر والتى يقول فى مطلعها : (٢)

ذهبت من الهجران فى غير مذهب

ولم يك حقا كل هذا التجنب

وجاءت كذلك الباء قافية لمقطوعة علقمة العاهرة والتى يقول فى مطلعها : (٣)

وفى الحى بيضاء العوارض ثوبها

إذا ما اسبكرّت للشباب قشيب

ثم كانت الباء إلى جانب ذلك كله قافية للمقطوعات : الحادية عشرة ، والثانية عشرة ، والثالثة عشرة .

أما الميم فقد استخدمها علقمة قافية لقصيدة طويلة ومقطوعتين وجاءت فيها جميعها متحركة أيضا كالباء سابقتها ، جاءت قافية لقصيدة علقمة الثالثة الطويلة والتى يقول فى مطلعها : (٤)

---

(١) ديوان علقمة صـ ٣٢
(٢) المرجع السابق صـ ٧٩
(٣) المرجع السابق صـ ١١٧
(٤) المرجع السابق صـ ٥٠

هل ما علمت وما استودعت مكتوم
أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

وجاءت كذلك قافية لمقطوعتى علقمة السابعة والعشرين والثامنة والعشرين .

وجاءت الراء قافية لأربع مقطوعات وكانت متحركة أيضا . وجاءت اللام قافية لثلاثة أشطر ومقطوعتين . جاءت متحركة فى الأشطر الثلاثة وفى مقطوعة ، وجاءت ساكنة فى مقطوعة واحدة .

وجاءت كل من الدال والقاف قافيتين كل منها لثلاث مقطوعات كانت القاف متحركة فى المقطوعات كلها ، وكانت الدال ساكنة فى مقطوعتين ومتحركة فى واحدة .

أما الطاء والعين ، والكاف ، فكانت كل منها قافية لمقطوعة واحدة . جاءت الكاف متحركة وجاءت كل من الطاء والعين متحركتين بعد كل منهما مد بالألف .

ولم تحظ القوافى باهتمام الدارسين من قدامى ومحدثين بما حظيت به الأوزان إلا أننى أجد واحدا كابن طباطبا قد أشار إلى شئ من التناسب بين القوافى وأفكار الشاعر وأوزانه ، عندما أراد أن يتحدث عن صناعة الشعر فقال : " فإذا أراد الشاعر

محض المعنى الذى يريد بناء الشعر عليه فى فكره نثرا ، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التى تطابقه ، والقوافى التى توافقه والوزن الذى يسلس له القول عليه " (١)

أما الدكتور / غنيمى هلال فله رأى يخالف ما قال به ابن طباطبا فهو يرى : " أن ليس ثمة قاعدة تربط حروف القوافى بموضوع الشعر ، والأمر فى ذلك كالعلاقة بين بحور الشعر وموضوعاته " (٢)

وإذا ما قرأنا للدكتور/ محمد النويهى نراه يؤيد ومن يؤيدون الربط بين القوافى والأغراض لأنه يقول : " فالقارئ المطلع على الشعر القديم يلاحظ مثلا كثرة ورود حرف العين رويا لقصائد الرثاء ، الأمر الذى يلفتنا إلى ما فى العين من مرارة وتعبير عن الوجع ، والجزع ، والهلع . كما يلاحظ ورود حرف السين رويا لقصائد كثيرة عاطفتها الأساسية الأسى والحسرة " (٣)

وإننى أميل إلى رأى د . النويهى أكثر من غيره .

---

(١) عيار الشعر : لمحمد بن طباطبا العلوى ت ٣٢٢هـ تحقيق د . طه الحاجرى ، ود . محمد زغلول سلام . شركة فن الطباعة بالقاهرة ١٩٥٦ . صـ ٥

(٢) النقد الأدبى الحديث : د . محمد غنيمى هلال . دار مطابع الشعب بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٩٦٤ . صـ ٤٧٧

(٣) الشعر الجاهلى ـ منهج فى دراسته وتقويمه ـ د . محمد النويهى جـ ١ صـ ٦٣

وإذا ما دقق الباحث النظر فى قوافى علقمة وجد أنها تخلو إلى حد بعيد من "الإيطاء" وهو تكرار القوافى . فلم يظهر ذلك عند علقمة إلا فى قصيدته الثالثة التى عارض فيها امرأ القيس إذ كرر كلمة " المهذب " قافية لكل من البيتين الثامن عشر ، والثانى والثلاثين إذ قال فى البيت الثامن عشر : (١)

تذب به طورا وطورا تمره
كذب البشير بالرداء المهذب

وقال فى البيت الثانى والثلاثين من نفس القصيدة : (٢)

رأينا شياها يرتعين خميلة
كمشى العذارى فى الملاء المهذب

وعن " الإيطاء " يقول بعض الدارسين : " إنه مع ذلك (٣) فقد أبيح للشعراء استخدامه بعد البيت السابع فى القصيدة الواحدة

وما عدا " الإيطاء " الذى أشرت إليه والذى لم يأت سوى مرة واحدة عند شاعرنا فإننى أجد شعر علقمة قويا قوة نفسه ، خفيفا يمتاز بموسيقا فخمة حينا ، ناعمة أحيانا أخرى .

---

(١) ديوان علقمة صـ ٨٧
(٢) المرجع السابق صـ ٩٣
(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب . طبعة بيروت ١٩٧٠ ج ١ — صـ ٤٦ .

ولقد امتاز شعر علقمة بالموسيقا الداخلية فقد وفر في معيمته مناخاموسيقيا داخليا جميلا ونغما رقيقا تمثل في تلك النغمات الداخلية في تصوير النفس كما وضحت بجلاء في ذلك المقطع النفسي الذي نفذ به علقمة إلى وجدان الحيوان وهو يصور لقاء النعامة لذكرها ، وفرحتها بعودته ، ودندنتها بأنغام تنم عن فرحة بالغة ، فيجاوبها الظليم بمثلها "يوحى إليها بانقاض ونقنقة" .. إلى آخر هذه العلاقات بين الألفاظ والتى تنجم عنها الموسيقا الداخلية للأبيات .

وبعد هذه الإلمامة بأوزان الشاعر وقوافيه آن لى أن أتحدث عن البناء الفنى للقصيدة عنده .

خامسا : البناء الفني للقصيدة عند علقمة :

إن أول رأى يقابلنا ونحن بصدد الحديث عن بناء القصيدة هو رأى ابن قتيبة الذى يقول فيه عن بناء القصيدة : " سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا ، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين إذ كان نازلة العَمَد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر لانتجاعهم الكلأ وانتقالهم من ماء إلى ماء ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان . ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق ، وفرط الصبابة ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعى به إصغاء الأسماع إليه ، لأن النسيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ، لما قد جعل الله فى تركيب العباد من محبة الغزل ، وإلف النساء ، فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له ، عقب بإيجاب الحقوق فرحل فى شعره ، وشكا النصب والسهر ، وسُرى الليل ، وحر الهجير ، وإنضاء الراحلة والبعير " (١)

(١) الشعر والشعراء : لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر دار المعارف بمصر ج ١ ص ٧٤ — ٧٥ .

وهذا الرأى لابن قتيبة قد وجد من يفنده من النقاد المحدثين والدارسين الباحثين . فها هو ذا د. شكرى فيصل يرد على هذا الرأى بقوله : " ومن الملاحظ أن مثل هذا الرأى لا يجعل الغزل الذى نلقاه مبثوثا فى الشعر الجاهلى ، تعبيرا أصيلا عن حياة الشاعر الوجدانية ، ولا فيضا عفويا مصدره عواطفه ولا يجعل منه تنفيسا عن همومه ، وجلاء لأساه . وإنما هو يجعل هذا الشعر صناعة مقصودة يلجأ إليها الشاعر فى شئ من التعمد فيدغدغ به عواطف السامعين . ويستدعى إليه أسماعهم ، ويميل نحوه قلوبهم ، ويوطئ " بذلك لأغراضه الأخرى . فليس الغزل فى مفهوم هذا الرأى غرضا بذاته ولكنه غرض لغيره . إنه ـ فى رأى ابن قتيبة ـ ليس عملا يصدر عن الطبع ولكنه " شباك " يصطاد بها الشاعر عواطف سامعيه . وبتعبير آخر ، إن ابن قتيبة لا يجعل غاية الشعر نفسه أهواءه وصباباته . بل يجعل غاية هذا الشعر السامع الذى يتوجه إليه الشاعر . ومن المؤكد أن هذا يجرد الشاعر والشعر معا من كثير من قيمتها السامية" (١)

ولابن رشيق رأى يغاير ما ذهب إليه ابن قتيبة إذ يقول " ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطا من النسيب ، بل يهجم

---

(١) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : د. شكرى فيصل دار العلم للملايين بيروت الطبعة الطبعة ص ٢٩ ـ ٣٠

على ما يريده مكافحة ، ويتناوله مصافحة وذلك عندهم هو : الوثب والبتر ، والقطع ، والكسع ، والاقتضاب .(١)

وعن مقدمة القصيدة الجاهلية تحدث كثيرون ، بل منهم من خصها بالبحث والتنقيب فالدكتور/ حسين عطوان بحث عن مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، عقد فيه فصلين عن نشأة المقدمات واتجاهاتها هما الفصلان الثاني والثالث ، وقد أورد الباحث قصائد كثيرة مستشهدا بأنها لم تبدأ بالأطلال بل بدأت بالخمر مثلا والفروسية .(٢) ويقول د. صبري الأشتر " ولعل من أبرز مظاهر المحافظة في القصيدة العربية ، افتتاح القصيدة بوصف الأطلال ، والنسيب ، وصف ارتحال الأحباب ونزولهم في المنازل المختلفة ، والتعبير عن الوجد بهم ، والحنين إليهم . وقد لزم ذلك كله القصيدة العربية في عصور الأدب ، واستعمله الشاعر حقيقة ومجازا ، وأخذه الخلف عن السلف وهذه الخاصة بثت في القصيدة عناصر التماسك ، والترابط وأكسبتها قوة جعلتها تساير الحياة ".(٣)

---

(١) العمدة : لابن رشيق . جـ١ ص ٢٣١ .
(٢) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي : د. حسين عطوان . دار المعارف بمصر (الفصلان الثاني والثالث) .
(٣) العصر الجاهلي (المعلقات) : د. محمد صبري الأشتر مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية . بحلب ١٩٧٢/ ١٩٧٣م ص ٤٩٤ .

وعندما أتحدث عن بناء القصيدة عند علقمة . أتساءل هل كانت القصيدة عند علقمة طويلة أم قصيرة ؟ وهل تعددت موضوعاتها أم اقتصرت على موضوع واحد ؟ وهل التزم علقمة في قصائده المطالع الطللية والغزلية ممهدا بها لأغراضه الرئيسة ؟ وهل استخدم علقمة التصريع في قصائده ومقطوعاته ؟

هذه أسئلة يواجه بها الباحث نفسه وهو يبحث في شاعر من شعراء العربية . ولسوف أجيب عن هذه الأسئلة فأقول: إن لعلقمة ثلاث قصائد طوال . أولاها عدد أبياتها تسعة وثلاثون . وثانيها عدد أبياتها خمسة وخمسون . وثالثتها عدد أبياتها خمسة وأربعون . وهذه القصائد الثلاث بدأت جميعها بالغزل ثم انتقل الشاعر في أولاها من الغزل إلى وصف الناقة ثم إلى مدح الحارث بن أبي شمر الغساني وهذا هو غرضه الرئيس في هذه القصيدة .

لقد بدأ علقمة قصيدته في مدح الحارث بالغزل حيث يقول :

طحا بك قلب في الحسان طروب
بعيد الشباب عصر حان مشيب

تكلفني ليلى وقد شط وليها
وعادت عواد بيننا وخطوب

منعمة لا يستطاع كلامها
على بابها من أن تزار رقيب

ثم يستطرد علقمة فى هذا الغزل و ينتقل منه إلى الحكمة فيقول عن النساء :

فإن تسألونى بالنساء فإننى
بصير بأدواء النساء طبيب

إلى نهاية حكمته المعروفة عنهن ثم ينتقل من الحكمة إلى وصف الناقة حيث يقول :

فدعها و سل الهم عنك بجسرة
كهمك فيها بالرداف خبيب

ثم يترك علقمة ذلك ليدخل إلى غرضه الرئيسى مادحا الحارث بعد أن مهد لذلك المدح بوصفه لوعورة الطريق و أهوال الصحراء خلال وصفه لناقته . يقول علقمة مادحا الحارث :

و أنت امرؤ أفضت إليك أمانتى
و قبلك ربتنى فضعت ربوب

و هكذا إلى نهاية القصيدة حيث يناشده فى نهايتها أن يطلق سراح أخيه و بنى قومه .

و ما فعله علقمة فى هذه القصيدة يفعله فى قصيدتيه الأخريين

ففى قصيدته الثانية ، انتقل من الغزل إلى وصف الظعن مفصلا فيه ، ثم إلى وصف الناقة التى أفاض فى وصفها و قد شبهها

بالظليم ، ثم خلص إلى الحكمة ومنها انتقل إلى وصف مجالس الخمر ، ثم وصف الفرس الذى أفاض أيضا فى وصفه ثم افتخر بنفسه مقاتلا فى ميادين القتال ، ثم افتخر بكرمه وجوده ، وإهلاكه لماله فى سبيل الضعفاء والمحتاجين من بنى قومه .

وفى قصيدته الثالثة والتى عارض فيها امرأ القيس واحتكما إلى أم جندب نرى علقمة قد بدأها بالغزل ، وخلص من الغزل إلى وصف الناقة ، ثم إلى وصف فرس الصيد واحتل وصف فرس الصيد عنده المساحة الكبيرة من هذه القصيدة إلى أن انتهى الجواد الى تحقيق صيد قرت به عيون علقمة ورفاقه .

وفى هذه القصائد الثلاث الطوال نرى علقمة قد التزم التصريع فى أوائلها . ومن خلال دراستى لهذه القصائد رأيت الشاعر قد التزم المقدمة الغزلية فيها جميعا ثم تلا تلك المقدمة وصف الناقة ، وكانت قصائده موحية إلى حد بعيد بالجو النفسى المسيطر على الشاعر ، ولقد ظهر ذلك جليا عند دراسة ألفاظ الشاعر ومعانيه .

أما مقطوعات علقمة فهى يتراوح عدد كل منها ما بين تسعة أبيات وشطرة من بيت ومعظمها قد جاء فى غرض واحد . فلعلقمة فى مقطوعاته : الرابعة ، والسادسة ، والسابعة ، والتاسعة

والسادسة عشرة ، والسابعة عشرة ، والخامسة والعشرون قد افتخر إمَّا بنفسه ، وإمَّا بقومه (وغزوهم طيئًا) وإمَّا افتخر ببني نهشل " وهم أيضا " من تميم . أى أن الغرض الذى انتظم هذه المقطوعات كلها هو الفخر بعامة .

أما مقطوعاته : الخامسة ، والخامسة عشرة ، والثامنة عشرة ، والعشرون ، والثالثة والعشرون ، فهى فى الغزل ومقطوعته العاشرة تحمل أكثر من غرض ، ففيها غزل ووصف الناقة ومدح . ومن المحتمل أنها اجتثت من قصيدته التى مدح بها الحارث ابن أبى شمر إذ أنها على نفس الوزن والقافية .

أما مقطوعتا علقمة الحادية عشرة ، والرابعة عشرة فيهما فى الحكمة . إلى جانب ذلك نرى مقطوعته الرابعة عشرة فى وصف الناقة وكذا جاءت مقطوعتا ه الرابعة والعشرون ، والسابعة والعشرون أما مقطوعته الحادية والعشرون فهو يصف فيها الدهر ، وفى التاسعة عشرة يصف حمار وحش ، وفى الثامنة والعشرين يصف قوسا .

أما مقطوعته السادسة والعشرون فقد نظمها فى مدح فارس تركه جنوده وفروا هاربين وأبت عليه شجاعته أن يترك ميدان القتال وفضل أن يكون طعاما للطير والسباع على أن يهرب ويوصم بالجبن والعار .

و من الملاحظ أن علقمة لم يلتزم " التصريع " فى مقطوعاته والمتأمل فى شعر ذلك الشاعر يرى أن الوحدة الموضوعية قد تحققت بصورة واضحة فى مقطوعاته القصار ، أما قصائده الطويلة فالبيت فيها وحدة موضوعية قائمة بذاتها . لكن أبياتها جمعت فيما بينها وحدة وجدانية تمثلت فى وحدة الشعور ، ووحدة الجو النفسى المسيطر على الشاعر .

وبعد هذه الإلمامة بالبناء الفنى للقصيدة عند علقمة أرى أن أختتم هذا الفصل بتأثير هذا الشاعر العملاق فى غيره من شعراء الجاهلية وغيرهم .

سادسا : تأثير علقمة فيمن جاء بعده :

علقمة شاعر جاهلي بل من الرعيل الأول لشعراء الجاهلية ومن المؤسسين لأصول وقواعد الشعر العربي في عهوده الأولى ولذا فليس غريبا أن نراه قد استطاع أن يؤثر بشعره فيمن عاصره من شعراء ، وفيمن جاء بعده . معظمهم اتخذه قدوة وأسوة . منهم من أخذ منه لفظه ، ومنهم من حاكاه في معانيه ، ومنهم من أخذ منه صوره ، وتشبيهاته ومنهم من أخذ منه كل هذا في وقت واحد .

وفي هذا المقام سأحاول أن أورد أمثلة لشعراء تأثروا بعلقمة واتخذوا منه أستاذا ينسجون على منواله ، ويسيرون على دربه .

قال علقمة في وصف ظعن المحبوبة : (١)

لم أدر بالبين حتى أزمعوا ظعنا
كل الجمال قبيل الصبح مزموم

رد الإماءُ جمالَ الحيِّ فاحتملوا
فكلها بالتزيديّات معكوم

عقلا ورقما تظل الطير تتبعه
كأنه من دم الأجواف مدموم

(١) ديوان علقمة ص ٥١

أخذ ذلك منه عنترة بن شداد فقال :(١)

إن كنت أزمعت الفراق فإنما
زمّت ركابكم بليلٍ مظلم

ما راعني إلا حمولة أهلها
وسط الديار تسف حَبَّ الخمخم

وأخذه المثقب العبدى فقال :(٢)

ظهرن بكلة وسدلن رقما
وثقّبن الوصاص للعيونِ

وللمرأة مع علقمة قصة ، وقفت بجانبه أم جندب ، وحكمت له على زوجها ، واختلف النقاد والدارسون فى حكمها هذا فالدكتور / أحمد الحوفى يعتبر حكمها ظالما لأنها كانت تغرك امرأ القيس ، ويشهد لامرئ القيس بالتفوق على علقمة " (٣)

فى حين أن هناك باحثا آخر هو أدونيس نراه يقول وهو بصدد الحديث عن امرئ القيس : " وتتمثل الناحية الثانية فى خروجه على نموذج المعانى .

---

(١) مختار الشعر الجاهلى : مصطفى السقا جا ص ٣٧٠ـ٣٧١.
(٢) ديوان المثقب العبدى (عائذ بن محصن) تحقيق حسن كامل الصيرفى . معهد المخطوطات العربية ، بجامعة الدول العربية بالقاهرة ١٩٧١م . صـ ١٥٦.
(٣) المرأة فى الشعر الجاهلى : د. أحمد الحوفى ص٥٩٣ـ٥٩٤.

ويوضح هذه الناحية ما روى عن زوجته " أم جندب " من أنها حكمت بينه وبين علقمة وفضلت علقمة عليه ، وقد استندت فى حكمها إلى قصيدتين بموضوع واحد وقافية واحدة ، وروى واحد والــــ مقياس هذا المثال — النموذج للأفراس العربية — كما يترسخ فى ذهنها أن الفرس الذى يسرع دون أن يزجر ودون أن يتعب وقد خالف امرؤ القيس فى وصفه هذه الصورة النموذجية ، بينما جاء وصف علقمة مطابقا لها وهكذا فضلت علقمة . فالمطابقة مع النموذج هى الأفضل ، ولذلك فإن الشاعر الذى يستعيد النموذج أفضل من الشاعر الذى ينحرف عنه ويشوهه "(١)

وهذا الموقف من المرأة بعامة ممثلة فى أم جندب كان أدعى إلى أن يكون علقمة معها لا عليها ، ولكننا نراه يتحدث عن المرأة فيفيض فى الحديث عنها ، يتحدث عن طبائع النساء وأخلاقهن كما يتحدث عن ملابسهن وزينتهن "(٢)

يصف علقمة النساء بالخداع والتنكر للرجل إذا ما افتقر أو تقدمت به السن . يقول علقمة فى ذلك :(٣)

---

(١) الثابت والمتحول : أدونيس . بحث الأنواع والابداع عند العرب الأصول — رسالة دكتوراة دار العودة بيروت طبعة أولى ١٩٧٤ ، ج ١ ص ٢٠٨

(٢) المرأة فى الشعر الجاهلى : د . على الهاشمى ص ٨٧

(٣) ديوان علقمة ص ٣٥ ، ٣٦

فإن تسألوني بالنساء فإنني
بصير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله
فليس له من ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه
وشرخ الشباب عندهن عجيب

يقول د. على الهاشمي : " وقد وافق امرؤ القيس علقمة موافقة تامة في تحليلة طبائع النساء في قوله : (١)
أراهن لا يحببن من قل ماله
ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

ويقول د. الهاشمي أيضا : " كما وافق عامة الشعراء علقمة مع شيء من الاختلاف " قال أوس بن حجر :
تنكرت منا بعد معرفة لمي
وبعد التصابي والشباب المكرم

وقال لبيد عن محبوبته : إنها تنكرت له قائلة له : كفى الشيب بالمرء قاتلا إذا نزل به وقال الأعشى : "إنه يسوء

(١) المرأة في الشعر الجاهلي د. على الهاشمي ص ١٠٩.
والبيت مختار الشعر الجاهلي ص ٨٦

الغواني أن يرين بياض الرأس" (١)

وفي ديوان الأعشى أكثر من مثال يدل على ترسمه خطا علقمة عند الحديث عن النساء . فهو يقول : (٢)

وأرى الغواني حين شبت هجرنني
أن لا أكون لهن مثلي أمردا
إن الغواني لا يواصلن امرأ
فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

ويقول في قصيدة أخرى : (٣)

ولقد ساءها البياض فلطت
بحجاب من دوننا مصدوف
فاعرفي للمشيب إذا شمل الرأ
س فإن الشباب غير حليف

وتحدث علقمة في أكثر من موضع عن حلي محبوبته في جيدها فقال : (٤)

---

(١) المرأة في الشعر الجاهلي للهاشمي ص ١١٠
(٢) ديوان الأعشى القصيدة ٣٤ .
(٣) المصدر السابق القصيدة ٦٣ .
(٤) ديوان علقمة ص ٨٠ .

مبتلة كأن أنضاء حليها
على شادن من صاحة متربب

محال كأجواز الجراد ولؤلؤ
من القلقي والكبيس الملوب

وقال : (١)

وجيد غزال شادن فردت له
من الحلي سِمْطَيْ لؤلؤ وزبرجد

أخذ ذلك النابغة الذبياني ، فوصف حلي محبوبته فقال : (٢)

صفحت بنظرة فرأيت منها
تُحَيْتَ الخدر واضعة القرام

ترائب يستضيء الحلي فيها
كجمر النار بذر بالظلام

وقال علقمة يصف محبوبته : (٣)

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة
كأنها رشأ في البيت ملزوم

أخذه جِران العَوْد النميري . فقال : (٤)

---

(١) ديوان علقمة ص ١٠٥
(٢) ديوان النابغة الذبياني : تحقيق محمد ابراهيم أبو الفضل دار المعارف بمصر ص ١٣٠
(٣) ديوان علقمة ص ٥٦
(٤) ديوان جران العود النمري : رواية أبي سعيد السكري مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة . ١٣٥٠هـ/١٩٣١م . الطبعة الأولى ص ٣٧

مما يجول وشاحها إذا انصرفت
و لا تجول بساقيها الخلاخيل

و قال علقمة : (١)

فلم تنج إلا شطبة بلجامها
و إلا طمرّ كالقناة نجيب

أخذه زيد الخيل الطائي فقال : (٢)

و كل كميت كالقناة طمرّة
و كل طمر يحسب الغوط حاجزا

و قال علقمة على سبيل الاستعارة : (٣)

فجالدتهم حتى اتقوك بكبشهم
و قد حان من شمس النهار غروب

أخذه عامر بن الطفيل فقال : (٤)

قتلنا كبشهم فنجوا شلالا
كما نفرت بالطرد النعاما

و قال علقمة : (٥)

تجود بنفس لا يجاد بمثلها
و أنت بها يوم اللقاء تطيب

---

(١) ديوان علقمة ص ٤٧
(٢) ديوان زيد الخيل الطائي : تحقيق د . نوري حمودي القيسي مطبعة النعمان . النجف الأشرف . ص ٦١
(٣) ديوان علقمة ص ٤٤
(٤) ديوان عامر بن الطفيل العامري : رواية أبي بكر محمد القاسم الانباري عن أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب تحقيق العامري المستشرق تشارلز ليال ١٩١٣م مطبعة ليدن ١٩١٣ ص ٩٧
(٥) ديوان علقمة ص ٤٦

أخذه عامر بن الطفيل فقال :(1)

أقول لنفس لا يجاد بمثلها

أقلى المراح إننى غير مقصر

وهكذا كان لعلقمة تأثيره البين والواضح فى كثيرين من شعراء الجاهلية الذين جاءوا بعده . أخذوا عنه ألفاظه ، وأخذوا عنه معانيه ، ومنهم من عاصره كامرئ القيس وهو من هو بتقديم النقاد له على غيره — قد أخذ عنه رؤيته الثاقبة للنساء ، ومعرفته بهن المعرفة التى تنم عن التجربة والوعى العميقين .

ونخلص من هذه الدراسة للجوانب الفنية فى شعر علقمة بنتائج لعل من أهمها :

أولا : اهتمام علقمة الاهتمام البالغ بانتقاء ألفاظه وتراكيبه لتساير الجو النفسى الذى يسيطر عليه ، ولتستطيع هذه الألفاظ وتلك التراكيب أن تنقل إحساساته ومشاعره لسامعه وقارئه دونما صعوبة ، أو إغراق فى الغرابة

ثانيا : استمد علقمة معانية ، وأفكاره من خلال البيئة التى احتضنته وعاش فى أكنافها فعبر عنها فى شعره كله مصورا مظاهرها الطبيعية ، وظواهرها المحسوسة ، تلك الظواهر التى تقع عليها عينه بين الحين والحين .

(1) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٢٠

ثالثا : استعان علقمة فى إظهار احساساته ، ومواقفه النفسية بالتصوير البيانى مستخدما ألوان البيان المختلفة ، من تشبيه ، واستعارة ، وكناية • ولقد زاد التشبيه عنده زيادة ملحوظة وقد استمد الشاعر تشبيهاته مما يحيط به ويحس به الشاعر فى كل لحظة •

رابعا : جاءت أوزان علقمة على بحور مطروقه ، لمعظم شعراء الجاهلية ، وكلها من البحور الطويلة • ولقد جاء البحر الطويل فى مقدمة هذه البحور كلها فقد نظم فيه الشاعر أغلب قصائده ، وأكثر مقطوعاته •

خامسا : جاءت معظم أشعار علقمة فى قصائد طويلة ، لم تتوفر لها الوحدة الموضوعية بل كان الشاعر يجول فى قصيدته منتقلا من غرض إلى غرض • وكل هذه القصائد قد بدأت بالغزل ينتقل بعده الشاعر إلى وصف الناقة أو الظعن أو الفرس ويظل هكذا حتى يصل إلى غرضه الأساسى إن كان هذا الغرض مدحا ، أم فخرا أم كان غير ذلك •

سادسا : استطاع علقمة أن يؤثر فى كثيرين من شعراء الجاهلية منهم من عاصره ، ومنهم من جاء بعده • ولقد ظهر أثر الشاعر بألفاظه ومعانيه ، وصوره وتشبيهاته جليا واضحا فى أشعار هؤلاء الشعراء •

وبذلك يكون البحث قد أحاط بعلقمة ، من جميع نواحيه
التاريخية ، والقلبية ، والفنية .

" الخاتمـــــــة "

بعد هذه الدراسة لشاعر جاهلي قديم هو علقمة بن عبـــدة التميمي ، وبعد هذه الجولة مع قبيلة الشاعر " قبيلة تميم فـــي الجاهلية " تلك القبيلة التي سكنت شرقي نجد والبحرين واليمامة وجاورت عددا غير قليل من قبائل العرب القديمة وكان لها أيامهـــا التي اشتهرت بها بين هذه القبائل . أقول بعد ذلك كلــــه استطعت أن أصل إلى عدة نتائج لعل من أهمها :

أولا : أن تميما قبيلة الشاعر اشتهرت بين قبائل العرب بكثـــرة عددها ، وقوتها ، وتفوق أبنائها في الحكمة والبيـــان حتى شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتفـــوق البياني حين قال معجبا بالزبرقان بن بدر التميمـــي " حقا إنَّ من البيان لسحرا ، وإنَّ من الشعر لحكمة " .

وقبيلة هذا هو حالها ، وتلك هي ثقافاتها الجديرة أن تغرس في نفوس أبنائها خصالا لا يحصى لها عـــدد ولا يحاط بها ولجديرة كذلك أن تهاب وأن تكون لهـــا المنزلة والمكانة . وقد تبين هذا حقيقة لما رأينا ملـــوك الحيرة يصالحونهم ويجعلون لهم الردافة — مقابـــل أن يكفوا غاراتهم عن أهل العـــراق .

ثانيا : أنّ علقمة بن عبدة التميمى ذلك الشاعر الذى عاش فى أوائل الجاهلية ، معاصرا أمير الشعر فى هذا العصر امرأ القيس بن حجر الكندى — وملازما له ومغالبا إياه فى قول الشعر ، فقد احتكما إلى " أم جندب — زوج امرئ القيس بقصيد تين حكمت بعد سماعها لهما — لعلقمة بالتفوق على زوجها " وكان جزاؤها من زوجها الطلاق — وكانت مكافأتها من علقمة أن تزوج بها — وهذه قصة كثر تداولها بين الأدباء والنقاد والباحثين .

لقد كان لعلقمة شخصيته ، واتزانه ، ووقاره وهيبته ، فاختارته قبيلته شفيعا لها عند الحارث بن أبى شمر كما مر بنا ولقد أكرم الحارث وفادته مستجيبا لمطالبه مطلقا له سراح أهل قبيلته وكان فيهم أخوه " شأس بن عبدة " .

كذلك تميز علقمة كما قلت بالوقار والاتزان فلم يهج أحدا فى شعره حتى لا يعرض نفسه لألسنة الناس بل حفظ على نفسه كرامتها وكيانها .

ولقد رأيناه فى غزله عفا طاهر القلب واللسان ، غير فاحش ولا بذئ ، لم يتغزل غزل امرئ القيس

و لا عزل عبيد بن الأبرص و لم يتأثر بهدا ولا بــــدات و أوضحت هذا كله في مكانه من البحث و لكنها نتيجـــة يجب أن نثبتها و أن نكبر علقمة من أجلها .

ثالثا : لقد طرق علقمة معظم أغراض الشعر فتناول من الأغـــراض الوصف ، و الفخر ، و الغزل ، و المدح ، والحكمة .

وابتعد عن الهجاء . وأكثر في الوصف حـــتى فاق جميع الأغراض الأخـرى و لا غـرو في ذلك فهو ابـــن للطبيعة أحبها وتعلق بها و قرت في فكره ووجدانـــه تحدث عنها بين الحين و الحين متناولا ظواهرهـــــا يصفها و يقف في وصفه لها عند كل دقيقة و جليله ، فعينه فاحصة و ذهنه زاخـر بتفصيلات كل شـي' .

وصف علقمة ناقته ، ووصف فرسه ، ووصف الصحـــراء بحرها ووهجها ، و رمالها و طرقها المتعددة الــــتى تدل من يسير فيها و صور مدى رهبة هذه الطرق الـــتى على جانبيها تساقطت إبل عديدة أعياها السفر وأبلاهـــا ، و هي ترقد متصلبة على الطريق تلقى في قلوب مــــن يمرون عليها العظة و العبرة ، وإلى جانب هذا كلـــه و صف علقمة القتال و افتخر بقوته في ساحة القتـــــال و مواد بنــــه .

ثم كان الفخر عند علقمة كثيرا إلى حد ما ـ افتخر بنفسه الكريمة الأبية التي ظلت تعمل من أجل قومها ما استطاعت ، وافتخر بقومه وشدتهم على أعدائهم وتناول في فخره بعض أيام قبيلته ، وافتخر بكرمه وجوده وعطائه .

وتغزل علقمة وكان غزله العف الطاهر كما قلت من قبل كان يتجنب حتى ذكر اسم محبوبته في أحيان كثيرة واهتم في غزله بالجانب الخلقي عند هذه المحبوبة .

وفي نهاية المطاف وجدت علقمة ذلك الحكيم الذي خبر الحياة وعرفها عن قرب فعلمته دروسا أفاد منها ورأى من الخير أن يسديها لسامعه وقارئه فضمنها ديوانه بين ثنايا قصائده فجاءت دالة على أن قائلها خَيِّراً محبا للخير ساعيا له أنَّى وجده وحيثما دل عليه .

رابعا : عند البحث من الناحية الفنية لعلقمة الشاعر الوصاف رأيت اهتمامه باللفظة واهتمامه بالتركيب ، وتأنقه في اختيار ألفاظه حتى تدل دلالتها التي أتى بها الشاعر من أجلها فهو يختار ألفاظه بدقة بالغة ، ويتأنى في التكوين والإيقاع ويستطيع أن يستغل دلالات اللغة للتعبير عن الموقف النفسي الذي يعيشه ويعايشه .

وقصائده محكمة البناء متلاحمة اللبنات ، ويتميز علقمة كذلك بأنه ينمو بالموقف النفسي فينتقل من موقف إلى موقف ليصل بالقارئ والسامع إلى ما يبغي ويريد .

وإلى جانب هذه الألفاظ والتراكيب التي تحمل في ثناياها دلالات نفسية توحي بما يعانيه الشاعر نجد أن هناك أيضا معانيه وأفكاره التي تؤازر تلك الألفاظ وهذه التراكيب فعلقمة قادر بألفاظه ومعانيه أن يجتذب إليه قارئ شعره وسامعه .

خامسا : في شعر علقمة وفرة من التصوير البياني والبديع فالتشبيه عنده لا حد له ، يستخدمه في معظم أبياته ولا أقول في معظم قصائده فلا يكاد يخلو بيت من أبيات علقمة من تشبيه استمد عناصره من البيئة المحيطة بالشاعر فهو حريص أن يشبه ناقته بكل ما هو صلب متين مما يظهر له في البيئة التي يعيش في أكنافها ، وتقع عليها عيناه بين اللحظة واللحظة .

وإذا شَبَّهَ محبوبته فهي ظبي اعتنت بتربية جوار في البيت أو هي غزالة ترعى فيكون ذلك أتم لحسنها وجمالها .

سابعا : وأخيرا لقد تبين من البحث أثر علقمة الواضح فيمن تلاه من شعراء . معظمهم قد احتذاه ، وقلده واستعار منه ألفاظه وتراكيبه ، وصوره وتشبيهاته

أثر علقمة فى كثرة من شعراء الجاهلية نورد منهم على سبيل المثال لا الحصر عنترة بن شداد ، وأوس بن حجر ، والأعشى ، والنابغة ، وجران العود وزيد الخيل الطائى ، وعامر بن الطفيل . وغير هؤلاء كثير تحدثت عنهم فى موضع ذلك من البحث .

وبعد فلا يستطيع أى باحث مهما أوتى من مواهب وهم ، أن يحيط بشاعر عاش منذ ألف وخمسمائة عام فى بيئة جهلها الكثيرون واختلطت أخبار أهلها عبر مئات من السنين ولكن ما على المرء إلا أن يبحث ما وسعه البحث . ناشدًا ضالته أو ما يدله عليها .

وحسبى أننى فعلت وما ضننت بجهد ، ولا بخلت بوقت فإن كان ثمة مواطن إجادة فهى من توفيق الله سبحانه وتوجيه صاحب الفضل على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور / يسرى سلامة .

وإن كان ثمة مواضع زلل فمرد ذلك إلى النفس وعذرى أننى أجوب طريقا وعرة ، ومازالت النفس فى حاجة إلى إرشاد وتبصير .

والله الموفق والمعين

وكان الشاعر حريصا على استخدام ألفاظ بعينهـــا وهو يشبه محبوبته فهى " كرشأ فى البيت ملزوم "، وهى " كشاون من صاحة متريـــب"، وهى " كمغـــزل بيبشـــه ترعى فى أراك وحلب " وهى " كمحـــول المدامـــع مرشـق " إلى آخـر هذه التشبيهات .

وإلى جانب التشبيه هناك الاستعاره وهنـــاك الكناية التى تنتشر كل منهما فى ثنايا أبيات قصائده .

سادسا : نظم علقمة قصائده على خمسة بحور لم يزد عليها هـــذه البحور هى الطويل ، والبسيط ثم السريع والمديـــد والوافـــر .

وهذه كلها بحور طويلة استطاع الشاعر من خـــلال استخدامه لها أن يحلل عواطفه مع النفس الهادئ الطويل فقد عرفت هذه البحور بكثرة حركاتها وباتساعها لمعانى الشعراء الضخمة المليئة بالحركة .

واحتل البحر الطويل عند الشاعر مكان الصـــدارة فنظم فيه أغلب ما قال من شعر وخاصة ذلك الشعـــر الذى سلم لنا بعد هذه الفترات والأزمنه التى امتـــدت وطالت منذ عهد الجاهلين حتى أيامنا هذه .

أولا : المصادر

١ ـ الأزمنة والأمكنة : للمرزوقي ـ طبعة حيدر أباد ١٣٣٢ هـ

٢ ـ أسرار البلاغة : لعبد القاهر الجرجاني ـ تحقيق محمد عبد العزيز النجار طبعة (صبيح) سنة ١٩٧٧م.

٣ ـ الاشتقاق : لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ٢٢٣/٣٢٠ هـ تحقيق عبد السلام هارون ـ مؤسسة الخانجي بمصر مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٥٨م.

٤ ـ الأصنام : لابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي تحقيق الأستاذ / أحمد زكي ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٤٣ هـ/١٩٢٤م ـ الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤

٥ ـ الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني ـ منشورات دار مكتبة الحياة دار الفكر ـ بيروت سنه ١٩٥٧م.

٦ ـ الأمالي : لأبي علي القالي (أبو علي اسماعيل أبو القاسم القالي ٣٥٦ هـ) دار الكتب المصرية القاهرة .

٧ ـ البيان والتبيين : لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨م

٨ ـ تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبة شرح ونشر السيد / أحمد صقر الطبعة الثانية دار التراث القاهرة سنة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م.

٩ ـ تاريخ الرسل والملوك : لابي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار المعارف ١٩٦٧م.

١٠ ـ تاريخ اليعقوبي : (احمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الاخبارى (ت ٢٩٢ هـ) نشر النهضة . فى النجف سنه ١٣٥٨ هـ .

١١ ـ جمهرة أنساب العرب : لعلى بن أحمد بن سعيد المعروف بابن جزم (ت ٤٥٦ هـ) تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .

١٢ ـ حياة الحيوان الكبرى : للدميرى . نسخة بالاوفست للمطبعة الخيرية ١٣٠٩ هـ ـ بيروت .

١٣ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ لعبد القادر عمر البغدادى (١٠٣٠ هـ ١٠٩٣ هـ) تحقيق وشرح عبد السلام هارون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية : النسخة العربية تحرير واعداد ابراهيم زكى خورشيد . واحمد الشنشاوى د . عبد الحميد يونس .

١٥ ـ ديوان الأعشى الكبير : " ميمون بن قيس " شرح وتعليق د . محمد محمد حسين ـ مكتبة الأداب بالجماميز .

١٦ ـ ديوان أوس بن حجر : تحقيق د . محمد يوسف نجم . دار صادر بيروت سنة ١٩٦٠م .

١٧ ـ ديوان جران العود النميرى : رواية أبى سعيد السكرى ـ مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣١م الطبعة الأولى .

١٨ - ديوان زيد الخيل الطائي : تحقيق د . نوري حمودي القيسي
مطبعة النعمان - النجف الاشرف .

١٩ - ديوان عامر بن الطفيل العامري : رواية ابن بكر بن القاسم الانباري ، عن أبي العباس أحمد بن يحيى " ثعلب " تحقيق المستشرق السير لايل طبعة لندن ١٩١٣م

٢٠ - ديوان عبيد بن الأبرص الأسدي : تحقيق د . حسين نصار . الطبعة الاولى ١٩٥٧ مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
بمصر .

٢١ - ديوان علقمة الفحل : تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب مراجعة د . فخر الدين قباوة - دار الكتاب العربي بحلب
الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م .

٢٢ - ديوان لقيط بن يعمر الإيادي : تحقيق د . عبد المعين خان مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧١م .

٢٣ - ديوان المثقب العبدي : (عائذ بن محصن) تحقيق حسن كامل الصيرفي - معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة سنة ١٩٧١م .

٢٤ - ديوان مجنون ليلى : جمع وترتيب أبي بكر الوالبي تحقيق وشرح جلال الدين الحلبي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنه ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩م .

٢٥ - ديوان النابغة الذبياني : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار المعارف - بمصر

٢٦ _ رسالة الغفران : لأبي العلاء المعرى _ تحقيق د . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) الطبعة الخامسة دار المعارف بمصـــر .

٢٧ _ زهر الآداب وثمر الألباب : لأبي اسحاق ابراهيم بن على الحصـــرى القيروانى تحقيق وضبط وشرح على محمد البجاوى دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه _ الطبعة الثانية .

٢٨ _ سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب : محمد أمين البغدادى الشهير بالسويدى مكتبة المثنى _ بغداد .

٢٩ _ سمط اللآلى فى شرح آمالى القالى : للوزير أبى عبد الله البكرى _ تحقيق / عبد العزيز الميمنى _ مطبعة لجنة التأليـــف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦م .

٣٠ _ شرح أبيات سيبويه : لمحمد يوسف بن أبى سعيد الحسن بن عبد اللـه ابن المرزبان السيرافى (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) . تحقيق د . محمد على الريح هاشم _ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع _ القاهرة ١٩٧٤م .

٣١ _ شرح ديوان زهير بن أبى سلمى : صنعة الامام احمد بن يحيى بن زيد الشيبانى "ثعلب" نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤ الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

٣٢ _ شرح القصائد التسع المشهورات : لأبى جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ) تحقيق احمد خطاب _ الجمهورية العراقية _ وزارة الاعلام _ مديرية الثقافة العامة سلسلة كتب التراث (٢٣) .

٣٣ - شرح المعلقات السبع : للتبريزى (أبى عبد الله الحسن بن أحمد بن الحسن) القاهرة المكتبة التجارية الكبرى بمصر سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١م

٣٤ - شعر إبراهيم بن هرمة القرشى : تحقيق محمد نفاع وحسين عطوان ، دمشق سنة ١٩٦٩م .

٣٥ - الشعر والشعراء : لابن قتيبة تحقيق احمد محمد شاكر - دار المعارف مصر .

٣٦ - صبح الأعشى : للقلقشندى ، طبعة دار الكتب - القاهرة ١٩١٣م .

٣٧ - صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار : لمحمد بن عبد الله النجدى بن بليهد مطبعة السعادة المحمدية القاهرة سنة ١٩٥١م .

٣٨ - صحيح البخارى : كتاب الشعب - مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .

٣٩ - الصناعتين : لابى هلال العسكرى - تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم طبعة الحلبى .

٤٠ - طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين : لأبى عبد الله محمد بن سلام الجمحى البصرى (ت ٢٣٢ هـ) محمود شاكر نشر خالد محمد عجان الكتبى بحلب - مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر .

٤١ - الطبقات الكبرى : لأبى عبد الله البصرى الزهرى المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) دار بيروت دار صادر ١٩٥٧م

٤٢ - العقد الفريد : لابن عبد ربه - شرح احمد أمين واحمد الزين وابراهيم الابيارى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠م .

٤٣ - العمدة : لابن رشيق القيرواني - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد
الطبعة الرابعة - ١٩٧٢م .

٤٤ - عيار الشعر : لمحمد بن طباطبا العلوى (ت ٣٢٢هـ) تحقيق د . طه
الحاجرى ود . محمد زغلول سلام - شركة فن
الطباعة بالقاهرة سنه ١٩٥٦م

٤٥ - فتوح البلدان : للبلاذرى (احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ) تحقيق
عبد الله أنيس الطباع وأخيه . دار النشر
للجامعيين - بيروت ١٩٥٧م .

٤٦ - فحولة الشعراء : للاصمعى (أبى سعيد عبد الملك بن قريب بن
عبد الملك) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى وطه
محمد الزينى - طبع المطبعة المنيرية بالقاهرة
الطبعة الاولى ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣م .

٤٧ - القرآن الكريم .

٤٨ - الكامل فى التاريخ : لابن الاثير دار صادر ببيروت سنه ١٩٦٥م .

٤٩ - لسان العرب لأبى الفضل جمال الدين محمد بن منظور (ت ٧١١ هـ)
دار صادر ببيروت سنه ١٣٧٤ هـ .

٥٠ - المؤتلف والمختلف : فى أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وبعض
شعرهم للآمدى (ت ٣٧٠هـ) أعتنى بتصحيحة
المستشرق فرنسيس كرنكو نشر مكتبة القدس
القاهرة سنة ١٣٥٤هـ .

٥١ - مجمع الأمثال : للميدانى - تحقيق محى الدين عبد الحميد - دار الفكر
الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٢م .

٥٢ ـ المحبَّر : لابى جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمى البغدادى (ت٢٤٥هـ) رواية أبى سعيد الحسن بن الحسن السكرى تحقيق ايلزه ليختن شتيتر ، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت .

٥٣ ـ مختار الشعر الجاهلى : مصطفى السقا ـ الطبعة الرابعة ١٩٧١م ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر .

٥٤ ـ مختصر كتاب البلدان : لابى بكر احمد بن محمد الهمذانى المعروف بابن الفقية طبع مدينة "ليدن بمطبعة بريل ١٣٠٢هـ

٥٥ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر : للمسعودى ـ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م نشر دار الكتاب المصرى .

٥٦ ـ المعارف : لابن قتيبة تحقيق د . ثروت عكاشة الطبعة الثانية دار المعارف بمصر .

٥٧ ـ معجم البلدان : لياقوت الحموى ـ دار صادر بيروت سنة ١٩٥٥م .

٥٨ ـ معجم ما استعجم : للبكرى ـ تحقيق مصطفى السقا ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٦٤ هـ ١٩٤٥م .

٥٩ ـ المفضليات : ديوان العرب (١) تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة .

٦٠ ـ مقدمة ابن خلدون : مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية بشارع محمد على بمصر .

٦١ - المنجد فى اللغة : لأبى الحسن على بن الحسن الهنائى المشهور بكراع (ت ٣١٠ هـ) تحقيق د. أحمد مختار عمر وضاحى عبد الباقى توزيع عالم الكتب ١٩٧٦م

٦٢ - الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء : لأبى عبد الله محمد بن عمران المرزبانى (ت ٣٨٤هـ) نشر جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة - المطبعة السلفية ومكتباتها ١٣٤٣ هـ.

٦٣ - نقائض جرير والفرزدق : لأبى عبيدة معمر بن المثنى طبع فى لندن مطبعة بريل ١٩٠٧م.

٦٤ - نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : للقلقشندى - تحقيق على الخاقانى - مطبعة النجاح بغداد ١٩٥٨م

٦٥ - نهاية الأرب فى فنون الأدب : لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى (٦٧٧/٧٣٣هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، دار الثقافة والارشاد القومى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

ثانيا : المراجــع

٦٦ ـ اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى : د · محمد مصطفى هدارة ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٣م

٦٧ ـ الأصول الفنية للشعر الجاهلى : د · سعد اسماعيل شلبى ـ مكتبة غريب بالفجالة سنه ١٩٧٧م ·

٦٨ ـ أغانى الطبيعة فى الشعر الجاهلى : د · احمد محمد الحوفى ـ مكتبة نهضة مصر بالفجالة سنه ١٩٥٨م ·

٦٩ ـ أمراء غسان : لتيودور نولدكة المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٣٣م ·

٧٠ ـ امرؤ القيس : د · الطاهر احمد مكى · دار المعارف بمصر ١٩٧٤م

٧١ ـ أمير الشعر فى العصر القديم " أمرؤ القيس " ـ محمد صالح سمك دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ تقديم مصطفى صادق الشافعى ·

٧٢ ـ أيام العرب فى الجاهلية : محمد جاد المولى ورفاقة ·

٧٣ ـ بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب : محمود شكرى الألوسى البغدادى ـ عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثرى ـ الطبعة الثالثة ـ مطابع دار الكتاب العربى بمصر سنه ١٣٤٢هـ ·

٧٤ ـ تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق الرافعى ـ الطبعة الاولى مطبعة الاستقامة سنه ١٩٤٠م ·

٧٥ — تاريخ آداب اللغة العربية : جرجى زيدان — راجعها وعلق عليها د • شوقى ضيف — دار الهلال سنه ١٩٥٧م

٧٦ — تاريخ الأدب الجاهلى : د • على الجندى — مطبعة الجامعة العربية بيروت •

٧٧ — تاريخ الآداب العربى فى " العصر الجاهلى " : السباعى بيومى مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨م •

٧٨ — تاريخ الأدب العربى (فى العصر الجاهلى) د • شوقى ضيف — طبعة دار المعارف بالقاهرة — الطبعة الثامنة •

٧٩ — تاريخ الأدب العربى : لكارل بروكلمان — نقله الى العربية دكتور عبد الحليم النجار الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر •

٨٠ — تاريخ الإسلام السياسى : د • حسن ابراهيم حسن الطبعة الرابعة ١٩٥٧م •

٨١ — تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى : د • نجيب محمد البهبيتى مؤسسة الخانجى بالقاهرة سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦١م •

٨٢ — تاريخ العرب قبل الإسلام : د • جواد على مطبعة التفيض بغداد سنة ١٩٥٠م •

٨٣ — تاريخ الفكر العربى إلى أيام ابن خلدون : د • عمر فروخ دار العلم للملايين — بيروت سنه ١٩٦٦م •

٨٤ ـ تطور الخمريات فى الشعر العربى من الجاهلية إلى أبى نواس: لجميل سعيد ـ الطبعة الأولى مكتبة النهضة العربية .

٨٥ ـ تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : د. شكرى فيصل دار العلم للملايين ـ بيروت الطبعة الرابعة .

٨٦ ـ تهذيب الحيوان للجاحظ : عبد السلام هارون مكتبة نهضة مصر ١٩٥٧م

٨٧ ـ الثابت والمتحول : أدونيس ـ بحث فى الاتباع والإبداع عند العرب "الأصول" دار العودة بيروت طبعة أولى ١٩٧٤م .

٨٨ ـ الجاحظ : حياته وآثاره د. طه الحاجرى ـ دار المعارف بمصر الطبعة الثانية .

٨٩ ـ جغرافية شبه جزيرة العرب : عمر رضا كحالة ـ المطبعة الهاشمية دمشق سنة ١٩٤٤م .

٩٠ ـ جغرافية شبه جزيرة العرب : د. محمود طه أبو العلا ـ الطبعة الاولى ١٩٦٥م مطبعة لجنة البيان العربى .

٩١ ـ حديث الأربعاء : د. طه حسين دار المعارف بمصر الطبعة ١١ .

٩٢ ـ الحياة العربية من الشعر الجاهلى : د. احمد محمد الحوفى مطبعة نهضة مصر .

٩٣ ـ حيوات العرب : د. عبد المحسن عاطف سلام ـ الشركة القومية للتوزيع الطبعة الاولى ١٩٦٨م .

٩٤ — دراسات فى الأدب العربى : جوستاف فون غرنباوم — ترجمة دكتور/ إحسان عباس وآخرين بيروت ١٩٥٩م .

٩٥ — الدعوة إلى الإسلام لتوماس آرنولد : ترجمة د . حسين ابراهيم مطبعة شبكشـــــى .

٩٦ — زهير بن أبى سلمى شاعر السلم فى الجاهلية : د . عبد الحميد سند الجندى المؤسسة المصرية العامة للتأليـــف والترجمة والنشر .

٩٧ — الشعر الجاهلى مراحله واتجاهاته الفنية : د . سيد حنفى حسنين الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م

٩٨ — الشعر الجاهلى منهج فى دراسته وتقديمه : د . محمد النويهـــــى الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة .

٩٩ — شعر الطبيعة فى الأداب العربى : د . سيد نوفل — مكتبة الخانجى بمصر القاهرة سنه ١٩٤٥م .

١٠٠ — الشعر العربى من الجاهلية حتى نهاية القرن الأولى للهجرة (النشأة والتطور) : د . محمد مصطفى هدارة — دار المعارف — الطبعة الأولى سنه ١٩٨١م .

١٠١ — الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى : د . يوسف خليف — الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦م .

١٠٢ — شعراء النصرانية : للأب لويس شيخو — ألقسم الرابع — فى شعراء نجد والحجاز والعراق — طبعت جديدا فى مطبعة الاباء اليسوعيين — بيروت .

١٠٣ – الشعراء وإنشاد الشعر : د . على الجندى دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩م .

١٠٤ – عبقرية الصديق : عباس محمود العقاد – الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية طبعة ١٤٠١ هـ ١٩٨١م .

١٠٥ – العرب فى حضارتهم وثقافتهم : د . عمر فروخ – دار العلم للملايين بيروت – الطبعة الثانية ١٩٦٨م .

١٠٦ – العصر الجاهلى (المعلقات): د . محمد صبرى الأشتر مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية بحلب ١٩٧٢م/ ١٩٧٣

١٠٧ – فن الشعر : د . محمد مندور (العدد الثانى عشر) من سلسلة المكتبة الثقافية دار العلم

١٠٩ – فى الأدب الجاهلى : د . طه حسن دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة

١١٠ – القيان والغناء فى العصر الجاهلى : د . ناصر الدين الأسد – دار المعارف بمصر .

١١١ – المرأة فى الشعر الجاهلى : د . احمد الحوفى ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى الطبعة الثانية ١٩٦٣م .

١١٢ – المرأة فى الشعر الجاهلى : د . على الهاشمى – مطبعة المعارف بغداد سنه ١٩٦٠م .

١١٣ – فى مرآة الشعر الجاهلى : د . فتحى أحمد عامر – دار الشروق – القاهرة سنه ١٩٧٦م .

١١٤ ـ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : د٠ عبدالله الطيب المجذوب دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٠م٠

١١٥ ـ مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية : د٠ ناصر الدين الأسد الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر٠

١١٦ ـ معجم قبائل العرب :عمر رضا كحالة المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٢٩م٠

١١٧ ـ مقدمة القصيدة العربية فى الشعر الجاهلى :د٠ حسين عطوان دار المعارف بمصر٠

١١٨ ـ موسيقى الشعر : د٠ ابراهيم أنيس ـ الطبعة الثالثة ١٩٥٢م٠

١١٩ ـ النابغة الذبيانى : د٠ محمد زكى العشماوى دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ٠

١٢٠ ـ النقد الأدبى الحديث : د٠ محمد غنيمى هلال دار مطابع الشعب بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٩٦٤م٠

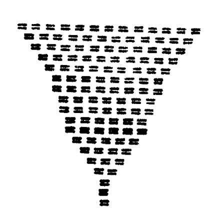
١٢١ ـ النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى ـ محمد أحمد الغمراوى منشورات دار الحكمة ١٩٧٠م٠

ثالثا - المراجع الاجنبية

- H.G. Farmer, History of Arobian Music, Luzac, Co. 1929. _ ١٢٢

- Nichleson, Aliterary history of the Arabs Cambridge , 1930. _ ١٢٣

- Oleary, Arabia Before Mohamed London, 1927. _ ١٢٤



رقم الايـــــداع
٩٣/١١٤١٣

I.S.B.N.:977-5186-22-6.